الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

العلماء والتجار المغاربة ودورهم الحضاري في السودان الغربي بين القرنين (16م-19م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه (ل م د) في التاريخ
تخصص: تــــاريخ بلاد المغرب الحديث

إعداد الطالبة:
دودي عواطف

إشراف الأستاذ الدكتور:
عطية عبد الكامل

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
رضوان شافو	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيسا
عطية عبد الكامل	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	مشرفًا ومقررًا
مبارك جعفري	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	مناقشا
رشيد قسيبة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	مناقشا
أحمد بن خيرة	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الوادي	مناقشا
نور الدين شعباني	أستاذ التعليم العالي	جامعة خميس مليانة	مناقشا

السنة الجامعية: 1442-1443هـ/2021م-2022م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة التوبة الآية 105]

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله ورعاهما

إلى اخوتي كل باسمه

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

شكر وتقدير

الحمد لله أن وفقتنا إلى نور العلم وبصيرته، وأن أتم علينا نعمه وإنه ليسعدني ويشرفني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل المشرف على هذه الرسالة "الدكتور عطية عبد الكامل" على ملاحظاته وتوجيهاته وآرائه السديدة التي ساهمت في إخراج العمل في صورته الحالية.

مقدمة

أثبتت الكثير من الدراسات أن بلاد السودان الغربي قد شهدت إتصالا مباشرا مع مختلف البلدان المغاربية، فالمتتبِع لمسار تاريخ المنطقتين يتضح له بجلاء أن تلك الصلات التي تعددت أشكالها وتنوعت تعود إلى أزمنة غابرة أدى فيها العلماء والتجار المغاربية على حدٍ سوى دورا حضاريا في نسخ خطوط هذا التواصل.

ونتيجة للتطور الذي عرفته بلاد السودان الغربي بداية من القرن التاسع الهجري/15م والمتمثلة أساسا في بروز مملكة سنغاي الاسلامية وازدهارها فقد ترسخت أقدامهم وأصبح دورهم شامل لمختلف المجالات الثقافية والاجتماعية وغيرها، ولا شك أن للعامل الجغرافي دورا هاما في ذلك، فكل العوامل قابلة للتغيير في نوعها وحجمها، وفي صعودها وهبوطها، بينما يحظى هذا العامل بعدم التأثر بالمتغيرات الطبيعية والبشرية، وبعد إزدهار الممالك الإسلامية في السودان الغربي وتدفق الإسلام فيها توطدت العلاقات بين المنطقتين وإزدهرت، خاصة على عهد مملكة سنغاي الإسلامية.

لقد عرفت بلاد السودان الغربي خلال الفترة محل الدراسة والممتدة من القرن العاشر الهجري/ 16 م، حتى القرن الثالث عشر هجريا/ 19م مرحلة حاسمة في تاريخها، كشفت فيها المصادر التاريخية باختلاف وجهات نظرها الغطاء على جوانب هامة تمثلت أساسا في جملة التغيرات التي طرأت على مختلف شعوب المنطقة في شتى المجالات نتيجة " لتفاعل والاندماج بين المؤثرات المغاربية الوافدة مع المحلية والتي شكل فيها العنصر المحلي قطباً أساسيا" إلى جانب الدور الحضاري الذي اضطلع به العلماء والتجار المغاربة في المنطقة.

1- دواعي اختيار الموضوع:

كان سبب اختياري لهذا الموضوع والموسوم ب:(العلماء التجار المغاربة ودورهم الحضاري في السودان الغربي بين القرنين(16-19م) لجملة من الأسباب منها:

- إنَّ اختياري لهذا الموضوع كان قبل كل شيء وليد دافع ذاتي مبعثه رغبة شخصية للبحث ضمن إطار يلقي نظرة شاملة حول تاريخ بلاد السودان الغربي خلال الفترة

الحديثة باعتبار أنَّ جزءاً من حضارته قد دمج ضمن مسار الحضارة العربية الإسلامية.

- دافع موضوعي مرجعه قلة الدراسات التي تناولت حيثيات الموضوع من حيث أبعاده الحضارية لاسيما الفترة الزمنية المحددة في إطار البحث.

إضافة إلى هذا فإنَّ جملة الدراسات التاريخية التي تناولت هذه المرحلة الهامة من تاريخ السودان الغربي والتي كانت امتدادا لفترة تعتبر بإجماع من الباحثين أزهى عصور تاريخ المنطقة على الإطلاق، لم تفرد بحثًا معمقًا حول الأدوار التي اضطلع بها العلماء والتجار المغاربة في المنطقة باستثناء بعض الدراسات التي أفردت بحثها في جانب واحد دون غيره من الجوانب الأخرى، حتى وإن تناولته فإنّها لم توضحه بصورة مفصلة ودقيقة خاصة بعد أنْ تجذرت المؤثرات المغاربية في المنطقة التي انعكست على مختلف المجالات.

2-الدراسات السابقة:

ومن ضمن المواضيع التي تناولت بعض الجوانب هذا الموضوع برزت كدراسات أوليّة يمكن الرجوع إليها:

- دراسة الباحثة "عبلة محمد سلطان لطيف" والموسومة بـــ: **العناصر المغربية في السودان الغربي دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة سنغاي،** وتحتل هذه الدراسة أهمية قصوى في دراستنا فقد تطرقت فيها الباحثة لمختلف الآثار الحضارية التي خلفها الحضور المغاربي ببلاد السودان الغربي خلال الفترة الوسيطة، والبدايات الأولى لفترة الحديثة معتمدة في ذلك على مجموعة من المصادر العربية الهامة.

- دراسة الباحثة "زوليخة بنرمضان" والتي جاءت بعنوان: **المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ما بين القرنين 5 و11/10 و16م** والمكونة من جزأين. تميزت هذه الدراسة الهامة بتنوع مصادرها الشفوية منها والمكتوبة حيث تتبعت من خلالها الباحثة

مختلف الإشارات المتعلقة بتاريخ الدول والممالك التي قامت ببلاد السودان الغربي لاسيما فيما يتعلق بالجانب السياسي والاقتصادي.

- دراسة الباحثة "فاطمة إمحمد أحويلات" والتي جاءت بعنوان: **تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء في الفترة (600ه/1164م) (1203ه/1750م)**، وهي من الدراسات الهامة المتعلقة بالتاريخ الاقتصادي الذي يدخل ضمن إطار التواصل الحضاري الذي كان قائمًا بين طرابلس- باعتبارها تمثل إحدى البلدان المغاربية- وبلاد السودان الغربي، كشفت فيه الباحثة عن العلاقات التجارية التي شكلت فيها القافلة أهم وسيلة ساهمت في ازدهار هذه العلاقات وتطورها عبر مختلف الفترات التاريخية.
- دراسة الباحث "حسين بوبيدي" والموسومة بـــ: **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في السودان العربي من ق :5-10ه / 11-16م دراسة في تفاعل المؤثرات السودانية والمغربية:** وتعدّ من الدراسات الهامة حول تاريخ بلاد السودان الغربي حيث اهتمت هذه الدراسة بالتطور الاقتصادي والاجتماعي الذي طرأ على المنطقة نتيجة انفتاحها على المؤثرات المغاربية واندماجها معها، وظف فيها الباحث مجموعة من المصادر العربية الهامة وحتى الأوروبية وفي مقدمتها كتب الرحالات البرتغالية.
- دراسة " لويس- ميشال بيرن " / LoÏc-Michel Perrin والموسومة بـــ: **De Représention du temps en wolof**، وهي تمثل إحدى الدراسات التي اهتمت بدراسة شعوب السودان الغربي تناول فيها المؤلف شعب الولوف، وكيف تمكن هذا الشعب من تأسيس مملكة له ـ شملت مجالات واسعة من السنغال وغامبيا ـ هذه الأخيرة التي تعد من أبرز الممالك التي عرفتها المنطقة الغير مشهورة.

3-الإشكالية:

تتمثل الإشكالية الرئيسية لموضوع البحث في محاولة بناء صورة عن التفاعل الحضاري بين البلدان المغاربية وبلاد السودان الغربي، من خلال رصد وتتبع الأدوار

الحاسمة التي لعبها علماء والتجار المغاربة في المنطقة التي نتج عنها بشكل تدريجي جملة من التغيرات في مختلف المجالات، ووفقاً لهذا التصور جاءت الاشكالية الرئيسية على النحو الآتي: **فيما تمثل الدور الحضاري الذي أداه العلماء والتجار المغاربة في السودان الغربي بين القرنين 16م-19م؟**

وتندرج تحت الإشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤلات الفرعية والمتمثلة فيما يلي:

- ما طبيعة الأوضاع السياسية السائدة في بلاد السودان الغربي من القرن 16م حتى القرن 19م؟ وما هي أبرز سيماتها؟
- ماهي أبرز العوامل المشجعة التي أسهمت في توجه العلماء والتجار المغاربة صوب المنطقة خلال هذه الفترة محل الدراسة واستقرارهم بها؟
- إلى أيّ مدى أسهمت حركة العلماء المغاربة نحو السودان الغربي في تحقيق التفاعل الثقافي بين المنطقتين؟ وما ترتب عن ذلك من آثار؟
- ماهي أبرز الطرق التي مكنت المؤثرات المغاربية من الانسياب نحو مختلف مناطق السودان الغربي حيث شعوبها المتمسكة بتقاليدها وأعرافها؟
- فيم تمثل الدور الذي قام به العلماء المغاربة في المنطقة؟ وهل تهيأت لهم الظروف المناسبة للقيام بمهامهم؟ أم أنهم لم يجدوا ذلك وتجاوزتهم الأحداث؟
- ما مستوى عمق العلاقات التجارية التي ربطت بين المنطقتين؟ وما مدى تأثير هذه العلاقات على باقي الجوانب الأخرى؟
- كيف تعاملت الشعوب المحلية في ظل تمسكها بموروثها القبلي نتيجة انفتاحها على المؤثرات المغاربية الوافدة عليها؟ وهل اندمجت وتفاعلت معها، أم العكس؟
- هل تمكن العلماء والتجار المغاربة من خلال الأدوار التي اضطلعوا بها من إحداث تحول اجتماعي مخالف للأعراف هذه المجتمعات؟ وهل تولد عن ذلك بروز مجتمع تخلى عن جميع مبادئه وقيمه؟ أم أنها اندمجت معها في مختلف مجالات الجانب الاجتماعي؟

- ما مستوى التحول الحاصل الذي شهدته بلاد السودان الغربي نتيجة دخول المؤثرات المغاربية إليها؟ وما هي التحولات التي برزت بوادرها بشكل أكبر مقارنة بغيرها من الجوانب الأخرى؟
- هل استمر التفاعل الحضاري بي المنطقتين حتى القرن 19م؟ أمَّا أنَّ هناك صعوبات وعراقيل أدّت إلى تراجعه؟

4-أهمية الدراسة:

إنَّ الهدف الأساسي الذي تتوخّاه هذه الدراسة يكمن في:

- إبراز الدور الذي أسهم به العلماء والتجار المغاربة في إقامة روابط حضارية مع بلاد السودان خلال فترة محل الدراسة.
- كشف وتحليل صيرورة التغيرات التي طرأت على مختلف شعوب السودان الغربي، وإبراز طرق التلاقح بين المؤثرات المغاربية الوافدة، وبين المحلية، ومدى تمسك شعوب المنطقة ببعض عاداتهم وأعرافهم المتوارثة عبر الأجيال.

5- منهج الدراسة:

بما أنَّ المنهج ـ كما هو معلوم ـ طريقة علمية تتبّع لحل الاشكاليات المعرفية، فإنّه يتحدد ويستمدّ ذاته دون شكّ من طبيعة تلك الإشكاليات العلمية والمنهجية التي يحاول حلها ،والإجابة عنها، فانطلاقًا من ذلك وبناء على اختلاف وتنوع المضامين العلمية، والإشكاليات المنهجية التي نود تناولها في هذه الدراسة، فإنّ المناهج التي سنعتمد عليها، أو بالأحرى تفرض نفسها سوف تتعدد حسب تنوع الإشكاليات ومضامين الدراسة، عمومًا فقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة ومعالجة الأسئلة المثارة في الإشكالية استعمال مناهج متعددة، وهي كالآتي:

المنهج التاريخي: وذلك لمراعات التسلسل الزمني للوقائع وفق المادة التاريخية التي تم جمعها من بطون المصادر التي أرخت خلال هذه الفترة، ومن أجل تحليل تلك الأحداث، وإعادة تركيبها وقراءتها على ضوء مختلف الدراسات فإنّنا استعنّا بالمنهج التحليلي ويظهر ذلك من خلال تفسير أدوار العلماء والتجار المغاربة في بلاد السودان الغربي وتقييمها.

6-التعريف بمصادر ومراجع الدراسة:

لقد اعتمدت في دراسة هذا الموضوع على جملة من المصادر والمراجع المتنوعة توزعت بين مصادر عربية (المصادر السودانية – كتب الجغرافيا والرحلة – كتب التراجم...) وبين مراجع عربية وأخرى أجنبية كان استخدامها بدرجات متفاوتة، وذلك حسب أهميتها ومعالجتها لموضوع الدراسة، وهي الآتي:

أ- المصادر:

هناك العديد من المصادر العربية حملت بين ثناياها معلومات هامة لامست الموضوع بصفة أساسية، وسأقتصر بذكر بعضها دون الآخر.

- **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار** لمؤلفه: محمود كعت (ت 1002ه/1593م)، وهو يمثّل إحدى المصادر السودانية الهامة التي شكلت العمود الفقري لبعض المراحل من بحثنا بكونه قد أُرّخَ خلال الفترة الممتدة من القرن 16م حتى القرن 17م ،تضمّن هذا الكتاب معلومات قيمة حول تاريخ الممالك التي عرفها السودان الغربي خاصة مملكة سنغاي الإسلامية، وما زاد من أهمية هذا الكتاب كون أنّ مؤلفه قد عاصر معظم حكام سنغاي ومهم الأسقيا محمد الكبير هذا الأخير الذي عينه كأحد مستشاريه، ونظرًا للمكانة العلمية والمهنية للمؤلف فقد اكتسى هذا الكتاب أهمية بالغة.
- **تاريخ السودان:** لعبد الرحمان بن عبد الله بن عمران السعدي (ت: 1066ه/1655م)، ويُعَدّ هو الآخر من المصادر السودانية الهامة نظرًا لما يزخر به هذا الكتاب من معلومات شملت جميع الجوانب السياسية ،والثقافية والاجتماعية حول بلاد السودان الغربي، إضافة إلى ترجمته لجملة من مشاهير العلماء والفقهاء لكونه استقرّ في عدّة مدن كبرى بالمنطقة، تولّى خلالها هذا الأخير أثناء إقامته بمدينة تنبكت مهمة الإمامة _ أين قام حينها بربط علاقات بين كبار الشخصيات في إدارة الباشوية المغربية _ وهو

ما مكّنه من الاطّلاع على أهم الوقائع التي كانت تشهدها الساحة السياسية خلال القرن 17م، وهي الفترة التي شرع فيها السعدي بكتابة مؤلفه حتى وفاته سنة 1655م.

- **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج:** لأبي العباسي أحمد بن بابا بن أحمد بن أحمد الصنهاجي التنبكتي (ت 1036ه/1626م) وقد جاء حافلا بتراجم عدد من العلماء والفقهاء كان لهم دور مهم وبارز في ازدهار الحياة الثقافية في السودان الغربي ولم يقتصر على ذكر العلماء السودانيين فحسب، بل ذكر أيضًا ترجمة لعدد من العلماء المغاربة الذين استقرّوا في المنطقة وكان لهم نفس الدور.
- **وصف إفريقيا:** للحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ت بعد 957ه/1550م) ويعدّ من أبرز كتب الرحلة، وقد شكّل هذا الكتاب حقيقة مصدرًا نفسيًا نظرًا بما يزخر به من معطيات قيمة في غاية الأهمية ،كون أنَّ المؤلف كانت له رحلتان نحو السودان الغربي " تمت الأولى سنة 911ه/1511م، أمّا الثانية فكانت ما بين 1512 و1514م " رصد لنا فيها المؤلف من خلالها وصفًا دقيقًا حول المناطق التي زارها شمل مواقعها الجغرافية ومكوناتها البشرية والاقتصادية وأوضاعها السياسية والاجتماعية، وما كان لها من أدوار في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية.
- **فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور:** لأبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي (1727 – 1804م)، ويُعدّ من أبرز كتب التراجم وقد اشتمل على الكثير من تراجم العلماء خاصة علماء السودان الغربي حيث أفرد المؤلف الكثير عن أحوالهم ومدارسهم وتعليمهم وشيوخهم وتلاميذهم، وإلى جانب ذلك فقد ترجم أيضًا لعدد من العلماء المغاربة خاصة التواتيون منهم، هؤلاء الذين كانت لهم إسهامات علمية في المنطقة مما جعله سجلًا أساسيًا من الأعلام.
- **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي:** لمحمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت: 909ه /1503م) وتعدّ من ضمن المصادر الهامة كتبت في مطلع القرن 16م بمدينة غاو

بالسودان الغربي وردت فيها معلومات قيمة شملت مختلف الجوانب خاصة الاقتصادية والاجتماعية لبعض شعوب المنطقة منها شعب الفلان وغيرها.

ب- المراجع:

- **زهور البساتين في معرفة السوادين:** للحاج موسى أحمد كامره ويُعدّ هذا الكتاب من أهم المراجع لصده معلومات بالغة الأهمية وشاملة حول تاريخ السودان الغربي تطرق فيه صاحبه بصورة مفصلة ودقيقة لجميع الشعوب والقبائل ـ مركّزًا فيها عن أصولها ـ التي نشأت ببلاد السودان الغربي والأوسط، كما سلط فيه الضوء أيضًا حول جلّ الممالك التي شهدتها المنطقتين كمملكة مالي ومملكة سنغاي بالسودان الغربي ومملكة كانم- برنو بالسودان الأوسط وغيرها من الممالك الأخرى.
- **تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان:** لمحمد محمود الأرواني (ت: 1393هـ/ 1973م) وقد حقق هذا الكتاب أ د: الهادي المبروك الدالي، وأفادني هذا الكتاب كثيرا في التعريف ببعض كبريات الحواضر والمدن بالسودان الغربي وذلك من خلال ذكر مواقعها، إضافة الدور الذي لعبته كل حاضرة ومدينة وخاصة في علاقتها مع حواضر أخرى خارج البلاد.
- **الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكة الأكابر:** للشيخ محفوظ بن ساعد بوكراع السّطيفي، ويعد هو الآخر من ضمن المراجع الهامة والأساسية في الدراسة رسم فيه المؤلف صورة لإقليم توات من خلال تعريفه لها، وترجم فيه للعديد من أعلامها، وقد كان الهدف من تأليفه هو إثبات شرف أعلام هذا الإقليم ،ومدى مساهمتهم في الحركة الفقهية والعلمية، إضافة إلى تنقلاتهم، سواء بهدف التدريس أو للالتقاء بكبار العلماء أو لطلب العلم أو للاستزادة بين الحواضر المغاربية كفاس وغدامس، أو بين حواضر أخرى كحواضر السودان الغربي مثلًا، هذا وتعود أهمية هذا الكتاب إلى كونه اعتمد على وثائق ومخططات هامة تحمل سير أعلام هذا الإقليم.

- **تاريخ ممالك إفريقيا جنوب الصحراء في عصر الوسيط:** لصاحبه إسماعيل حامد إسماعيل علي أورد فيه أربعين مملكة وسلطنة إفريقية، خصّ فيه الباب الأول للتعريف بممالك السودان الغربي مركزًا فيه عن أهم السلاطين الذين تعاقبوا على الحكم في هذه الممالك، بينما ظم الكتاب معلومات تشمل بلاد الهوسا، وممالك السودان الأوسط بشكل عام.

ج- المراجع الأجنبية:

جان دجيجي كيتا / Jean Djigui Kéita كتابه والمعنون بـــ: Madinguees de **koumbi a Paris** وقد انفرد هذا الكتاب ـ باعتباره يمثل أحد الكتب الهامة المتعلقة بتاريخ - شعوب الماندنغو وتوسعهم في بلاد السودان الغرب بدراسة مفصلة حدد فيها المؤلف بإيجاز المراحل الرئيسية لحركة شعوب الماندنغو المتجانسة عبر الممالك التي شهدتها المنطقة (غانة ـ مالي ـ سنغاي...) إضافة إلى ممالك بامانا (سيغو ـ كارنا)

- شريفي مولاي حيدرة / chirfi Moulaye Haidara كتابه المسمى بـــ: **Tombouctou Meurtrie:** وقد تضمن معلومات هامة شملت موضوع الدراسة لاسيما أنه تناول إحدى مدن السودان الغربي وهي مدينة تنبكت التي أدّت عبر مختلف المراحل التاريخية أدوارًا حاسمة، وذلك فيما شهدته هذه المدينة على مستوى التجاري والثقافي.
- **موريس دولا فونس/ Mauric Delafosse:** عنوانه: أعالي السنغال – النيجر Haut–**Sénégal-Niger** ويعدّ مسحًا للتاريخ الاقتصادي والسياسي والاجتماعي لبلاد السودان الغربي استفدت منه كثيرًا في دراستي خاصة فيما يتعلق بتاريخ المجموعات السكانية من ناحية نشأتها وتطورها.

د- الموسوعات والدوريات:

- **موسوعة التاريخ الاسلامي** لأحمد شلبي مقسمة إلى عدة أجزاء حيث جاءت شاملة لجميع الجوانب السياسية والثقافية والاقتصادية وغيرها لاسيما الجزء السادس الذي

استفدت منه كثيرا في دراستي فقد سُلط فيها الضوء على مختلف الممالك الإسلامية التي قامت في بلاد السودان الغربي، وطرق إنتشار الإسلام فيها فقد جاءت مفصلة لهذا الجانب من فترة ما قبل الإسلام حتى الاستعمار الأوروبي للمنطقة.

- مقال الحسين عماري: **دور القوافل الصحراوية في العلاقات التجارية بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث**، مجلة عصور جديدة، العدد 19-20، أكتوبر 1437هـ/ 2015م وهي من المقالات الهامة التي أسهمت في تبلور البحث حيث قدم فيها صاحبه معلومات دقيقة ومفصلة حول الدور البارز الذي لعبته القوافل التجارية في مد جسور التواصل بين البلدان المغاربية وبلاد السودان الغربي خلال الفترة محل الدراسة.

7-خطة الدراسة:

عملًا بالشروط المنهجية المعروفة حول الإجابة عن الإشكالية الرئيسية للموضوع قسمت بحثي إلى مقدمة، وأربعة فصول وخاتمة ويندرج تحت كلّ فصل مجموعة من العناصر الفرعيّة والثانوية هي ملخّصة كالآتي:

بداية بالمقدمة وتمَّ فيها التّعريف بالموضوع ودواعي اختياره، وذكرت فيها أبرز الدراسات السابقة القريبة منه، ثمّ قمت بطرح الإشكالية الرئيسية إضافة إلى التساؤلات الفرعية التي تهدف للإجابة عنها، ثمّ أبرزت بعدها المنهج الذي يستمدّ ذاته من طبيعة تلك الإشكالية، ثمّ اتبعتها نقدية لأهم المصادر المعتمدة مُشِيرة إلى أهميتها في الموضوع.

أمّا في الفصل الأول الذي جاء بعنوان: "**السودان الغربي: دراسة في الأوضاع السياسية السائدة قبيل القرن 16م حتّى القرن 19م**"، فقد أفردته للحديث عن جملة الأوضاع السياسية التي شهدتها المنطقة، حيث حاولت خلاله تتبّع سير التطورات السياسية وذلك بدراسة مختلف الممالك التي عرفتها منطقة النيجر والسنغال، منطلقة بدراسة مملكة مالي الإسلامية ثمّ مملكة سنغاي الإسلامية، ومملكة الولوف هذه الأخيرة التي برزت معالمها بشكل أكبر خلال القرن 17م، ثمَّ انتقلت بعدها إلى ممالك منطقة تشاد لدراسة

مملكة كانم– برنو من حيث نشأتها وبلوغ مجدها وأخيرًا سقوطها وانهيارها، وفي آخر هذا الفصل تطرقت إلى ممالك نهر الفولتا لِدراسة مملكة الموشي.

وفي الفصل الثاني من الدراسة والموسوم بـــــ: " **العلماء والتجار المغاربة في بلاد السودان الغربي**"، وقد تناولت فيه نقطتين أساسيتين، حيث خصصتُ النقطة الأولى منه بدراسة أهم العوامل التي كانت وراء توجه المغاربة صوب المنطقة منطلقة من العامل الجغرافي الذي شكّل العامل الأبرز في ذلك، ثمّ تطرقت بعدها إلى التحدث عن بقية العوامل الأخرى كالعامل التجاري الذي مثل هو الآخر عامل جذب كبير نحو المنطقة منذ القدم، بالإضافة إلى عامل الاستقرار الذي كانت تشهده مختلف الممالك الإسلامية باستثناء فترات الضعف والانحطاط وغيرها من العوامل الأخرى، ثمّ عمدتُ بعدها إلى تخصيص مجال واسع تناولت فيه طبيعة حركة العلماء المغاربة نحو السودان الغربي مع رصد مظاهر تطورها وتراجعها طيلة الثلاثة القرون، مركّزة فيها عن أهم الأعلام المغاربة الذين كان لهم دور كبير في الإشراف على التعليم بالكتاتيب والمدارس بالحواضر الكبرى في المنطقة خاصة (تنبكت- غاو - جني)، موضحة مساهمتهم في خلق تفاعل ثقافي بين المنطقتين.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: "**العلمــــاء المغاربة وأثرهم في الجانب الديني والثقافي في بلاد السودان الغربي** "، رصدت فيه جهود العلماء المغاربة في المنطقة منطلقة من الدور الديني الذي أداه هؤلاء في تعميق الإسلام بين مختلف صفوف الطبقات الشعبية باعتباره قد شكّل نموذجًا في التفاعل بين المنطقتين، ثمّ انتقلت بعدها إلى توضيح دورهم في الحياة المذهبية حيث بينت فيه دورهم في نشر المذهب المالكي في المنطقة، كما أشرتُ إلى جانب هذا الدور مدى مساهمتهم في نشر الطرق الصوفية، بينما أبرزتُ في النقطة الأساسية الثانية من هذا الفصل حول دورهم الثقافي والعلمي مبرزة دورهم في نشر اللغة العربية في المنطقة إضافة إلى جهودهم في التعليم موضّحة في ذلك أهم مراحله

ومناهجه، ومدى فعالية أهالي المنطقة في هذا المجال، لأنتقلَ في آخر هذا الفصل إلى ذكر أبرز مشاهير العلماء الذين كان لهم دور في النهوض بحركة التأليف.

وتناولنا في الفصل الرابع والموسوم بـــــ: "**الحضور التجاري المغاربي: دراسة في الدور الحضاري في السودان الغربي**"، وقد تضمن ثلاث نقاط أساسية بينت من خلالها الأدوار التي اضطلع بها التجار المغاربة في المنطقة، فتحدثتُ في النقطة الأولى عن دورهم في نشر الإسلام مركزة فيه عن سماحة هذا الدين وما تضمنه من فضائل وقيم لم تكن في أي دين من الأديان المعروفة، كما أوضحت فيه دور التجار المحليين (أصحاب الأرض) في نشر الإسلام – داخل الأدغال الجنوبية للمنطقة – بعدما تسلّموا راية الاسلام من إخوانهم المسلمين عُرِفوا (بتجار ديولا)، وتطرقتُ في النقطة الثانية لأثرهم الاقتصادي إذْ بدأته ببيان الطرق والمسالك التي ربطت بي المنطقتين مركزة فيه عن السلع والبضائع التي كان التجار المغاربة ينقلونها إلى السودان الغربي والعكس، وعن المقاييس والموازين والمكاييل ونظم المعاملات، أمَّا بخصوص العنصر الثاني التابع لهذا المجال فخصصنا في جملة التغيرات التي طرأت على مختلف الأنشطة الزراعية والحرفية متتبعة في ذلك أهم التقنيات الجديدة التي أدخلها التجار المغاربة للمنطقة، وقد خصصت النقطة الأخيرة لهذا الفصل لدراسة الجوانب الاجتماعية وهذا من خلال ذكر مظاهر الاندماج بين الطرفين، أبرزتُ فيه ما طرأ على شعوب المنطقة نتيجة تفاعلهم مع العنصر الوافد خاصة فيما يتعلّق بقضية الزواج والأسرة واللباس والاحتفالات (الأعياد الدينية والمناسبات) وغيرها هذا كله حتى تكون الرؤية أمامنا واضحة.

وفي الأخير ختمنا هذه الدراسة بخاتمة شملت جملة من الاستنتاجات المتوصّل إليها، وإلى جانب ذلك فقد ذيلت الدراسة بمجموعة من الملاحق التوضيحية ذات صلة مباشرة بالمتون شملت جداول وصور هامة، هذا بالإضافة إلى مجموعة الفهارس شملت الأعلام والأماكن والبلدان، لأختم العمل في الأخير بفهرس للمحتويات.

8-الصعوبات:

لقد واجهتني أثناء إعداد هذا البحث مجموعة من الصعوبات كان على رأسها طبيعة الموضوع التي تتطلب مادة مصدرية متنوعة بتنوع مجالات البحث الجغرافية من جهة، والزمنية من جهة ، إضافة إلى قلة المصادر العربية المعاصرة لفترة الموضوع إذ لم نقل ندرتها مقارنة بالفترة الوسيطة وبداية الفترة الحديثة التي كانت ميدانًا للكتابة العربية ـ باستثناء المصادر السودانية (تاريخ الفتاش – تاريخ السعدي) التي لم تتعدّى معلومات حول تاريخ السودان الغربي في القرنين 16 و17 الميلاديين- فقد تناولتُ الموضوع ثقافيًا واقتصاديًا بعيدًا عن الميدان السياسي الذي غصت به المصادر الأوروبية، وإن وُجِدت لا تتجاوز بعض الإشارات البسيطة ،وهذا ما دفعني إلى الاعتماد في بعض عناصر الموضوع على الدراسات الأجنبية.

ومن ضمن الصعوبات أيضا عدم وجود إحصائيات ومعلومات ولو تقريبية حول إعداد العلماء والتجار المغاربة الذين وفدوا على السودان الغربي وحركتهم وربما يعود ذلك إلى قلة الكتابات العربية خلال الفترة محل الدراسة لاسيما كتابات الرحالة.

وما زاد من صعوبة الموضوع أيضًا أنّ الصلات والروابط بين البلدان المغاربية، وبلاد السودان الغربي وما ترتّب عنها من نتائج على مختلف المستويات لم تكن وليدة هذه الفترة محل الدراسة، بل هي قديمة ترجع لعهود غابرة لذا يصعب الفصل بين الأوضاع والتغيرات التي طرأت في المنطقة نتيجة دخول المؤثرات المغاربية وتفاعلها مع الأعراف والتقاليد المحلية خلال الفترة الحديثة وما سبقها.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والامتنان للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور "**عطية عبد الكامل**" صاحب الفصل في توجيهي وإرشادي في اعداد هذا الموضوع من بدايته حتى نهايته، فجزاه الله عني خير الجزاء، كما أثني بالشكر إلى الأستاذ الدكتور " **شعباني نور الدين**" من قسم التاريخ بجامعة الجيلالي بونعامة خميس

مليانة الذي لم يبخل علي بنصائحه ومساعدته، والشكر موصول أيضا لكل من كانت له يد مساعدة من قريب وبعيد في إثراء هذا الموضوع.

الفصل الأول:

<u>السودان الغربي: دراسة في الأوضاع السياسية السائدة قبيل القرن 16 حتى القرن 19م</u>

أولا: ممالك منطقة السنغال والنيجر

ثانيا: ممالك منطقة تشاد

ثالثا: ممالك نهر الفولتا

أولا: ممالك منطقة السنغال[1] والنيجر:

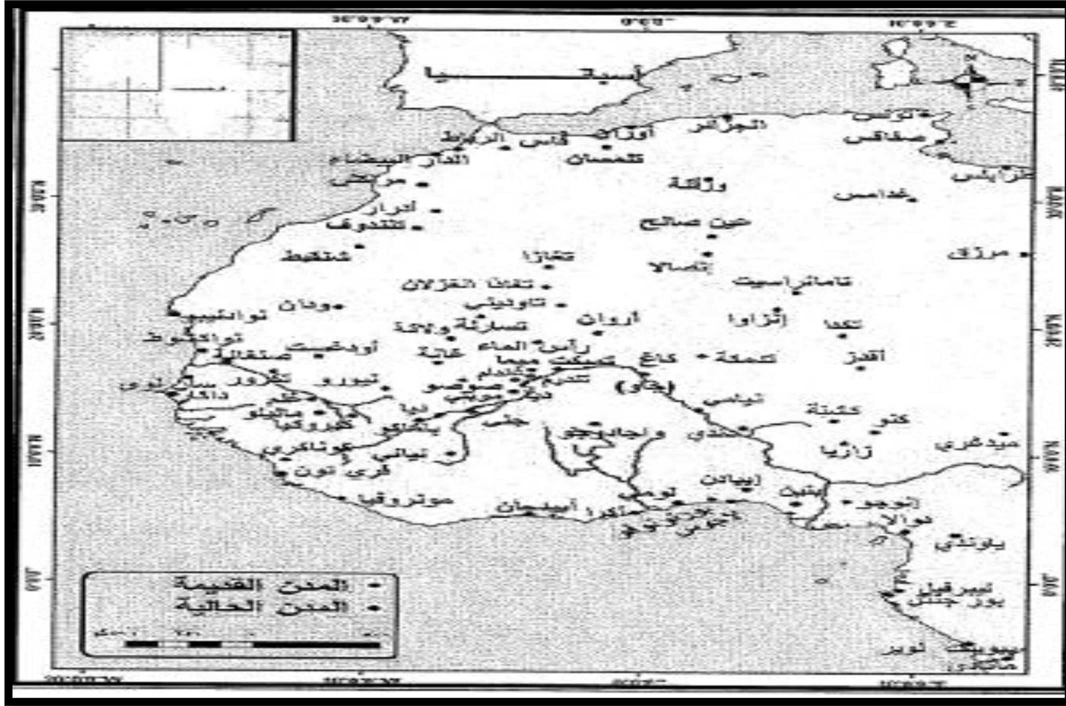
عرفت بلاد السودان الغربي[2] ما بين القرنين العاشر والثالث عشر الهجريين أحداثًا سياسية مهمة تمثلت أساسًا في قيام عدة ممالك إسلامية حكمت المنطقة، مزدهرة حضاريًا وقوية اقتصاديًا نشأت عمومًا حول نهري النيجر الأوسط والأعلى، ولقد تباينت الرقعة الجغرافية من مملكة إلى أخرى بتباين الموقع الذي شكّل النواة الأولى لقيام كل واحدة على حدى، ونقط الجذب أثناء توسعاتها الكبرى[3].

---

[1]– **السنغال:** وهي الآن دولة مستقلة (1960) عاصمتها داكار تبلغ مساحتها حوالي (142،196) كيلو متر مربع، يحده شرقا مالي، وغربا المحيط الأطلسي، وجنوبا الغينيتان (كونكري وبيساو)، وشمالا موريتانيا وغالبية سكانها مسلمون وهي تتشكل من أحواض أنهار السنغال وكازامنس وغامبيا دخل الإسلام إلى السنغال وانتشر بين الشعوب في القرن 5ه/10م عن طريق التجار والدعاة القادمين من بلاد المغرب، وقامت بأرضها مسالك عدة (11ه/14م) منها التكرور (التوكرلور) والولوف في الغرب والوسط، كما شكلت أراضي السنغال جزء من مملكة سنغاي أواخر القرن 15م والتي أصبحت ضمن دار الإسلام ولقد أصبحت السنغال على اتصال بأوروبا عندما تعرف البحارة البرتغاليون على مصب نهر السنغال في نتصف القرن 15م ومارسوا التجارة مع سكانها، ثم تبعهم بعد ذلك الهولنديون والفرنسيون في القرن 16م وأنشأ الأوروبيون محطات تجارية في الساحل 17م، ينظر:الحاج موسى أحمد كامره: **زهور البساتين في تاريخ السوادين**، تقديم وتحقيق وتعليق: ناصر الدين سعيدوني: ومعارية سعيدوني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود، الكويت، 2010م، ج3، ص69، عبد القادر محمد سيلا: **المسلمون في السنغال، معالم الحضارة وآفاق المستقبل**، ط1، دار الكتب القطرية، 1986، ص24.

[2]– **السودان الغربي:** والمقصود بهذا المصطلح من الناحية الجغرافية هي تلك المنطقة التي تقع جنوبي الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الأطلسي غربًا، وبحيرة تشاد عند الحدود الغربية لمملكة كانم –برنو إلى المحيط الأطلسي شمال خط الاستواء، وهي تنحصر بين خطي عرض 11°، 17° شمالًا، وهي باختصار تشمل منطقة ما يعرف اليوم بحوض السنغال وغامبيا وفولتا العليا، والنيجر الأوسط. ينظر: أبو القاسم محمد النصيبي(367ه/998م): **صورة الأرض**، ط2، دار صادر، بيروت لبنان، 1938، ص15، إيهاب شعبان عبد الشافي سالم: **القضاء في دولتي مالي وصنغي وأثرها الحضاري في المجتمع (636–1000ه/1238–1591م)**، تقديم: كرم كمال الدين الصاوي باز، ط1، الإفريقية الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1435ه/2014م، ص03، عبد القادر زبادية: **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في افريقيا جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989، ص11.

[3]– زوليخة بنرمضان: **المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ما بين القرنين 5و10ه / 11و16م**، ط1، دار أبي رقراق، الرباط، 2015م، ج2، ص 347، شيخو احمد سعيد غلادنثي: **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804 إلى 1966**، ط2، المملكة العربية السعودية، 1414ه/1993م، ص21.



الشكل رقم 01: خريطة توضح بلاد السودان الغربي خلال القرن 16 م

نقلا عن: إيهاب شعبان عبد الشافي سالم: المرجع السابق، ص: 223.

1- مملكة مالي الإسلامية (نهايتها):

تعدّ مملكة مالي الإسلامية من أقوى وأغنى الممالك التي شهدها السودان الغربي حيث قامت على أنقاض مملكة غانة[1] ولم تظهر على الساحة كمملكة قوية إلا مع القرن الثالث عشر ميلادي[2].

[1]- **مملكة غانة**: تجمع المصادر العربية، والروايات الشفوية أنَّ مملكة غانة هي أول بناء سياسي يشهده السودان الغربي منذ القدم، بلغت مجدها وعظمتها من حوالي القرن التاسع الميلادي إلى منتصف القرن 11م، وقد اتخذت من مدينة كومبي الواقعة شمال باماكو عاصمة لها، انتشر بها الإسلام قبل أن يسيطر عليها المرابطون ويعلنون بها حكمًا إسلاميًا سنة 469هـ/1076م، استمرت هذه الأخيرة حوالي قرنين إلى أن استولت عليها قبائل الصوصو سنة 637هـ/1240م: ينظر: مريم بنت عبد الله ولد باب الدين: **التأثير الثقافي للبيضان في منطقة السودان الغربي خلال القرنين 19-20 (مالي والسنغال) نموذجا**، بحث لنيل ديبلوم الدراسات العليا المعمقة، إشراف: أحمد الأزمي، جامعة سيدي محمد عبد الله، فاس، 2006/2007م، ص:19، أبو العباس أحمد القلقشندي (ت821هـ/1410م): **صبح الأعشى في صناعة الأنشا**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج5، ص269. ابن حوقل النصيبي أبو القاسم محمد (367هـ/998م): **صورة الأرض**، ط2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص101. Davidc. Conrad: **empires of medival west africa-ghana/ mali , and songhay, chelsea house**, new yourk,2009,p22-23.

[2]- عبد الرحمان محمد ميغا: **الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن ال8 إلى القرن13 الهجري**، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2011، ص18.

1-1- نشأتها:

لم تكن قبائل الصوصو[1] هي الوحيدة التي كانت تترقب تطور الأحداث في بلاد السودان الغربي خلال الفترة التي سبقت سقوط مملكة غانة فقد كانت قبائل الماندي[2] هي الأخرى تسعى إلى الإستقلال والإنفصال عنها، فما إن تراجعت قبضة السوننكي[3] حول أقاليم إمبراطوريتهم المترامية الأطراف حتى هبت قبائل الماندي مع من هب من القبائل الأخرى، وأعلنوا إنفصال دولتهم الصغيرة التي كانت نواتها موجودة منذ قرون، وإن كانت تابعة لغانة تبذل لها الولاء والطاعة، وتدفع لها الجزية، إلا أن هذا الانفصال من طرف قبائل الماندي لم يكن محل ترحيب من طرف الصوصو هؤلاء الذين تمكنوا من

---

[1]- **الصوصو sosou او soso أو sosso** : وهم في الغالب فرع من المالنكة هاجروا من بلاد التكرور والسنغال، واتجهوا نحو الشرق إستقر هذا الشعب في إقليم بوري، وعدة مناطق أخرى بالساحل السوداني مثل: واكادو، يل، وكانت مديني كانياجا kanyaga وديارا dyara من اهم مدنهم. ينظر: حسن بوبيدي: **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في السودان الغربي من قد:5 -10ه / 11-16 م دراسة في تفاعل المؤثرات السودانية والمغربية**، أطروحة دكتوراه اشراف: اسماعيل سامعي، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة 2020/2021م، ص32، جبريل ت- نياني: " **مالي والتوسع الثاني للماندانغ**" تاريخ إفريقيا العام، صادر عن منظمة اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، 1988م، ج4، ص137.

[2]- **الماندي/ الماندنغو:** ويعرفون أيضا بإسم المانديكا mandenga أو المالينكية، وهم مجموعة من الشعوب المتجانسة متعددة الفروع، يعيشون بين مجالي التكرور والسنغال أي بين نهر النيجر شرق، وأعالي نهر السنغال غربا، ومنطقة الغابات جنوبا، وهم بذلك اهم شعوب غرب إفريقيا، حيث ينتشرون في السنغال والنيجر، وغينيا وغامبيا وسيراليون، موطنهم الاصلي هو كانجايا وهم نسل مملكة مالي التي ارتبط تاريخهم بهم، وينقسم الماندي إلى عدة شعوب أهمها: البمبارا (البامابا)، السوننكه السنغاي، ينظر: محمد عدنان مراد: **المجتمعات الافريقية أصولها- تاريخها وشعوبها وثقافتها**، منشورات إتحاد الكتاب، 1995م، ص 133، عطية مخزوم الفيتوري: **دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة الانتشار)**،ط1، دار الكتب الوطنية، بنغاري، 1998م، ص24.

Jean djigui keita **:les mandiingues، de koumbi à paris**، editions donniya، Bamako.mali 2011،p74

[3] **السوننك / soninké** : وعرفوا أيضا بــ: (السيراكوال- سيراكولية) كانت الصحراء في البداية مسكنا لهم، ثم تركوها وتمركزوا على الأطراف الجنوبية لها في المنطقة المعروفة بإسم الساحل وامتزجو بالبربر والفلان ولونهم أخف سوادا من الولوف، وكلمة (ساراكوليه) معناها الحمر مما يدل على أن أصلهم ليسوا بزنوج، لعبت هذه القبائل أدوارا اقتصادية وسياسية خطيرة في السودان الغربي فقد شكل منها قديما العمود الفقري لمملكة غانة ينظر: محمد عدنان مراد : المرجع السابق، ص 114 ، إبراهيم علي طرخان: **امبراطورية غانة الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1390ه/1970م، ص15. jean djigui keita.op.cit.p75

هزيمة غانة والقضاء عليها[1]، وأخذو يتطلعون إلى دور ريادي في المنطقة بإقامة إمبراطورية واسعة على أنقاض الإمبراطورية المنهارة، وضم جميع الأقاليم التي كانت تابعة لسلطتها، فما هي إلا فترة من الزمن حتى وقع صراع بين الطرفين، وتطور إلى سلسلة من المعارك الطاحنة، وكانت كفة الصوصو هي الراجحة في بداية الأمر، إلى أن قيض الله للماندي بطلهم سندياتا كيتا[2].

وبظهور هذا البطل على مسرح الأحداث بدأ الصوصو يفقدون مواقعهم شيئا فشيئا، وفي سنة 633ه/ 1235م تقابل الملك سندياتا كيتا مع ملك الصوصو سومانغورو كانتي (soumangourou kante) في منطقة كيرينا (kirina) بالقرب من كوليكورو koulikoro غير بعيدة عن النيجر وإنتصر عليه[3]، فإندثرت جيوش الصوصو وقتل ملكهم ودمرت مملكتهم، وتفككت أوصالها، وإستولى حينها الملك سنديا تاكيتا على على جميع أقاليمها وضمها إلى مملكته[4].

---

[1] لقد أورد ابن خلدون حول تمكن شعب الصوصو من القضاء على غانة في مصنفه قائلا: " **ثم إضمحل ملك أصحاب غانة وتغلب عليهم أهل الصوصو المجاورون لهم من امم السودان واستعبدوهم واصاروهم في جملتهم**". ينظر: أبو = زيد عبد الرحمن بن محمد بن الخضرمي ابن خلدون (ت 808 ه/ 1405 م): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق: خليل شحاتة، دار الفكر للطباعة، بيروت 2001، ج6، ص 271

[2] **سندياتاكيتا (soundiata keita)**: ويعد المؤسس الحقيقي لمملكة مالي، تولي الحكم (1230 م-1255م) إشتهر بلقب ماري جاطة ولقد أعطى ابن خلدون تفسيرا لذلك فماري بمعنى الامير الذي يكون من نسل السلطان، وجاطة تعني الأسد ويكون معناها الامير الاسد، الهادي المبروك الدالي: **التاريخ السياسي والاقتصادي الافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، ط1، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة 1999، ص 52.

[3] نبيلة حسن محمد: **في تاريخ إفريقيا الاسلامية**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007 م، ص210، عبد الله سيسي: **حركات الإصلاح والتجديد في غرب افريقيا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين**، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1439ه/2018م، ص ص148-149.

[4] Maurice Delafosse: **Les noires de l`Afique payat**.paris،1941.p 48

1-2- عهد ملكها سندياتا كيتا وخلفاءه:

منذ أن تولي سندياتا كيتا مقاليد الحكم قام هذا الأخير بتوجيه حملات عسكرية من العاصمة "نياني"[1] بإتجاه الغرب فوسع حدودها وضم حملاته العسكرية حتى بلغت أسفل نهر السنغال[2] ونهر غامبيا والتكرور[3].

---

[1] **نياني:** ومعناها المدينة الآمنة، تقع على ضفة نهر سنكارن(sankarn) في الضفة اليسرى من نهر النيجر في الحدود السياسية الحديثة بين مالي وغامبيا، وقد أورد عنها ابن فضل الله العمري والذي يعدّ أول من أشار إلى أنَّ نياني يني قد شكلت عاصمة مالي الإسلامية حيث قال "...**وإقليم مالي الذي به قاعدة الملك مدينة يني**" ،هذا وقد أشار إليها ابن بطوطة أثناء زيارته بأنه يوجد بها عدد كبير من العلماء الذين ينحدرون من أصول عربية، إضافة إلى الصناع والتجار المقيمين والأغراب الذين يتمتعون برعاية الملك أكثر من غيرهم، وقد تميزت مدينة نياني لغناها فضلا عن غيرها من المدن، فقد كان أغلب سكانها أغنياء وذلك بفضل تجارهم من جني وتنبكت وتزويدهم بكثير من منتجاتهم، ينظر: امطير سعد غيث أحمد: **التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر**، دار الرواد، بنغاري، 1996م، ص190، محمود كعت التنبكتي(ت: 1200ه/1593م): **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار**، دراسة وتعليق: آدم بمبا، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، 1435ه/2014م، ص127، محمد فتحي عبد العزيز، **ابن بطوطة في بلاد السودان 731ه/754ه – 1331م/1353م**، ط1، دار الكتب والوثائق العلمية، القاهرة، 2017، ص 291.

[2] **نهر السنغال:** وهو من أكبر أنهار بلاد السودان الغربي ومن أهمها كذلك، ينحدر من هضبة فوتاجالون، ويتجه بعدها شمالاً ثمَّ غربًا نحو المحيط الأطلسي ويمتاز هذا النهر بانحدار مجدراه التدريجي في المنطقة المستوية الساحلية، وهو قليل العمق، إذ لا يتجاوز ثلاثة أمتار لمسافة تبلغ 350كلم من المصب، حيث كان له أثر كبير في التجارة ينظر: إلهام محمد علي ذهني: **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي**، دار المريخ، الرّياض، 1988م، ص 24. Didier (p) et autres **: poissons dafrique et peuples de leau**. IRD editions, marseille,2011, p250.

[3] **التكرور:** تدل كلمة تكرور على اسم شعب وبلد معا، وهم من أقدم الشعوب السودانية التي استوطنت الجزء الأوسط في فوتا السنغالية على جانبي نهر السنغال، وإن كان أكثرها على الجانب الأيسر من هذا النهر، وتنتشر مواطن التكرور أيضا في أنحاء افريقيا الغربية وخاصة في السنغال الأعلى، ولقد اتسع مدلول التكرور من المدينة حتى أصبح يشمل الإقليم الغربي من بلاد السودان، ثم توسع بعدها ليشمل مسلكه مالي الإسلامية وظل هو الاسم الشائع في المشرق لا سيما في مصر والحجاج، وتسكن قبائل التكرور اليوم معظم جمهورية السنغال ويزاولون أكثر المهن الحرفية ولو أنهم يعتمدون على الزراعة. ينظر: محمد بن عمر التونسي: **تشحيذ الأذهان مسيرة بلاد العرب والسودان**، تحقيق: خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعي، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965، ص35، خالدي مسعود: **الجاليات العربية والبربرية في افريقيا جنوب الصحراء (السودان الأوسط والغربي) بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين/ الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين**، أطروحة دكتوراه، إشراف: مسعود مزهودي، جامعة

وبذلك بلغت مملكة مالي من الإتساع ما لم تبلغه غانة قبلها، حيث أحكمت سيطرتها على جميع مناطق السودان الغربي، حيث يفيد العمري في مؤلفه مسالك الممالك بأن مملكة مالي الاسلامي تعد من أعظم الممالك التي شهدها السودان الغربي قائلا : " **أعلم أن هذه مالمملكة في جنوب نهاية الغرب متصلة بالبحر المحيط قاعدة الملك بها مدينة بيتي... وأوسعهم بلادا ...**"[1] ويفيد أيضا محمود كعت في هذا الصدد قائلا: "**و أما ملّ فإقليم واسع، وأرض كبيرة عظيمة مُشتلمةَ على المُدن والقَرى، ويد سلطان مل مبسوطة على الكل بالقَهرِ والغلبة وكنا نَسمَع من عوام عصرنا يقولون: سلاطين الدنيا أربعة، ما خلا السلطان الأعظم سلطان بغداد، وسلطان مصر، وسلطان برن وسلطان ملّ**"[2]، ويضيف محمود كعت في موضع آخر حول الإتساع الذي شملته هذه الأخيرة بقوله:" **إن ملّ مشتمل على نحو أربعمائة مدن وأرضها كثيرة الخير، ليس في ملكة سلاطين الدنيا غير الشَّام أحْسنَ منها**".[3] وفي سنة 653ه/1255 توفي الملك سندياتا كيتا بعد أن قضى في الحكم قرابة عشرين سنة[4].

وبعد وفاته إرتقى عرش المملكة عدة ملوك حملوا لقب "منسا"[5]حيث يعدُّ إبنه منسا ولي أوّل من خلفه على الحكم وذلك بين عامي (1255م–1270م) عرف بالتقوى والصلاح، وكان أول سلاطين مالي الذين أدوا فريضة الحج كما قام بتوسيع مملكة مالي

=الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2008/2009م، ص47، محمد بن ناصر العنبودي: **سطور: من المنظور والمأثور عن: بلاد التكرور**، ط1، الرياض، 1420ه/1999م، ص ص09–10.

[1] شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى ابن فضل الله العمري (749ه/ 1349م): **ممالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: كامل سلمان الجبوري ، ، دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م، ج4، ص-ص 49-50.

[2] محمود كعت: المصدر السابق، ص126.

[3] نفسه: ص128.

[4] القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص292. وريد عبد القادر نوري: **تاريخ الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء من القرن4– 10 ه/ 10– 16م**، جامعة الموصل، 1405ه/1985م، ص 149، الهادي المبروك الدالي: المرجع السابق، ص 52.

[5] – **منسا:** ويكتب كذلك منسى (بفتح الألف وسكون النون وفتح السين المهملة) وهو لقب يعني بلغة الماندنغو السلطان وأول من عرف به المنسا موسى ابتداء من القرن 7ه/13م، ينظر: ؤ ص 165.

معتمدًا قواد أبيه، ومستشاريه، وبعد وفاته تولى مقاليد الحكم ملوك ضعاف إتَّسمت المملكة حينها بنوع من الفوضى والاضطرابات إستمرَّت حتى نهاية القرن 9ه/11م إلى أن تمكن أحد موالي الأسرة الحاكمة ويدعى ساكورة من إنتزاع الحكم من أسرة كيتا[1]سنة 684ه/1285م، وعلى الرغم من أنَّه تمكّن من إغتصاب العرش في فترة إضطراب المملكة إلَّا أنه قام بدور كبير في كل ربوعها حيث استطاع إحكام سيطرته على الحوض الأوسط لنهر النيجر[2]، ومما يدل على قوة بأس هذا الملك وأنه كان ذا حنكة وشجاعة، وصف ابن خلدون لتوسعات مملكة مالي فترة حكمه بقوله: "**وكانت دولته ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم وتغلبوا على الأمم المجاورة لهم، وافتتح بلاد كوكو وأصهرها في مملكة أهل مالي، واتصل ملكهم من البحر المحيط وغانة بالمغرب إلى بلاد التكرور في المشرق، وعز سلطانهم، وهابتهم أمم السودان وارتحل إلى بلادهم التجار من بلاد المغرب وإفريقية**".

---

[1]- **أسرة كيتا:** وتعد من أهم الاسر في تاريخ مملكة مالي الاسلامية باعتبارها تشكل احدى شعوب المالنكي، استقرت هذه الأسرة حول نهر النيجر، وفي شرقي السنغال وجنوبه، بالإضافة إلى ضفتي غامبيا وغينيا بيساو، وقد شكلت منطقة نارينا في إقليم دو (Do) مركزها البدائي الذي استوطنته في بداية أمرها ومنه انطلقت كما أنَّ أغلب الروايات الشفوية تذكر أنَّ = الأصل البدائي لهذه العائلة قبل وصولها إلى منطقة النيجر والسنغال العلويين كان من الشرق، ينظر: نور الدين شعباني: **دراسات في تاريخ الإسلام والأسر الحاكمة الفاتحة في إفريقيا جنوب الصحراء**، الجزائر، ص 108.

[2]- **نهر النيجر:** ويشكل أحد أهم أنهار بلاد السودان الغربي، ينبع من المنحدرات الداخلية من هضبة فوتا جالون، ويمتدُّ في غرب إفريقيا على شكل قوس يتّجه من الجنوب الغربي حتى الشمال الشرقي على مسافة 4160 كلم إلى أن يصب في نهر تنكيسو من الجهة اليسرى بعدها يشكل حلقة كبيرة، ثمَّ يتّجه بعدها نحو خليج غينيا الذي يصب فيه، وفي هذا المسار يلتقي نهر النيجر بروافد المنبع العديدة من أهمها نياتان وميلو اللتان ينبعان من فوتا جالون، ويرفدان النهر الرئيسي في ضفته اليمنى، ونهر النيجر يقطع عدة دول وهي كل من غينيا ومالي والنيجر ونيجيريا، وعند مساره نحو الشمال الشرقي باتجاه مرتفعات الماندنجو يتفرع منه باتجاه المنحدر الشرقي نحو جوليبا والذي يعد موطن المالنكي الذي ظهرت فيه مملكة مالي الإسلامية، ولقد لعب نهر النيجر دورًا هامًا في تاريخ المنطقة باعتباره يمثل القلب النابض للتجارة النهرية التي مثلت بدورها أبرز عوامل ازدهار الممالك التي ظهرت على ضفافه، ينظر: نور الدين شعباني: **محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي**، دار الجزائر، الجزائر، ص6، إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص 24، محمد رياض وكوثر عبد الرسول: **إفريقيا دراسة المقومات القارة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**، القاهرة، 2012م، ص 104.

يتّضح لنا من خلال هذه الشهادة المصدرية التي توجز فترة حكم الملك ساكورة أنّ المملكة قد اتسعت حتى وصلت من البحر المحيط وغانة بالمغرب إلى بلاد التكرور فهابتهم كل أمم السودان الغربي هذا من جهة، ومن جهة أخرى أوضحت هذه الشهادة أيضا ما قام به الملك في مجال العلاقات الخارجية لاسيما في مجال التجاري، حيث شهدت بلاده حينها توافد الكثير من التجار من بلاد المغرب وغيره مما يدل على الإستقرار والأمن الذي عم مملكة طيلة فترة حكمه[1]هكذا وبعد أن تمكن ساكورة من رسم الحدود القوى للمالي، قام بأداء فريضة الحج سنة 700ه/1300م في أيام الملك ناصر محمد بن قلاوون (1233-1341م)، وفي أثناء عودته من الحج قُتِل في تاجوراء قرب طرابلس.[2]

وبعد مقتل الملك ساكورة تولى عرش مالي ملوك ضعاف ليس لهم دور يُذكر، إلى أن تولّى مقاليد الأمور منسا موسى[3](1312-1337) ويعد من أعظم سلاطين مالي، حيث وصفه ابن خلدون بقوله "**وكان رجلاً صالحًا وملكًا عظيم له في العدل أخبار تؤثر**".[4]

1- حسن حلمي أبو الفضل علي العسيري: **السياسة الخارجية لمملكة مالي الاسلامية (886-597ه/1484-1600م)**، ط1، مركز جمعية المجد للثقافة والتراث، دبي- الامارات العربية المتحدة، 1433ه/2020م، ص ص 69-70.

2- أحمد شكري: **الإسلام والمجتمع السوداني في إمبراطورية مالي 1230-1430م**، ط1، المجتمع الثقافي، أبو ضبي، 1999م، 185.

3- **منسا موسى:** حسب ما ذكرته بعض الروايات التاريخية أن اسمه الأصلي "كان نجو موسى"، ويعرف كذلك باسم "موسى الأول" أو "كنكن موسى"وعن ترجمة هذا السلطان الشهير، واسمه الأصلي يقول ابن كثير (774ه-1372م): ويقول له الملك الأشرف موسى بن أبي بكر..."**غير أنّه اشتهر في أغلب المصادر باسم "منسا موسى"** وهو ابن أخت سندياتاكيتا تولى عرش مالي حوالي (712-738ه/1312-1337م) عمل خلالها على توسيع رقعتها الجغرافية، فامتدت تخوم الصحراء إلى نطاق الغابات الاستوائية، ذاعت شهرته لما كان بمملكته من ثروات وآلهة وكرم أثناء تأديته لفريضة الحج سنة 724ه/1314م، وإذا كان الملك سندياتاكتيا يعد المؤسس الحقيقي لمملكة مالي الإسلامية، فإنّ المؤرخون في ذات الوقت يجعلون فترة حكم السلطان منسا موسى بمثابة العصر الذهبي لها.ينظر: إسماعيل حامد إسماعيل علي: **تاريخ ممالك افريقيا جنوب الصحراء في العصر الوسيط**، تقديم: حسن سيد عبد اله وكرم الصاوي باز، القاهرة، 2020، ص 35، الحاج موسى أحمد كامره: المرجع السابق، ص 181.

4- ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 415.

ففي عهده شهدت مملكة مالي الإسلامية قمة توسعها، حيث استطاع منسا موسى أن يعيد إلى هذه المملكة أمنها واستقرارها، وذلك بالقضاء على جميع الفتن الداخلية، ثم اتجه بعدها نحو الخارج أين قام حينها بفتح عدة مناطق ذات الأهمية، حيث استولى على تنبكت[1] التي كانت تشمل مركزًا حضاريًا متميّزًا وذلك أثناء عودته من الحج سنة 724ه/1324م، كما أحكم سيطرته أيضًا على مناجم الذهب في منطقة تغازا[2] والنحاس في

[1]–**تنبكت:** وهي من أشهر مدن السودان الغربي، يعود تأسيسها كما يقول عبد الرحمان السعدي: "**على أيدي توارق مقشرن في أواخر القرن الخامس من الهجرة**" حوالي سنة 1080م، وأنَّ أول من سكنها امرأة اسمها بَكَتْ وصارت علمًا من أعلام المنطقة، واشتقت منها اسمها، أمَّا عن موقعها فيذكر أنها تقع على الحافة الجنوبية للصحراء عند نهر النيجر الذي تبعد عنه بحوالي مائتي عشر ميلًا، والمدينة تملك موقع استراتيجي هام باعتبارها تمثل همزة وصل بين بلاد السودان، والصحراء الكبرى، ولقد توالت على هذه المدينة عدة سلطات وإنَّ أول من حكمها سياسيا هي مملكة مالي الإسلامية وذلك سنة 737ه ظلت تحكمها مائة عام، ثمَّ حكمها الطوارق في الفترة الممتدة بين (837–876ه) ثمَّ سنغاي من (873ه–898ه) ثم مراكش أن تمكن الطوارق من استرجاعها سنة 1207ه، ثمّ احتلّها بعد ذلك الفولانيين سنة(1243ه–1865م) حتى الدخول الفرنسي واحتلالها لها على يد القائد "جودر" سنة 1894م. ينظر: عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي (ت:1066ه/1655م): **تاريخ السعدي**، تحرير وتعليق وتقديم: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، = بيروت، 2012، ص20، الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص165، أكناته ولد النقره: **الطوارق من الهوية إلى القضية**، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية، موريتانيا، 1394ه–2014م، ص ص58 –60.

Sain louis: **notice sur larégon de tombouctou**، lmprimerie gouvernemenet، 1869، p: 23-24.

[2]– **تغازا:** أو تغزى أو تاغازا عند السعدي وكعت وقد تعرف بتغازي الغزلان ليس بها آبار أو عيون، تقع جنوب المغرب الأقصى على الطريق الرابط بين المغرب ومدينة تنبكت، وجل سكانها من قبيلة مسوفة، وهي تعتبر المصدر الأساسي لمعدن الملح، وقد قال عنها ابن بطوطة وقرية تغازة لا خير فيها ومن عجائبها أن بيوتها ومسجدها من حجارة الملح، وسقوفها من جلود الجمال وهو ما يدل على كثرة الملح بها، وإلى جانب ذلك قد ذكرها الحسن الوزان بأنها مكان مأهول فيه عدد من مناجم الملح التي تشبه مقالع الرخاميستخرج الملح من حفر تحيط بها أكواخ عديدة يسكنها المستخدمون لاستخراج هذا الملح وليسوا من سكان البلدة، ينظر: الحاج موسى أحمد كامره: المرجع السابق، ص 97. محمد محمود الأرواني(1393–1973م): **تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان،** دراسة وتحقيق وتقديم: الهادي المبروك الدالي، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2008م، ص64، الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 108.

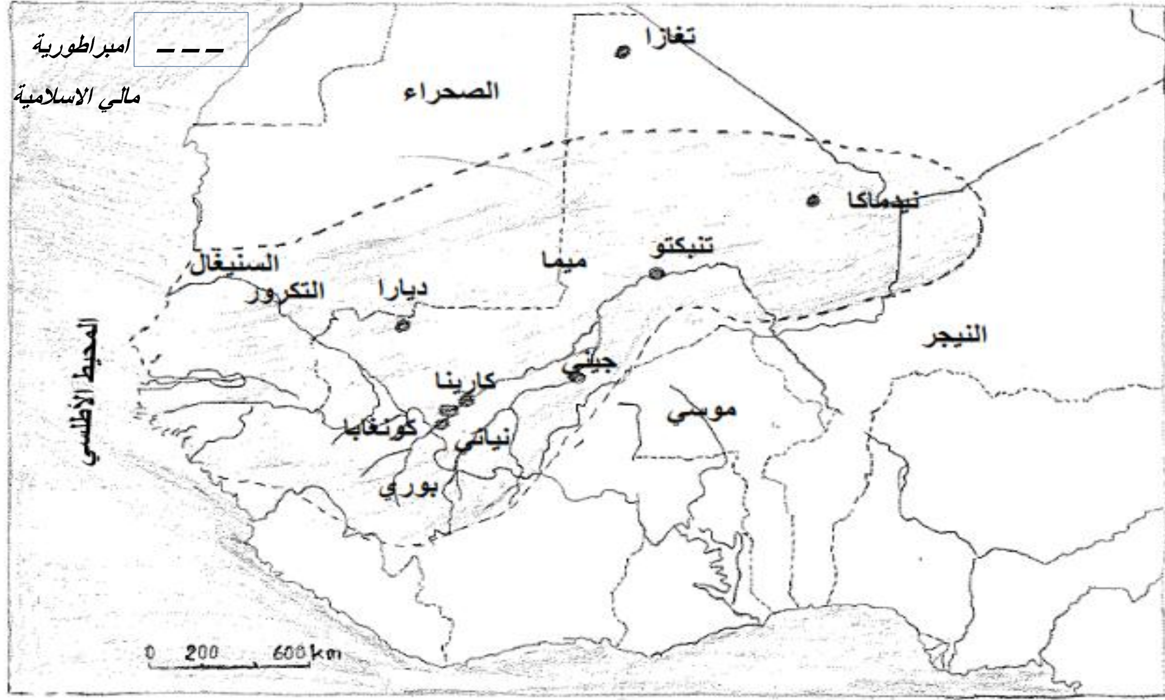
تكدا[1]ومناجم ونقارة الغنية بالذهب، ولعل أعظم المناطق التي سيطروا عليها منسا موسى هي جاو[2]، عاصمة سنغاي، وذلك دانت له كل قبائل بلاد السودان الغربي[3].

---

[1]– **تكدا/Takadda**: مدينة تجارية مهمة، تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تنبكت بحوالي أربعمائة وخمسين كلم، وهي المحطّ الرئيسي لطرق القوافل الممتدة من البلدان المغاربية، إلى السودان الغربي، زادت أهميتها بعد اكتشاف النحاس بها، حيث كان يستخرج من مناجمها، ويحمل إلى بلاد بالسودان، ويسبك في بعض الأحيان، وتصك منه العملة، ومن تكدا تسير القوافل إلى برنو، حيث تجلب العبيد والثياب وغيرها وتصدر منها السلع إلى بلاد المغرب، ولقد ذكرها القلقشندي في القرن 9ه/15م أنها مدينة غنية بالمناجم التي تشتهر بإنتاج كميات كبيرة من النحاس بإضافة إلى وجود معدن الملح بها، ينظر: محمد فتحي عبد العزيز: المرجع السابق، ص ص198–199، الأمين عوض الله: **تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي**، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1984، ص79.

[2]– **جاو/** Gao: مدينة عريقة ذكرت في المصادر العربية بعدة أسماء منها: جاو، كاغ، كاغو، موقعها تحديدًا على ثنية نهر النيجر، تبعد عن مدينة تنبكت بحوالي أربعمائة وخمسين كلم، يرجع الفضل في تأسيسها إلى إحدى القبائل السودانية وتدعى السروكو من شغب السنغاي الذي يقطن على ضفاف نهر النيجر وذلك في حدود القرن الثامن الميلادي، ولموقع جاو مميزات جعلت منها مدينة لها أهمية سيا سية واقتصادية كبيرة فمن الجانب السياسي مثلت الدور كعاصمة لمملكة سنغاي الإسلامية حيث ساد فيها الأمن والاستقرار، فتوسعت التجارة ووصلت حتى تنبكت وجاو وبعد (السنغاي)، واستمرت حتى الحكم المغربي لجني سنة1950م، أمَّا دورها الاقتصادي فقد مثلت هذه المدينة أحد أهم المراكز التجارية للبلاد السودان الغربي فموقعها الجغرافي على منحى نهر النيجر نحو الجنوب بإشرافها على حركة الملاحة والتجارة على امتداد نهر النيجر جعلها تعدُّ من أعظم المدن السودانية، ينظر: العمري: المصدر السابق، ج3، ص41، زمان عبيد وناس: **تاريخ مدينة كاو منذ نشأتها حتى سقوط إمبراطورية السونغاي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء (81–999ه /700–1590م)**، ط1، دار الأيام، عمان –الأردن، 2015م، ص ص23–25، محمد فتحي عبد العزيز: المرجع السابق، ص 293.

[3]– تقي الدين أحمد المقريزي(ت:845ه/1441م): **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق وتعليق: جمال الدين الشيال، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر،2000، ص140، العسيري: المرجع السابق، ص 293.



الشكل رقم 02: خريطة تبين مملكة مالي الإسلامية خلال عهد منسا موسى

نقلا عن: jean djigui keita:.op.cit. p191

(بتصرف)

وفي سنة (738ه/1337م) توفي الملك منسا موسى بعد حكم دام حوالي ست وعشرون سنة، شهدت خلالها مملكة مالي حقبة من أزهى حقبها التاريخية، حيث تعد مرحلة حكمه بمثابة العصر الذهبي لها.

وبعد وفاته تولى عرش مالي ملوك ضعاف فعاشت المملكة حينها حالة من الفتن والاضطرابات الداخلية، إلى أن اعتلى عرشها المنسا سليمان (1341–1360م) الذي عمل على استرجاع كل المقاطعات التي خرجت عن طاعة مالي فترة الاضطرابات التي سبقت عهده سوى جاو عاصمة سنغاي التي فشل في استرجاعها، وعمومًا فقد اتّسم عهده بالاستقرار والأمن كما أنّه لم يختلف عن أخيه منسا موسى في نهج سياسة خارجية مع بلاد المغرب وبوفاته بدأت مرحلة الصراع والتنافس حول العرش، وهوما أدَّى إلى تدهورها وسقوطها[1].

[1] – العسيري: المرجع السابق، ص ص74-75.

1-3- تدهور مملكة مالي الاسلامية وسقوطها:

أ- العوامل الداخلية:

استمرت مملكة مالي بإتمام دورها في بلاد السودان الغربي كمملكة عظمى لمدة طويلة وضمت من الأقاليم والممالك الصغيرة ما طالتها يدها، ووجدت نفسها في النهاية مسيطرة على رقعة جغرافية واسعة من الصعب التحكم فيها والسيطرة عليها وهو ما جعل أغلب الأقاليم التي كانت تابعة لها تنفصل عنها الواحدة تلوى الأخرى.

منذ نهاية القرن الرابع عشر الميلادي بدأت مالي تشهد حالة من الفتن والإضطرابات الداخلية بين أفراد الأسرة الحاكمة، فانشل الأمن الذي كان يعتبر العنصر الأهم في حياة مملكة وضعف ولاء الناس للعائلة الحاكمة وماتت هيبتها وإحترامها في نفوسهم[1]، وتشير أغلب المصادر التاريخية بأنَّ أول بوادر هذه الفتن الداخلية كانت عقب وفاة السلطان منسا سليمان كما أشرنا سابقًا، حيث يُذكر أنه بعد وفاته خلفه على العرش ابنه قنبنا بن سليمان الذي لم يدم في حكمه طويلا حتى مات بسبب فتنة داخلية كان هدفها في الغالب الطمع في الحكم، ثم خلفه من بعده ماري جاطة الثاني (1360-1374م) وهو ابن مغا بن منسا موسى وكان من أكثر الحكام تبذيرًا وإسرافًا للمال، وإذلالاً لشعبه طيلة فترة حكمه التي دامت حوالي أربعة عشرة سنة، ولقد قال ابن خلدون بأنه: "**أشرّ وال على شعب مالي**"، وبعد وفاته خلفه ابنه موسى الثاني (1374-1387م) عُرِف بحسن السيرة، وحبِّه للعدل والأمن، إلَّا أنَّه لم يتصف بالحنكة السياسية ولم يتمكن من تسيير الدولة بشكل سليم، وهو ما جعل وزيره الأول ماري جاطة بقوم بتدبير أمور المملكة دونه[2]، فقد أصبح المتحكم في دواليب السلطة وقائدها العسكري الأول، يرد عن ابن خلدون ما يفيد الدور الهام الذي لعبه هذا الوزير في الحفاظ على وحدة البلاد، وتأكيد سلطة مالي في جهة الشرق إذ "**دوخ أقطار الشرق من بلادهم وتجاوز تخوم كوكو وجهز إلى منازلة تكرت بما وراءها من**

[1]- عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص 149.

[2]- العسيري: المرجع السابق، ص ص141-142.

بلد الملثمين كتائب نازلتها الأول الدولة، وأخذت بمخففها، ثمَّ أفرجت عنها وحاطهم الآن هدنة".[1]

على الرغم من أنّ هذا الوزير أحسن تدبير أمور المملكة وأعاد لها بعض هيبتها، إلَّا أنه يعتبر مغتصبًا للعرش، فقد حجر على السلطان موسى الثاني، وقيد حركته، مما يعدّ نوعًا آخر من التلاعب بالحكم في مملكة مالي الإسلامية وتسبب ذلك في الكثير من الفتن السياسية، تواصلت عقبها الاضطرابات وسط الأسرة الحاكمة، مما أدى إلى حدوث صراع حول السلطة.

هكذا وعقب وفاة منسا موسى الثاني خلفه على العرش أخوه منسا مغا، إلَّا أنه لم يدم في الحكم طويلًا حيث قتل بعد سنة واحدة من توليه مقاليد الحكم وذلك سنة (790ه/1388م)، وتذكر المصادر أن الذي قتله هو وزير هصندكي) زوج أم منسا موسى المغتصب للعرش لكنه هو الآخر لم يدم طويلًا بعد اغتصابه للعرش فقد قام رجل من بيت ماري جاطة وقتله.

وفي ضل هذه الصراعات حول العرش ظهر زعيم من أسرة كيتا واسمه محمود وكان منفيا في البلاد الوثنية التي تقع جنوب مملكة مالي مستغلًا هذا الفراغ السياسي حيث تولى عرش المملكة وذلك سنة (795ه/1394م) وتلقب بلقب منسا مغا الثالث، لم يقدم للمملكة شيئا يذكر، بل أنَّ الصراعات في المملكة ظلت قائمة في عهده.

عموما فإن هذه الصراعات والفتن الداخلية على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة كان من أقوى العوامل التي أدت إلى ضياع مملكة مالي في المنطقة وتدهورها.

ب- العوامل الخارجية:

لم تكن الصراعات والفتن على العرش السبب الوحيد الذي كان وراء ضعف المملكة وتدهورها، بل كانت هناك أسباب أخرى خارجية ساهمت هي الأخرى في ضعف المملكة

[1]- زوليخة بنرمضان: المرجع **السابق**، ج2، ص510.

وسقوطها[1] فمع أواخر القرن الرابع عشر الميلادي بدأت تشهد حالة من الإنحطاط، وقد تزامنت هذه المرحلة مع تنامي قوى جديدة أخذت تشكل خطرًا كبيرًا بالضغط على أطرافها منها قبائل السنغاي[2] التي بدأت حينها تشهد نوعًا من التكتل والوحدة وقبائل الموشي[3] الوثنية التي كونت لنفسها مملكة عدت خصمًا قويًا للممالك الإسلامية القائمة حينها في المنطقة، بينما شهدت الأقاليم الغربية لاجتياح الكبير لقبائل الفلان[4] هؤلاء الذين شيدوا لأنفسهم مملكة قوية وموحدة على حساب مملكة مالي في المحيط الأطلسي[1].

---

[1]- العسيري: المرجع السابق، ص ص142-143.

[2]- **قبائل سنغاي:** وهم من الشعوب الزنجية الأصلية، يقطن هؤلاء الإقليم الواقع في جنوب تنبكت وعند منحنى نهر نيجر، ويعتقد أن هؤلاء مثلهم مثل الفولانيين قدموا إلى بلاد السودان الغربي في شكل هجرات كبرى التي اتجهت من الشرق إلى الغرب، ويعتقد كذلك أنهم نوبيون قدموا في القرن 7م من ضفاف نهر النيل، واعتنقوا الإسلام مطلع القرن 11م، وتعتبر نظرية أخرى أن شعب السنغاي الزنجي تكون أولًا من عشيرتين متنافستين هما السوركو والجبيبي: تعيش الأولى على صيد الأسماك والثانية على الزراعة قبل أن يغزوا البربر البلاد في القرن 7م ويشرفون عليها سياسيًا ويمتزجون بأهاليها، فأفرز هذا الاختلاط شعبًا لعب دورًا كبيرًا في بلاد السودان الغربي، حيث أسس هذا الشعب مملكة مزدهرة عاصمتها جاو وضمت كذلك جني وقد بلغت أوج مجدها خاصة على عهد الأسقيين خلال القرن 16م، أما من الناحية الروحية فقد ارتبط السنغاي ارتباطًا وثيقًا بالطريقة القادرية حيث كانوا من أشدّ المدافعين عنها.ينظر: محمد عدنان مراد: المرجع السابق، ص ص114-115، الحاج موسى أحمد كامره: المرجع السابق، ص ص37-168.

[3]- **قبائل الموشي:** وهم خليط من تزاوج المهاجرين المحاربين من قبائل الداغومبا القادمة من الجنوب مع أهالي المنطقة من فلاحي نيوسية وكييس وغوردس، تقيم هذه القبائل في منطقة فولتا العليا وهم من أهم عناصر سكان المنطقة تعد قبائل الموشي من المجتمعات الزراعية وهم ينقسمون إلى طبقتين، الأولى: طبقة ناكوشية وهي الطبقة الأرستقراطية ومنها الأسرة المالكة والنبلاء والقادة، أما الثانية فهي طبقة الشعب وبدورها تنقسم إلى أحرارا والسوقة الرقيق الذين هم عادة في خدمة الطبقة الأولى، وقد ظل الموشي على وثنيتهم لمدة طويلة ثم أسلموا بعد ذلك وما عرف عن هؤلاء بأنهم اشتهروا قبل إسلامهم بالغزو والذهب فلقد كانت علاقتهم مع أغلب الدول الإسلامية التي شهدها بلاد السودان الغربي تتسم بالعداء،لاسيما مع مالي وسنغاي.ينظر: العسيري: المرجع السابق، ص 145، وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص 300.

[4]- **الفلان:** يعتبرون الشعب المحرك للتاريخ السوداني،عرفوا بعدة أسماء منها، البول، الفولبي، الفولا، تضاربت الآراء حول أصولهم، وذلك لغموض الصادر التي تتحدث عن تاريخهم الأول ومواطنهم، فهناك من يربطهم لغويا ببلاد فوتاتورو، نظرًا للتقارب اللغوي بينهم وبين جيرانهم من السيرير والولوف، وهناك من يرى أنهم عنصر من البربر استقروا في منطقة أعالي السنغال، كما استقرت طائفة أخرى منهم في ماسينا، ثم تسربوا شرقًا حتى وصلوا إلى برنو، وهناك من يرى أنهم ينتمون إلى العنصر الحامي وجاؤوا من شرق إفريقيا في أزمنة غابرة، في حين تذكر نظرية أخرى أنهم كانوا يقيمون مع شعبي الولوف والسيرير في منطقة أوكاو وجنوب موروتانيا قبل أن يزحزحهم المرابطون باتجاه الجنوب نحو التكرور، حيث ارتبطوا بشعبها ارتباطًا وثيقًا إلى غاية القرن 14م ورغم الغموض والاختلاف الذي

- هجومات الموشي والطوارق[2] ومحاولة القضاء على مملكة مالي الإسلامية:

تشير بعض الكتابات إلى أن العلاقات بين الماندينغو والموشي كانت في كثير من الأحيان علاقات صعبة، أدت إلى حركات مد وجزر من خلال جليد من الشعوب العازلة المكونة من بوبو، سينوفو، مينيانكا...إلخ ولقد هاجم الموشي مقاطعات السوننكي الواقعة في وسط دلتا النيجر (ماسينا الحالية) وذلك خلال القرن 15م واحتلوا ولاته إحدى مدن سوننكي وذلك حوالي 1480م، وقد ترك الموشي أثارا في بلد سوننكي [3]وفي هذا الصدد يفيد السعدي حول إحدى الحملات التي تعرضت لها مالي من قبل الموشي عدت فيها تنبكت من أكبر المتضررين حيث يقول السعدي في ذلك: "**ثم غزا إليها أيام دولتهم سلطان موشي في جيش عظيم، فخاف منهم أهل مالي وهربوا وتركوا البلد لهم، فدخل فيها وأفسدها وحرقوها وقربها وقتل من قتل وأكل فيها من الأموال وولى إلى أرضه، ثم**

يكتنف أصل هذا الشعب، إلا أنهم قد ظهروا على مسرح التاريخ في القرن 11م في منطقة فوتاتورو بحوض نهر السنغال الأسفل، ومنها انتشروا شيئا فشيئا عبر براري السنغال وحتى ما وراء تشاد، ولقد استقرت اعداد كبيرة منهم منذ القرن 14م في منطقة ماسينا، وتسربوا منذ القرن 16م إلى جنوب الغوتاتورو والتي كانوا فيها إمبراطورية مع نهاية القرن17م وظلوا يشكلون غالبية سكانها.ينظر: الحاج موسى أحمد كامره، المرجع السابق، ص34، عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص ص27-28، مهدي رزق الله أحمد: **حركة التجارة والاسلام والتعليم الاسلامي في غربي افريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية**، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، 1419ه/1998م، ص 247.

[1]- العسيري: المرجع السابق، ص 142 وبعدها.

[2]- **الطوارق:** تختلف الروايات بل وتتضارب حول منشأ التسمية ومعناها، حيث يرى البعض أن هذه التسمية قد اشتقت من اسم الوادي الذي سكنته بعض قبائل الملثمين قديما، وهو وادي درعة ويسمى بالطارقية (تاركا) ومعناها الوادي أو مجرى النهر، ويرى آخرون ان تسمية (التوارق) اشتقت من "تارقا" وهي التسمية الثانية لمنطقة فزان بليبيا وتعد احدى معاقلها في حين هناك من يرى أن كلمة (التوارق) جمع لكلمة "التارقي" المفردة، ذلك أن العرب أطلق عليهم اسم التوارق نسبة إلى قبيلة "تارغا" احدى قبائل البربر القاطنة بالصحراء أما عن أصولهم فهم ينتسبون إلى قبيلة صنهاجة، وصنهاجة ينتسبون إلى حمير وهم ظواعن في الصحراء، لا يطمئن بهم منزل، ليس لهم مدينة يأوون إليها ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد المغرب، وقد تميز التوارق بطول القامة والأجسام القوية وجوههم بارزة وبشرتهم أقرب إلى الصفراء وعيونهم سوداء وشعر أسود كذلك وهؤلاء كلهم مسلمون، وقد لعبوا دورا كبيرا في نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي. ينظر: أكتانة ولد النقرة: المرجع السابق، ص ص 33-34، العسيري: المرجع السابق، ص144، نافذ أيوب بيلتو ومحمود شاكر: **مالي**، المكتب الإسلامي، بيروت، 1406ه/1986م، ص ص69-71.

[3] jean djigui keita: op، cit، p93.

رجع إليها أهل مالي وملكوها مائة عام" ولقد استمرت مالي تعاني من هجوماتهم حتى تمكن سني علي[1] من هزيمتهم سنة 887ه/1483م.

وإلى جانب ذلك فقد تزامنت الضغوطات التي كان يشنها الموشي مع تصاعد هيمنة الطوارق هؤلاء الذين أخذت قبائلهم تغير على الأقاليم الشمالية والشرقية، وتمكنت من السيطرة على تادمكة[2] التي كانت تمثل حينها مركزًا تجاريًا وثقافيًا هامًا فترة ازدهار مملكة مالي الإسلامية، ولم يكتفي الطوارق بهذا فحسب، بعدها واصلوا هجومهم على بقية ممتلكات هذه المملكة حتى تمكن هؤلاء من الإستلاء على أروان[3] وتنبكت[1] وولاتة[2] وذلك

---

[1]- **سني علي:** وقد ذكر اسمه أيضا في بعض المصادر بــ: سن علي، ويعني اسم (سني) باللغة المحلية الخليفة، ينسب هذا الأخير إلى أسرة ديا (Dia) التي قدمت من طرابلس الغرب واستقرت في تلك المناطق، نشأ وترعرع في بيت أخواله في منطقة قار، تولى مقاليد الحكم بمملكة سنغاي الإسلامية سنة 869ه/1464م يعدُّه المؤرخون أنه من أشهر ملوك المرحلة الأولى من تاريخ هذه المملكة فمنذ توليه زماما الحكمة عمل على تنظيم مملكته إداريًا والرقي بها اقتصاديا وفكريًا، ولقد استمر سني علي حاكمًا ذا قوة عظيمة كما وصفته بعض المصادر المحلية إلى أن توفي سنة 899ه/1493م، إثر مؤامرة منة طرف قائد جيشه الأسقيا محمد وذلك بعد أن مكث في الحكم حوالي سبعة وعشرون سنة.ينظر: مولاي أحمد بابير الأرواني: **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية**، تحقيق: الهادي المبروك الدالي، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط$_1$، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2001م، ص61، إسماعيل حامد إسماعيل علي: المرجع السابق: ص 74، ك – مادهوبانيكار:**الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا**، ترجمة: أحمد فؤاد بعليع، ط$_2$، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1998م، ص123.

[2]- **تادمكة:** وقد عرفت أيضًا بمدينة السوق، تعد من أهم المراكز التجارية في الصحراء، تقع على بعد 25كلم تقريبًا من مدينة كيدال إلى الشمال من جاو، أمًا عن أصل تسميتها بمكة فيقول الحميري: "**وتاد مكة أشبه بلاد الدنيا بمكة، وهي مدينة كبيرة من جبال وشعاب، وهي أحسن باء من مدينة غانا ومدينة كاو...**" أمّا عن تأسيسها فكان في مطلع القرن الأول الهجري، وبقيت مركز إشعاع علمي، ونفوذ سياسي وتجاري ما يزيد عن قرن، اشتهرت خلاله كمركز حضاري وعلمي واقتصادي هام باعتبارها كانت تمثل ملتقى للحضارات القادمة من شواطئ البحر الأبيض المتوسط، ومن سواحل بلاد غرب إفريقيا وقد شكلت تاد مكة همزة وصل بين مختلف حواضر بلاد المغرب، وبين بلاد السودان الغربي، وما يؤكد = كذلك كون جميع المؤشرات التجارية والثقافية وغيرها تأتي من الشمال نحو الجنوب.ينظر: ابن حوقل: المصدر السابق، 101 أكناتة ولد النقرة، المرجع السابق، ص56، أحمد مولود ولد أيدّه: **الصحراء الكبرى مدى وقصور**، دار المعرفة، الجزائر، 2009م، ص41، البكري: المصدر السابق، ج2، ص: 370.

[3] **أروان:** مدينة من بلاد أزواد في شمال غربي مالي حاليا، وهي من مدن بلاد شنقيط " بلاد البيضان " قديما، وتعد أروان من المراكز العلمية المهمة عرفت نهضة علمية بأن ارتادها العلماء منهم أحمد بابير الأرواني، ومحمد محمود الأرواني وكان لهم مؤلفات في علم الفلك والتاريخ والحساب والنحو وغيرها. ينظر: موسى كمرا (ت:1364ه/1949م):

سنة 837ه/1433م وقد استمر الطوارق يحكمون تنبكت لمدة أربعين عامًا، علمًا أن هذه الأخيرة كما أشرنا سابقًا كانت من أهم وأكبر المدن في مملكة مالي، فبخروجها عن قبضة المملكة إلى جانب المناطق الشمالية الأخرى فقدت مالي سيطرتها على التجارة الصحراوية، مما أدى إلى عجزها اقتصاديًا، حيث عاشت المملكة فيما يمكن أن نطلق عليه بمرحلة الاختناق الاقتصادي، لأن التجارة الصحراوية كانت تمثل العمود الفقري الذي تقوم عليه هذه المملكة.

ونتيجة لتراجع سيطرة مالي على الأجزاء الشمالية من أطرافها جعلت قبائل الطوارق يخرجون عن سيطرتها ويهاجمونها.[3]

= **تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى**، تحقيق: حماه الله ولد السالم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2009، ص80، محمد محمود الأرواني: المصدر السابق، ص25.

[1]– زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2، ص527، السعدي: المصدر السابق، ص 8.

[2]– **ولاتة**: الحاضرة العتيقة الواقعة في أقصى "جنوب الشرق الموروتاني العالي " (ضمن ولاية الحوض الشرقي).تُرجع بعض الدراسات تاريخ تأسيسها إلى ما قبل القرن العاشر ميلادي، في حين تجمع جل المعطيات التاريخية على أنّ تأسيسها كان بعد ذلك بكثير، ولعل مرد ذلك أنّ الكثير من الكتابات تخلط بين مدينة ولاتة، ومدينة بيرو التي من المحتمل أنها ظهرت على عهد مملكة غانة، ويعتقد هو داس (Hou das) في ترجمة لتاريخ الفتاش أن بيرو هي نفسها ولاتة، ونجد هذه التسمية أيضا في تاريخ السودان، فالسعدي يؤرخ لنشأة تنبكت بعد اضمحلال بيرو، الرحالة ابن بطوطة (ق 14م) يطلق على المدينة اسم إيولان ويعرف سكانها بمسوفة، وبالنسبة للرحالة البرتغالي فلانتان فرناندر(بداية ق 16م)فإنه يشير إلى وجود ملكين في ولاتة واحد أسود والآخر أبيض بقوله: "**ولاتة مدينة كبيرة تبعد عن تيشيت بثمانية أيام، في هذه المدينة يوجد ملكين واحد أبيض والآخر أسود، لأن المدينة توجد على حدود بلاد الزنوج ولكن سكانها مسلمون...**"هكذا تحدثت المصادر التاريخية عن ولاتة، عمومًا فهي تعد من كبريات حواضر الإسلام والثقافة العربية في غرب الصحراء والسودان، فقد صارت منذ القرن 9ه مركز عالميًا، وهي كذلك مركز تجاري قديم ظل مزدهرًا لعدة قرون، ومنذ القرن 16م عرفت المدينة نهضة علمية وفكرية كبيرة وأصبحت تمثل واحدة من أهم المراكز الثقافية الكبرى.ينظر: حماه الله ولد سالم: **تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية**، ط2، منشورات الزمن، الدار البيضاء –الرباط، 2007، ص ص164–165، رحال بوبريك: **المدينة في مجتمع البداوة التاريخ الاجتماعي لواتة خلال القرنين 18و19**، ط1، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط –المغرب، 2001م، ص ص11–12. Leuicko (T**): etudes maghre bines et soudanaises**, academie polonaise des sciences, 1976,p66.

[3]– العسيري: المرجع السابق، ص 145.

- توسعات السنغاي ودورها في تدهور مملكة مالي:

على الرغم من الهجومات التي ألحقها الموشي والطوارق على أطراف المملكة، والتي أثرت بشكل بارز في تصدع بنياتها، إلا أنها لم تكن حاسمة في الضعف الذي حل بمملكة مالي، فالضعف الحقيقي هو الذي جاء مع هجومات ملوك السنغاي على مختلف مقاطعاها، حيث يعد سني علي أحد ملوك السنغاي الذين قاموا بغزو مالي، فقد إستولى هذا الأخير على تنبكت سنة 896ه/1490م ودمرها، ثم إستولى بعدها على جني سنة 882ه/1477م فكلاهما كانتا ضمن أملاك مملكة مالي الإسلامية.[1]

هكذا وقد تواصلت هجومات السنغاي على المملكة من طرف ملوكها، ففي عهد الأسقيا إسحاق الأول (1539-1549م) هاجم مالي، ويذكر أنَّ أول حملاتهم تلك التي إستهدفت إقليم السندوجو وذلك سنة 949ه/1542م، وفي سنة 1546 شنَّ جيشه أيضًا هجومات على عاصمة المنسا على غفلة من أهليها.

وليس هناك فحسب فقد تابع الأسقيا داوود (1550-1582م) سياسة أخيه إسحاق في الهجوم على المملكة والضغط عليها كذلك إلا أن هذا الملك فشل في تحقيق مشروعه هذا الذي كان يهدف من خلاله ضم مالي إلى سنغاي.[2]

---

[1]- العسيري: المرجع السابق، ص146.

[2]-زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2، ص ص530-531.

- الفلان وانهيار مملكة مالي:

شكل الإجتياح الكبير للفلان خطرًا حقيقيًا ساهم بصورة كبيرة في إنهيار مملكة مالي الإسلامية، وتفيد المصادر البرتغالية أن هذا الإجتياح حدث منذ وقت مبكر وذلك حولي سنة 1450م، حيث إنطلق هؤلاء المهاجرون من الساحل وعبروا أعالي السنغال وجامبيا إلى أن وصلوا فوتاجالون حيث الأراضي المرتفعة الصالحة للرعي، ومن تلك الأثناء بدأ هؤلاء يعملون على جذب وجمع إخوانهم المتفرقين هنا وهناك، وبالقرب من تليميلي جمي سانجان، إستطاع أحدهم ويدعى تينا نجلا من تجميع الفولبي وبدأ يدير شؤونهم وذلك ما بين عامي 1460م-1464م.

ومع نهاية القرن الخامس عشر خرج هؤلاء من قاعدتهم الفوتاجالون، وبما أنهم لم يجدوا أمامهم سوى بلد منهار تمكنوا من إحكام سلطتهم على جيرانهم دون صراعات، فذهبوا وولي (wuli) وحاربوا مالي التي زعزعوا قوتها.

وفي مطلع القرن 16م بدأت مرحلة جديدة من تاريخهم ذلك أنهم بعد أنْ تمكّنوا من فرض أنفسهم كحكام على الجالم، انطلقوا تحت زعامة كولي (koli) ابن زعيهم تينا نجلا لإخضاع الفوتاتورو.[1] هكذا وقد أخذت قوة هذه الدولة الناشئة تكبر بشكل مستمر وربما امتدت بزعامة كولي لتشمل بعض قبائل لمتونة[2] البربر الرحل في جنوب موريتانيا

[1]- **فوتاتورو:** تقع شمال شرق السنغال، وجنوب غرب موريتانيا، ويشقها النهر السنغالي الذي ينبع من فوتاجالون بغينيا عبر مالي متجها نحو المحيط الأطلسي ليلتقي به عند مدينة سانلوي، أما عن اسم فوتا فلا نجد ذكره لدى المراجع القديمة فاللذين كتبوا حول حوض نهر السنغال كانوا يستخدمون في الغالب اسم (تكرور) كدلالة على الأماكن الواقعة عند دلتا نهر السنغال وتسمى تورو تميزا لها عن فوتاجالون الواقعة جنوب شرقي النهر أيضا والفوتاتورو هي التي خرج منها الحاج عمر الفوتي (ت 1865م) .ينظر: عمر محمد صالح: **الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي،** ط1، مؤسسة الرسالة، 1413ه/1993م، ص 40، موسى كمرا: المصدر السابق، ص ص 70-71.

[2]- **لمتونة:** وتعد من أهم القبائل البربر الرئيسية التي ظهرت في جنوب المغرب الأقصى خلال القرن 5ه/11م كقوة سياسية وقد اندمجت مع قبائل البربر المشهورة آنذاك وهي جدالة، ومسوفة ولمطة بظهر دعوة البربطين وكونت دولة المرابطين وقبائل البربر هذه تعود كلها إلى قبيلة صنهاجة الأم وكان زعيمها الأول يدعى برلوتان الذي وصف بالتقوى والصلاح وقد دان له ملوك السودان، وفي سنة 831م توفي هذا الأخير ليخلفه أحفاده، وقد ساءت الأوضاع هذه القبائل

الحالية، وفي حوالي سنة 941ه/1534م وجه حملة نحو بامبوك طمعًا في السيطرة على مناجم الذهب بها، غير أنه اضطر إلى التراجع.[1]

وفي سنة 943ه/1537م توفي زعيم كولي تنغيلا (koli tanguella) فواصل خلفائه سياسته التوسعية، مستغلين الوضع السياسي المتدهور في المنطقة هذا من جهة، وتمركزهم قرب المراكز الكبرى للتجارة البحرية من جهة أخرى.

وفي سنة 1550م استفاد الفولبي من تصدع مملكة الولوف، ففرضوا سلطانهم على ما تبقى من ممتلكاتهم، ومدّوا نفوذهم حتى مصب نهر السنغال.

ومع حوالي مطلع القرن السابع عشر لم تعد امبراطورية الفولبي الكبرى تشمل الساحل السوداني فقط، بل امتدت حتى الجنوب بحيث أصبحت تشمل الفوتاجالونويمبوك، فقطع بذلك الطريق بين مالي وممتلكاتها المحاذية للمحيط الأطلسي، وإلى جانب ذلك فقد أدت هزيمة سنغاي أمام المغاربة سنة 1591م إلى خراب العاصمة نياني بشكل سريع، واحتلال الفولبيوالبسبارا لأراضي مملكة مالي الإسلامية، ونفي سلطانهم ووفاته بمنفاه عجل بالتفكير النهائي لسقوطها.[2]

2- مملكة سنغاي الإسلامية:

تعدّ مملكة سنغاي الإسلامية ثالث أكبر تنظيم سياسي شهدته بلاد السودان الغربي، وقد بدأت بذورها في القرون الميلادية الأولى، حيث عاصرت مملكتي غانة ومالي اللتان نشأتا حول نهري النيجر الأوسط والأعلى، وانتهت غانة ومالي وبقيت سنغاي حتى سنة 1591م.

=البربرية حتى تمكن هؤلاء من استعادة وحدتهم ونفوذهم أيام أميرهم الجديد يحي بن إبراهيم الكرالي وذلك سنة 1036م، ينظر: وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص 297.

[1]- زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2، ص ص534-535.

[2]- نفسه: ص 536.

يتفق جلّ الباحثين أنَّ القاعدة الأم لشعوب السنغاي هي مدينة كوكيا[1]، وذلك قبل نزوحهم في اتجاه الشمال واستقرارهم بمدينة جاو التي ستنطلق منها معظم حملاتهم العسكرية ضد هيمنة الماندي، والطوارق فيما بعد قبل أن تصبح عاصمة لإمبراطورية عظمى في السودان الغربي.[2]

2-1- تأسيسها:

تفيد الروايات التاريخية أنَّ البدايات الأولى لظهور المملكة تعود إلى أن جماعة من شعب السنغاي وهم الصيادون المعروفون باسم السوركو كما أشرنا إليهم سابقًا كانت تستغل سهولة المواصلات النهرية بفضل قوارب الصيد لإحكام سيطرتهم على إخوانهم المزارعين، المعروفون باسم الجابيبي، حيث تتحدث الروايات المحلية عن الضغوط التي كان يمارسها السوروكو[3]، ولعلا ذلك استنكارًا لجنوح إخوانهم للفلاحة، فقد كانت الفلاحة عندهم عملا فيه استسلام وذلة لا تليق بالمغامرين، وهكذا فقد تعود السوركو الصيادون على أن يجمعوا قواربهم، وأن يهاجموا إخوانهم المزارعين، ويسرقون متاعهم، ويقتلون كل من اعترضهم، ثم يهربون.

وفي حوالي سنة 700م هاجرت قبائل لمطة[4] من البربر إلى مناطق المزارعين من شعب السنغاي، وقد كان قائدهم المهاجرون يدعى "زا الأيمن" هذا الأخير الذي هاجمهم،

[1]- أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الاسلامي**، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990م، ج6، ص 121.

[2]- **كوكيا:** اصطلاح لغوي في لغة السنغاي يعني "الجزيرة"، أما "يا" فتفيد التصغير فهي إذا عبارة عن جزيرة صغيرة بمياه النيجر قبل أن تغمرها المياه في المراحل التالية، لم يتمكن الباحثون من تحديد مكان كوكيا ذلك أن جميع الاستكشافات التي مرت بالمنطقة لم تتوصل إلى أي شيء يعود بنا تاريخها إلى العهد الأول لسنغاي، وبالرغم من ذلك تجمع النصوص التاريخية على أن كوكيا وجدت بالفعل وقد ظلت تشكل مقرا مفضلا لدى بعض سلاطين سنغاي حتى بعد انتقال العاصمة إلى جاو. ينظر: السعدي: المصدر السابق، ص4، زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2، أحمد شلبي،: المرجع السابق، ص 297.

[3]- زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2، ص ص 390-391.

[4] **لمطة:** يقع موطنها جنوب المغرب الأقصى وصلت مضاربها إلى ما وراء بلاد السوس ولها اتصال كبير لبلاد السودان الغربي، ينظر: خالدي معود المرجع السابق، ص60.

ودخلوا معظمهم في صراع إنتهى بهزيمة السوركو، وأجبرهم على مغادرة كوكيا حيث طردهم بعيدًا إلى الشمال وقد فرح مزارعو سنغاي كثيرًا بهذا البطل، وجعلوه ملكًا عليهم.[1]

2-2- الإسلام في سنغاي:

حسب ما أشارت إليه المصادر التاريخية أن دخول الإسلام إلى مملكة سنغاي كان مبكرًا وذلك سنة 81ه/700م، ولم تمدنا المصادر كثيرًا من ذلك، إلا أن أول ملك دخل الإسلام يسمى زاكوسي[2]، وفي ذلك يقول السعدي "**وأول من تملك فيها من ملوك زا الأيمن... ثم زاكنكن هؤلاء أربعة عشر ملوكًا ماتوا جميعًا في جاهلية وما أمن أحد منهم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم والذي أسلم منهم زاكسي يقال لهم في كلامهم مسلم دم معناها أسلم طوعًا بلا إكراه...**"[3] وذلك سنة 400ه/1009م، ولقد استهل زاكوسي حكمه بنقل عاصمته من كوكيا إلى جاو على ثنية النيجر العليا لكونها تتوسط أراضي سنغاي.[4]

وإلى جانب ما تم ذكره حول اعتناق أول ملك للإسلام في سنغاي فقد تم سنة 1357ه/1939م العثور في بلدة "ساني" التي تقع على بعد أربعة أميال من مدينة جوا الحالية على شواهد لقبور ملكية يعود تاريخها إلى نهاية القرن 11م، وقد كتب على إحدى هذه الشواهد ما يلي: "**هذا جثمان الملك الذي دافع عن دين الله، ويرقد الآن في رعايته، أبو عبد الله محمد سنة 494ه/1100م**"[5].

ومما سبق يتضح لنا أن دخول الإسلام بسنغاي لم يكن حديثًا، ولم يدخل دفعة واحدة، فقد كانت هناك مجموعات دخلت الإسلام قبل إسلام الملك زاكوسي، في حين دخلته

---

[1]- نور الدين شعباني: محاضرات، المرجع السابق، ص 61.

[2]- أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 122، محمود كعت، المصدر السابق، ص 41.

[3]- السعدي: المصدر السابق، ص 03.

[4]- حمدي عبده سلامة موسى: **إفريقيا قارة الإسلام** ط1، مصر، 2013م، ص176.

[5]- مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص 232.

مجموعة أخرى مع الملك، أمّا عن الإنتشار الواسع للإسلام وتدفقه فقد كان أثناء حركة المرابطين التي أدّت دورًا كبيرًا في نشره في البلاد التي إقتحموها، والبلاد المجاورة لها، وحتى وإن لم يكن المرابطون قد دخلوا سنغاي، إلّا أنّ حركتهم دفعت الإسلام للتقدم حتى في خارج حدودهم.[1]

2-3- سنغاي خلال عهد سني علي (1464-1492م):

كانت مملكة مالي الإسلامية خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر قد بلغت أوج قوتها وتوسعها، حيث بسطت نفوذها على مملكة سنغاي الناشئة، بعد أن تمكن أحد قادة منسا موسى ويدعى سقمنجة من الاستلاء عليها، وقد كان منسا موسى حينها عائدًا من حجته الشهيرة، فعندما بلغه خبر الاستلاء على جاو والتي استعصت على كل الذين سبقوه، فعرج عليها في طريق عودته، واصطحب معه ابني ملك سنغاي (زاياسبي) وهما علي كولن وسليمان نار كرهائن لضمان خضوع جاو لطاعته.

ومع مرور الزمن إستطاع الأخوان الهروب من سلطان مالي، وأن يتجها نحو جاو، فأنقضاها، وأعلن علي كولن نفسه ملكًا على سنغاي ولقب نفسه بسني، وأسس بها أسرة حاكمة عرفت بأسرة سني، وبدأ بعدها مباشرة بتدعيم مملكة سنغاي وتقويتها بما ضمها إليها من أرض جديدة حتى أصبحت مملكة ذات شأن كبير في السودان الغربي.[2]

تعتبر المصادر السودانية أن سني علي أكبر جندي عرفه السودان الغربي وربما لعدد غزواته التي غطت ثمان وعشرين سنة من حكمه لسنغاي وقد كان سني علي محاربًا قويًا، لم يسجل عليه أي انهزام، أو تراجع أمام خصومه، وفي ذلك يقول عنه محمود كعت: "**كان منصورًا وما قابل أرضًا قصده إلّا خربه، وما كسر له جيش كان فيه إلا**

---

[1]- مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص 232.

[2]- حسن علي إبراهيم الشيخي: **تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن السادس عشر ميلادي**، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد علي محمد الطيب، جامعة أم درمان الإسلامية، 2008/2009م، ص 434.

غالبًا غير مغلوب، لم يترك بلدًا ولا مدينة ولا قرية من أرض كنت إلى شبرك إلا وقد جرى فيه، وحارب أهله وغار عليهم ".[1]

وتذكر الروايات الشفوية أن سني علي قضى ثلاثين سنة التي تمثل فترة حكمه يقاتل في سبيل اتساع رقعة ملك السنغاي ففي سنة 1468م تمكن من الاستلاء على تنبكت باعتبارها الصورة الحقيقية لتاريخ العلاقات التجارية والثقافية بين شمالي الصحراء وجنوبها، لذا فقد كان الإستيلاء عليها يعني ضم أكبر عنصر حضاري إلى مملكة سنغاي الإسلامية.

وفي سنة 882ه/1477م تمكن أيضا من فتح جني[2] التي عجزت مالي عن فتحها، حيث يقال أن مالي شنت عليها حوالي 80 غزوة، ولكنها لم تتمكن من إخضاعها.

وبعد القضاء على نفوذ جنى السياسي اتجه نحو الموشي الوثنية، فقاتلهم طوال أربعة سنوات من سنة 1483م، إلى سنة 1486م وكسب عدة معارك في بلادهم، واستباح

---

[1]– زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2، ص ص399–400.

[2]– **جني:** اسم حضارة ذات دور عالمي وحضاري كبير، تقع على مسيرة مئتي ميل من الجنوب الغربي من تنبكت، تأسست في منتصف القرن الثاني الهجري، 8م في سنة 425ه/1045م أمّا عن المجموعة السكانية التي ترجع لها الفضل في تأسيسها فقد اختلف فيها المؤرخون، فموريس دولافونس يرى بأنهم السوننك انطلاقًا من وجهة نظره بأنّ تأسيسها كان أحد نتائج سقوط مملكة غانة على يد قبائل الصوصو مطلع القرن الثالث عشر، ويشير مونتاي Ch-Mantiel أن الفضل في تأسيس جني يعود إلى مسوفة، أما عن دخول مدينة جني الإسلام فلم تكن مدينة إسلامية منذ نشأتها كمدينة تنبكت فحسب رواية السعدي بأن دخول أهلها للإسلام كان بإسلام ملكهم نهاية القرن السادس هجري /12م، بلغت هذه المدينة درجة من التقدم والازدهار في ضل الحضارة الإسلامية في المجالين الاقتصادي والعلمي خاصة على عهد مملكة سنغاي الإسلامية، حيث أصبحت قاعدة اقتصادية قوية تعتمد عليها سنغاي اقتصاديًا وتجاريًا، وهكذا أصبحت جني إلى جانب مكانتها العلمية مركزًا تجاريًا وثقافيًا مهمًا من بين المراكز الحضارية الأخرى التي شهدتها بلاد السودان الغربي، ينظر: السعدي: المصدر السابق، ص 12، الوزان: المصدر السابق، ج2، ص166، عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الاسقيين 1493–1591م**، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، ص 106.

إصلاح محمد البخاري حمودة: انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ما وراء الصحراء تنبكت، غدامس نموذجًا (7–11ه/13–17م)، ط1، دار الكتب الوطنية، 2004م، ص ص23–159.

آبارهم، وفض عليهم مدنهم، ووجد الموشي أن سني علي أقوى من أن يحاربوه فداروا بوجوههم نحو مملكة مالي التي كانت تعاني من ضغوط السنغاي.[1]

هكذا وبفضل هذه الإنتصارات نقل سنى علي دولته من دولة صغيرة إلى مملكة مترامية الأطراف، حيث شملت جزءًا كبيرًا من السودان الغربي، وامتدت غربًا حتى أعالي النيجر والسودان، أما في الشمال الغربي حتى إقليم أدرار، والمقابل للرأس الأبيض تقريبًا. لذا فقد ضاعت شهرته خارج البلاد، فقد عرف بأنه "**أقوى ملك أسود في غربي إفريقيا**".[2]

وفي سنة 1492م توفي سني علي بعد حكم دام حوالي ثمانية وعشرون سنة، وبوفاته آل العرش من بعده إلى ابنه أبي بكرٍ لكنه لم يدم في حكمه طويلًا، فقد توفي سنة 1493م، بعد أن ثار عليه أحد قادة جيشه ويدعى محمد بن أبي توري وقتله، ثم إستولى بعدها عنوة على عرش المملكة، فانتهى بذلك حكم أسرة سني، وتلقب محمد بن أبي توري لقب الاسقيا الكبير بعد أن تولى حكم البلاد بداية من سنة 1493م.

1- محمد عبد الفتاح إبراهيم: **إفريقية من السنغال إلى نهر جوبا**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 112.

2- السعدي: المصدر السابق، ص6، إبراهيم علي طرخان: "**دراسات في تاريخ إفريقية الإسلامية قبل عصر الاستعمار: إمبراطورية صنغي الإسلامية**"، مجلة كلية الآداب، مج 8، السعودية، 1981م، ص 20.

2-4- سنغاي خلال عهد الأسقيين:

- الاسقيا محمد الكبير[1](1493-1528م):

وهو رأس الأساكي الجديدة، التي بلغت سنغاي على عهدها عصرها الذهبي فمنذ توليه مقاليد الحكم سنة 1493م قام بتحويل نظم دولته من نظم القبيلة إلى نظم الدولة[2]، حيث قام بإدخال عدة إصلاحات إدارية في البلاد، وجعل الخدمة العسكرية تنفصل عن العمل المدني وأصبح الجيش يتوفر على نظام مستقر، وبهذا النظام غيّر طريقة الاستنفار التي كانت معتمدة خلال العهد القبلي السابق.[3]

وعلى عادة سلاطين السودان الغربي قام السلطان الأسقيا محمد الكبير بأداء فريضة الحج سنة 901ه/1496م ويذكر المؤرخون أنه التقى أثناء رحلته بالإمام جلال السيوطي، وانبهر به وبنصائحه له، وبعمله حيث تعلم على يده كما يقول الوفراني: "**فأخذ عنه عقائده، وتعلم منه الحلال والحرام، وسمع جملا من آداب الشريعة وأحكامها، وانتفع بوصياه ومواعظه...**"[4]، وبعد عودته من الحج سنة 1497م، اهتم بتنظيم دولته ثم شرع بعدها في توسيع حدودها، فقام بتوجيه عدة حملات عسكرية ضد قبائل الموشي الوثنية،

1- **الأسقيا محمد الكبير**: وهو عبد الله الحاج محمد بن أبي من أصل سوننكي، إذ كان من قبيلة سوننكية محلية أسمها طوري (سيلا) وهو يعد من أعظم سلاطين بلاد السودان الغربي، وقد شهدت مملكة سنغاي الإسلامية طيلة فترة حكمه التي استمرت ست وثلاثون سنة، وقيل ثلاثة وأربعون سنة أزهى عصورها التاريخية التي مرت بها سواء كان ذلك على مستوى النفوذ الجغرافي والسياسي، أما على المستوى الحضاري في مختلف جوانبه، وكذلك نشر الإسلام بين الوثنيين، وفي عهده أيضا بلغت سنغاي أوج اتساعها، حيث أخضع ماسينا وديارا سنة 1512م ومد نفوذه نحو الصحراء فتحكم في مناجم الملح في تغازا، واستولى على أغاديس، وفتح كاتسيا وكانو ببلاد الهوسا، كما عمل كذلك على إخضاع مختلف شعوب الجنوب التي تنشر فيها الوثنية مثل البمبارا والموشي، كما تعرف على المشرق، واشتهر أمره عند رحلته إلى الحج سنة 901ه/ 1496م ورافقه خلالها حوالي 800 جندي، وكان معه عدد من العلماء والفقهاء وكبار رجال البلاط. ينظر: الحاج موسى أحمد كامره: المرجع السابق، ص131، إسماعيل حامد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص 80.

2- حمده عبده سلامة موسى: المرجع السابق، ص 178.

3- محمد عبد الكريم المغيلي: **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تحقيق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1974م، ص 17.

4- إسماعيل حامد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص 81.

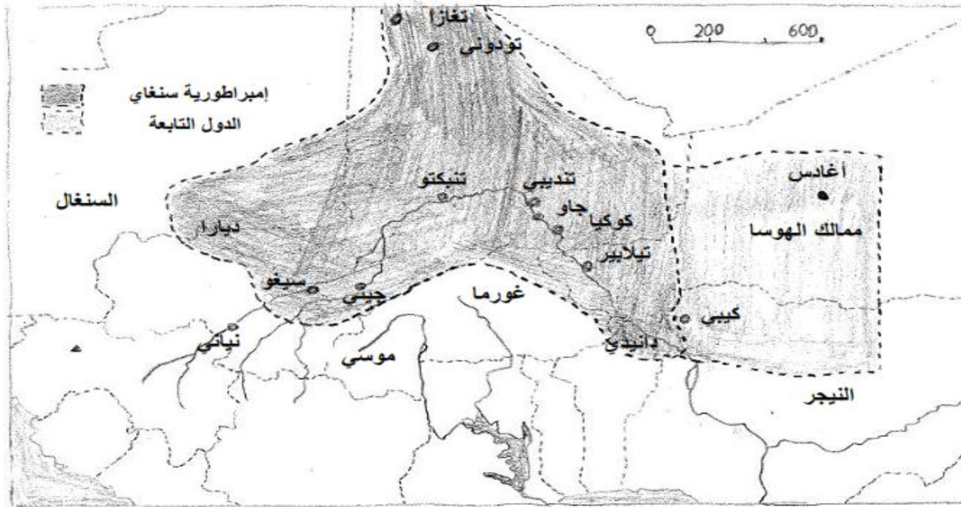
وطلب من ملوكها الدخول في الإسلام، أو دفع جزية ولما أبوا حاربهم في ديارهم، وخرب أراضيهم، وبسط نفوذه غربًا إلى بلاد الماندنجو والفولبي، وشمالًا حتى مواطن الطوارق، ثم امتد نفوذه جنوبًا بعد خضوعه لمملكة الموشي، وهكذا فقد تجاوزت سنغاي في عهده الآفاق حتى وصل شمال نجيريا، وخضعت له إمارات الهوسا[1] التي كانت بداية لظهور الثقافة الإسلامية بين مختلف هذه الجهات، حيث ظهرت حينها كانو[2]وكاتسينا[3] كمركز للثقافة في هذا الجزء من نجيريا.[1]

---

[1]– **الهوسا**: وهي عبارة عن مزيج من العنصر الحامي، وبالتحديد البربري مع العنصر الزنجي نتجت عن هجرات للبربر من الصحراء الكبرى نحو الجنوب والشرق، واختلاطهم بالعناصر الزنجية القاطنة في إقليم السافانا الأوسط ؛أي ما يعرف اليوم ببلاد الهوسا، ويرجع المؤرخون تاريخ بداية هذه الهجرات إلى القرن العاشر ميلادي، وقد نتج عن هذا التواصل ظهور مجموعة عرقية جديدة أشد قوة ورقيا عن باقي المجموعات العرقية المجاورة، لم يمر الوقت كثيّرا حتّى تمكنت المجوعة العرقية الجديدة من السيادة على المجموعات الزنجية الأخرى واستيعابها ثقافيًا، وبمرور الزمن انصهرت كل تلك المجموعات في بوتقة ثقافية ولغوية واحدة متخذة الهوسا لغة موحدة لها، لذلك يمع الباحثون بأن لكامة هوسا مدلولاً لغويًا أكثر من عرقي، وأنَّ الهوسا ليست إمارة واحدة، بل تكاثرت وتطورت إلى إمارات عدة كانت أشهرها هذه الإمارات السبع: كانو، كاتسينا، زاريا، دورا، جوبير جارون جاباس، ويكتنف الغموض نشأة هذه الإمارات، لكنها وجدت على الحقيقة في القرن 11م، ولذلك لا يخلو تاريخ نشأتها من الأساطير لعدم وجود وثائق تاريخية، أمّا عن انتشار الإسلام بينهم فكان منذ القرن الثامن الهجري.ينظر: الأمين أبو منقة: **كتاب تعريفي عن تعريف لغة الهوسا**، ط1، منطقة الدعوة الإسلامية الخرطوم، 1419ه/1998م، ص 01، حمدى عبده سلامة موسى: المرجع السابق، ص ص104-105.

[2]– **كانو**: وهي من أشهر مدن بلاد الهوسا القديمة والحديثة وأغناها وأوسعها وأرقاها، ويرجع تاريخها إلى عهد بعيد مختلف فيه، تقع كانو على بعد خمسمائة ميل تقريبًا إلى ناحية الشرق من ضفاف نهر النيجر، ولقد هيأ لها موقعها الجغرافي باعتبارها أولًا حلقة وصل بين مختلف مناطق بلاد السودان الأوسط والغربي، وثانيًا بوابة شرقية لبلاد الهوس أن تلعب دورًا تاريخيًا هامًا، وهذا الإقليم يشمل عدة شعوب تسكن القرى، وتعيش إما من تربية الأغنام والأبقار وإما من زراعة القطن، ولهه المدينة أهمية كبيرة حيث يذكر محمد بيلو بأن أهميتها تكم في الثروات التي تملكها، حيث تستطيع أن تسد حاجياتها وحاجيات سكانها، وبهذا فإن للمدينة تاريخ عريق.ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص173.آدم عبد الله الدولوري: **موجز تاريخ نيجيريا**، منشورات دار مكتبة الحياة، نيجيريا، 1965م، ص81.، منى محمد عادل سيد حسين: **الحياة الاجتماعية والثاقفية في إمارات الهوسا (القرن الثامن إلى العاشر الهجريين / الرابع عشر إلى السادسس عشر الميلاديين)**، مذكرة ماجستير، إشراف: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، جامعة القاهرة، 1431ه/2009م، ص15.

[3]– **كاتسينا**: وهي تتاخم إقليم كانو من جهة الشرق، وتقع كاتسينا حاليًا ضمن الأقاليم التي تتبع نيجيريا، وعلى هذا فهي تعد واحدة من الإمارات التي تقع ضمن بلاد السودان الأوسط، يتألف سكانها من الفولبي والطوارق وغيرهم، وقد دخلها الإسلام عن طريق الهجرة والتجارة، ثم انتشر بشكل كبير في القرن الرابع عشر الميلادي، وأدى الساركن محمد كوار



الشكل رقم 03: خريطة توضح مملكة سنغاي الإسلامية أيام الأسقيا محمد الكبير

نقلا عن: jean djigui keita:op.cit. p191

(بتصرف)

وفي سنة 1518م أصيب الأسقيا محمد الكبير بالعمى، فقام عليه أبناؤه وأجبروه على التخلي عن الحكم لابنه موسى الذي كان يسعى من حين لآخر للوصول إلى الحكم، احتل مكانة أبيه بالقوة، وفي سنة 1527م دخل موسى القصر، وأجبر أبيه على التنازل للحكم لصالحه بعد أن قام بنفي أبيه إلى إحدى جزر نهر النيجر وبقي هناك إلى أن توفي.[2]

- الأسقيا موسى (1528-1531م):

إعتلى هذا الأخير عرش سنغاي أثناء صلاة عيد الأضحى يوم الأحد العاشر من ذي الحجة، ويذكر أنه لم يمكث في الحكم سوى سنة واحدة وتسعة أشهر[3] قام أثناءها بشن حرب عارمة ضد الأسرة الحاكمة ذهب ضحيتها عدد كبير من الأمراء بين قتل ونفي، حيث يفيد السعدي أن عهده كان عهد حرب عائلية بكل المقاييس لم تفلح فيها شفاعة ولا توسطات الفقهاء وغيرهم في وضع حد لحربه الدموية التي كادت أن تنسي أصحاب

= دورا في نشر الإسلام وساعده على ذلك علماء مالي، وبذلك حكم كاتسينا ملوك مسلمون حيث توطد الإسلام بها، وصارت من مراكز الثقافة الهامة،.ينظر: الحسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص173،منى محمد عادل سيد حسين: المرجع السابق، ص15.

[1]- مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص 133.

[2]- زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 41.

[3]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 143.

التواريخ السودانية الأمن والاستقرار الذي طالما وصفوه، ويذكر السعدي أنَّ جبروته وصل به إلى أن ردم رجالًا من بني عمومته أحياء في التراب.

وهكذا لم يلبث الأسقيا موسى طويلًا في حكمه حتى ابن عمه محمد بنكن الذي كان يشغل في عهده كنفري أي أكبر قائد عسكري بعد صاحب جاو، هذا الأخير الذي استطاع أن يجمع الأمراء الذين نجو من القتل لإعلان حرب ضد الأسقيا، وفي سنة 937ه/1531م أزيح الأسقيا عن منصبه في الحكم [1].

- الأسقيا بنكن كوري (1531-1536م):

بعد وفاة الأسقيا موسى تولى الأسقيا بنكن كوري مقاليد الحكم في أول يوم من رمضان، واستمرت مدة إقامته في السلطة ست سنوات وشهر، وبعد تقلده زمام الحكم أمر بإجلاء عمه العجوز الأسقيا محمد وأخرجه من بلد كاع إلى جزيرة كنكاك وأسكنه فيها[2]، كما قام أيضًا بإحداث بعض التغيرات في الجندية بحيث ارتفع عددها إلى ألف وسبعمائة رجل وأنشأ سرية عسكرية كبيرة تجسد دورها في بث فكرة أنه الأحق بتولي العرش باعتباره ابن عمر كمزاغ أخ الأسقيا محمد الكبير ونائبه الأول.

لا تقل فترة حكمه الأسقيا الجديد بشاعة عن سابقه في اتخاذ العنف والتقتيل والتقليل بإزاحة المعارضين عن طريقه، حيث يذكر محمود كعت أنه قتل خمسة عشرة أميرًا من أبناء أسقيا محمد، كما قاد كذلك حرب نفسية ضد بناته اللواتي أهانهن في كرامتهن، وإلى جانب ذلك فقد سن لنفسه مظاهر جديدة للسلطة فاعتبره محمود كعت أول من مشى بالدفوف في السفينة، وأول من وضع السوار لخدمه[3].

---

[1]- زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2، ص ص547-548.

[2]- محمود كعت، المصدر السابق، ص 144.

[3]-زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2، ص 548.

- الأسقيا إسماعيل (1537-1539م)

اعتلى الأسقيا إسماعيل عرش سنغاي في أول يوم من ذي القعدة سنة 943ه كان هذا الأسقيا محمود السيرة وممن استحق السلطة، حيث كان أول عمل قام به عند اعتلائه العرش هو إخراج أبيه الأسقيا محمد من جزيرة كنكاك التي تم إجلاءه إليها، وأسكنه في بعض بيوت دار المملكة[1] ثم قام بعدها بإعلان الجهاد ضد أحد الأمراء الوثنيين في الجنوب الغربي من المملكة، وسبى أثناءها عدد كبير من أعدائه حتى انخفض سعر العبد الواحد في جاو إلى ثلاثمائة ودعة[2].

وفي سنة 1539م توفي الأسقيا إسماعيل إثر حدوث طاعون فتك فيه خلقًا كبير في تلك الفترة.

- الأسقيا إسحاق (1539-1549م)

بعد وفاة الأسقيا إسماعيل تولى عرش المملكة الأسقيا إسحاق الذي كانت ولايته يوم الأحد 26 شعبان 946ه، ويذكر محمود كعت أنه كان مرضيًا صالحًا مباركا كثير الصدقات، ملازمًا لصلاة الجماعة عاقلا فطنا ذا دهاء.[3]

وفي عهده ساءت العلاقة بين ملوك سنغاي، وملوك المغرب الأقصى حول مسألة تغازة، حيث طلب السلطان السعدي محمد الشيخ بملكية مناجم الملح، ولكن أخفق في

---

[1]-محمود كعت: المصدر السابق، ص 146، السعدي: المصدر السابق، ص 91.

[2]- **ودعة**: ويتعامل بها كعملة في بلاد السودان الغربي، ويفيد العمري بقوله "أن المعاملة في بلاد التكرور بالودع وأن التجار أكثر ما يجلب إلهم الودع ويستفيد به فائدة جليلة"، ومن خلال ما أشار إليه العمري يتضح أن الودع يعد وسيلة لتعامل التجاري في مملكة مالي الإسلامية، وقد استمر التعامل بها حتى القرن 16م، حيث يذكر محمود كعت أن الذهب في تنبكت كان يصرف بثلاث آلاف ودعة، وأن العشر ثمرات تباع بخمس ودعات. ينظر: امطير غيث: **التأثير العربي الإسلامي...**، المرجع السابق، ص 150.

[3]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 146.

إحكام سيطرته عليها، وهو ما دفع الاسقيا إسحاق بغزو وادي درعة المغربي ردًا على ما قام به السلطان محمد الشيخ[1].

وفي سنة 1549/965م توفى الأسقيا إسحاق بعد أن مكث في الحكم تسعة سنين وتسع أشهر.

- الأسقيا داوود (1549-1582م):

تولى الأسقيا داوود العرش في الثاني والعشرين من صفر عام 955ه/1549م ومكث في السلطة 34 سنة وأربعة أشهر[2]. يعتبر الأسقيا داوود كما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية من أعظم ملوك سنغاي الفاتحين وأشهرهم، حيث يذكر أنه طيلة فترة حكمه لم يتوقف عن الحروب سنة واحدة، ورغم طوال فترة حكمه لكنه لم يأت بالجديد من خلال حروبه الكثيرة، حيث أن المملكة كانت قد انتشر بها الضعف قبل ذلك.

كان الأسقيا داوود قد بدأ حروبه بشن حملات عسكرية ضد قبائل الموشي سنة 1550م، وبعد مرور سنة قام بشن هجومات على قبائل البوهل في ماسينا[3] وانتصرت عليها[4]، وفي آخر عهده ساءت العلاقة بينه وبين حكام الدولة السعدية بالمغرب الأقصى، وبعد وفاته جاء إلى الحكم ابنه الأسقيا الحاج محمد الثاني وقد دامت فترة حكمه خمسة

1- سيكيني مودي سيسوكو: "**سنغاي من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر**"، ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العالم، المطبعة الكاثوليكية، صادر عن منظمة اليونسكو، بيروت، لبنان، 1988م، مج4، ص 208.

2- محمود كعت: المصدر السابق، ص 146، السعدي: المصدر السابق، ص ص152-153.

3- ماسينا: وتقع إلى الشمال من مدينة جني من الضفة اليسرى لنهر النيجر في مالي الحالية، شكلت هذه المدينة نقطة جدب لعدد من الشعوب منهم الفولبي الذين اتخذوها سكنًا لهم، كما سكنها بعض قبائل الأخرى مثل البمبارا والسوننكي والسنغاي وغيرهم من سكان منطقة الصحراء الكبرى، وتعد ماسينا من المدن الثقافية الهامة، حيث برز منها عدد من العلماء الذين تضلعوا في مختلف العلوم منهم الشيخ أحمد بن محمد الفلافي(ت 1625م) ومنهم محمد بن سعيد بن محمد كداد بن الفلافي وغيرهم.ينظر: مطير سعد غيث أحمد: **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي دراسة في التوصل الحضاري العربي -الإفريقي**- ط1، دار المدار الإسلامية، بنغازي ليبيا، 2005م، ص 214.

4- زبادية: **مملكة سنغاي...**، المرجع السابق، ص 43.

سنوات وفي أثنائها وقعت مناوشات بينه وبين المغرب الأقصى، ثم جاء بعده أخوه الأسقيا محمد بان سنة 995ه/1586م[1].

ولم يمكث في الحكم سوى سنة وأربعة أشهر، حتى حدث في أيامه غلاء وقحط، وفي يوم السبت 13 جمادى الأول سنة 996ه/1588م توفي الأسقيا محمد بان في حملته بالبيداء بالقرب من تندبي[2]، ثم خلفه من بعده الأسقيا إسحاق الثاني (1588-1591م)، وفي عهده تردت العلاقات أكثر بين دولته، وبين المغرب الأقصى، حيث كان المغاربة قد قادوا حملة كبيرة بقيادة جودر[3] باشا، استولوا خلالها على جاو عاصمة الأسقيين يوم الثلاثاء 16 جمادى الأول سنة 999ه/الموافق لــ 12مارس 1591م، بعد أن كانت سلطتهم قد شملت كل السودان الغربي تقريبًا بنفوذها وفي ذلك يقول صاحب الاستقصاء "**وانقرض عليه ال أسقيا بعد أن كان تحت طاعتهم مسيرة ستة أشهر من بلاد السودان**"[4]، وبذلك سقطت سنغاي على يد المغاربة دون مقاومة تذكر.

2-5- سقوطــها:

بعدما بلغت مملكة سنغاي الإسلامية أوج مجدها وقوتها، دخلت هذه الأخيرة في مرحلة الضعف والانحطاط مثل غيرها من الممالك الأخرى فبعد وفاة ملوكها الأقوياء جاء إلى الحكم ملوك ضعاف تميزت فترات حكمهم بالصراعات والمؤامرات حول السلطة

---

[1]- نافذ أيوب بيلتو ومحمود شاكر: المرجع السابق، ص 48.

[2]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 146، السعدي: المصدر السابق، ص 177.

[3]- **جودر باشا:** تتفق جميع المصادر على أن جوذر باشا مرتد من لاس كويفاس دي فيرا في الوقت الحالي كويفاس ديل المنزورا، وهي بلدة تقع في مقاطعة ألمانيا، أما عن طفولته فلم تذكر عنها المصادر التاريخية كثيرًا سوى أنه ينتمي إلى عائلة مغاربية نبيلة من كويفاس، وأن والديه ربما يكونان دييغو دي جيفارا وإيزابيل دي ميندورا، ويذكر كذلك أن جودر يعد أول قادة المغرب في السودان الغربي، قاتل لغزو مملكة سنغاي الإسلامية زمن الأسقيا الثاني باسم سلطانه السعدي المنصور الذهبي وانتصر عليه، وذلك سنة 1591م. ينظر:

Ismael Diadie Haïdara**: jawdar PASHA et la Conquéte Saàdienne du songhay (1591-1599)**¸Publication de l´institut des etudes Africaines –Robat ,1996 ,p p9-10.

[4]- مريم بنت عبد الله ولد باب الدين: **التأثير الثقافي للبيضان في منطقة السودان الغربي خلال القرنين 19-20 (مالي والسنغال) نموذجا**، بحث لنيل ديبلوم الدراسات العليا المعمقة، إشراف: أحمد الأزمي، جامعة سيدي محمد عبد الله، فاس، 2006/2007م، ص24.

وهو الأمر الذي أدى إلى إضعاف قوتها، وإنهاك خزينتها، ناهيك عن الفساد الذي عمّ كل أنحاء الإمبراطورية، وفي ذلك يقول السعدي: "**ولما فسد أمر سنغي وشتت الله شملهم وحاق بهم ما كانوا بهم يستهزؤون بتضييع حقوق الله وظلم العباد والتكبر وشموخ الأنف، وكان بلد كاغ في أيام إسحاق في غاية الفسق وإظهار الكبائر والمنكرات...**"[1].

ومما لا شك فيه أنّ كل الفتن والإضطرابات التي شهدتها مملكة هي التي شجعت القوى الخارجية للتدخل في شؤون المملكة والتي كانت تستغل كل الفرص لانقضاض عليها بغرض الاستلاء على ذهبها وخيراتها.

ظلت العلاقة بين سنغاي والقوى الخارجية على هذا النحو عدة قرون لم تكف الأخيرة خلالها على الرصد والتربص لحظة واحدة حتى شاء الله إليه أن يتولى السلطان المغربي أحمد المنصور[2] مقاليد الحكم وما استتبت له الأمور في الداخل حتى شرع هذا الأخير في التخطيط الجاد لإحكام سيطررته على ثروات سنغاي وفي مقدمتها الذهب، وقد وظف كل ما كان تحت تصرفه من إمكانيات مادية، وسلطات دينية، وحيث كان أول شيء قام به أحمد المنصور من أجل تحقيق أطماعه هو بث العيون في كامل ربوع المملكة، إلى

---

[1]- عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص 21.

[2]- **أحمد المنصور**: وهو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد المهدي، لقب بالذهبي، ولد بفاس سنة (956ه/1549م) في بيت حسب ونسب، تلقى تعليمه الأولى على يد أمه مسعودة بنت الشيخ أبو العباس أحمد الورززاتي التي اشتهرت بالصلاح والعلم، ظهرت شخصية أحمد المنصور منذ نعومة أظافره، وعرف بالذكاء والحنكة السياسية واتصف بالطموح وحب العظمة والميل إلى التظاهر بالغنى والقوة، وصفه أحمد القاضي صاحب المنتقى المقصور بقوله: "إنَّه جمع من العلم والحلم وحسن الخلق وكمال الخلق والقصل وهو أشد الملوك صبرًا وأمدّهم خبرًا وأقواهم احتمالًا وأكثرهم بذلًا للندى" تولى أحمد المنصور قيادة الدولة السعدية فأحسن السير بها إلى المجد، وعرف بها العالم أيما تعريف، فعرفت لدى الشرق والغرب وهابتها القوى الكبرى في تلك الأثناء، ومن أعماله حماية الصحراء الكبرى من خطر التمزق والصراعات القبلية المدمرة، بأن مدَّ نفوذه إلى مدينة أقذر مرورًا بتنبكت، وبذلك استطاع أن ينقذ المنطقة من الخطر الفرنسي والبرتغالي لفترة من الزمن إلى أن وافته المنية، وذلك سنة 1012ه/1603م.ينظر: أبي فارس عبد العزيز الفشتالي (ت 1031ه/1621م): **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تحقيق: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، ص25، أبو عمران الشيخ: **معجم مشاهير المغاربة**، ط2، مؤسسة صونيام، الجزائر، 2013م، ص225، محمد محمود الأرواني: المصدر السابق، ص 45، ابراهيم شحاتة حسن: **وقعة واد المغازن في تاريخ المغرب 986ه/1978م**، ط1، دار الثقافة- الدار البيضاء، فاس، 1979، ص211.

أن جاءت المرحلة الحاسمة التي كان فيها أحمد المنصور قد أكمل أهبته واستعداده، فدفع بجيشه الغازي المكون من المسلمين، والنصارى والمرتزقة نحو جارته الجنوبية المسالمة التي لم تعر أي اهتمام لاستعدادات العسكرية المعزية، حيث ظل ملوكها منشغلين بنزعاتهم الداخلية حول العرش، إلى أن وقع أزيز المدافع، حوافر الخيول في المنطقة، ورغم أن سنغاي حاولت أن تنظم صفوفها، وتدافع عن مجدها وكرامتها وأن توقف تقد الجيش المغربي إلا أن الزمن فات، ولم يكن هناك خيار سوى الاستسلام والقبول بكل الشروط والإملاءات.

وهكذا سقطت أكبر وآخر الممالك الإسلامية التي شهدها بلاد السودان الغربي[1].

3- مملكة البمبارا /Bambaras

لم تحضى مملكة البمبارا التي شهدتها منطقة النيجر بالكثير من الدراسات من طرف الباحثين، فما كتب حول تاريخ السودان الغربي عمومًا اقتصر فقط على تاريخ الممالك الكبرى والمشهورة مثل مملكة غانة ومالي وسنغاي، فالبمبارا باعتبارها تمثل جانبا مهمًا من تاريخ المنطقة فلم تتعرض للاهتمام من طرف المؤرخين باستثناء بعض كتاباتهم حول تاريخ هذه المملكة التي اكتفت بذكر ما نقلته بعض الروايات الشفوية التي ذكرها بعض الرحالة العرب والأوربيين الذين كانت نظرتهم سطحية.[2] ومن بينهم البكري هذا الأخير الذي أشار إليها في حديثه عن مدينة سامة على بعد 4 أيام من مدينة غانة.[3]

---

[1]- عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص ص 154-155.

[2]- نور الدين شعباني: **عائلة كوليبالي، ودورها في مملكة البمبارا خلال الفترة 1600-1800م**، مجلة كان التاريخية، ع 33، سبتمبر 2016م، ص 19.

[3]- أبو عبد الله عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي البكري (ت 487ه/1094م): المسالك والممالك، تحقيق: جمال الطلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ج2، ص: 367.

3-1- التعريف بشعب البمبارا:

يعد شعب البمبارا (البامانا) من ضمن مجموعة شعوب الماندي، كانوا يطلقون على أنفسهم اسم (بمتة) أو بمنتة وهذه الكلمة نسبة إلى (بمة) ومعناه التمساح الذي أخذته هذه الشعوب[1].

تقع مجموعة بامانا جنوب سوننكي، إلى الشمال والشرق من **(Ma-linké)** وهي نفسها مقتصرة على الشرق بمقدار كتلة **(Mossi)** التي تشترك معها في عدد معين من المجموعات العازلة الصغيرة، تتطور هذه المجموعات أحيانا في منطقة **(Mandingo)**وأحيانا في منطقة **(Minianka)**، ساموغو، بوبو، موشي (موسي)، سينوفو، طوارق...الخ، هذه المجموعات هي إلى حد الآن ماندنغو **(Mandingo)** وبعضهم مثل: **(Samogo)**ساموغو هم ماندنغو تتحدث لهجة مانكة، ومن ناحية أخرى فإن بوبو وسينوفو على الرغم من أن الماندنغو جدا (يتحدثون بشكل عام ديولا) لا يزالون مصنفين على أنهم شعوب فولتية[2].

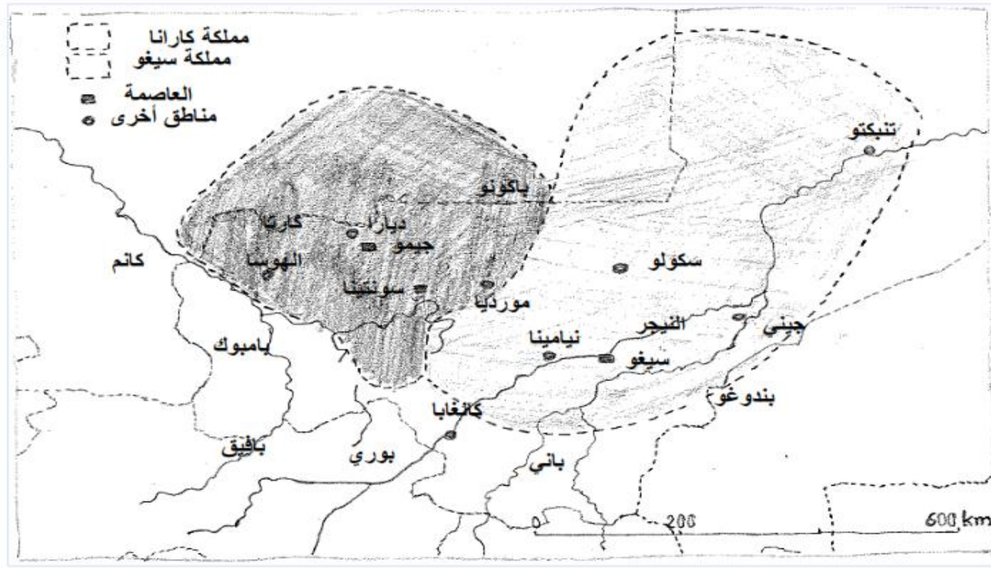
أما فيما يتعلق بأصل هذا الشعب، فتشير المصادر الشفوية المحلية أن هناك أخوان من البمبارا يدعى الأول (نيانغولو) والآخر (برامانغولو) وقد طاردهما عدو وليس لديهما قارب، ولما وصلا الأخوان إلى الضفة اليمنى لنهر الباولي فشلا في البداية في عبوره بسبب عدم امتلاكهما لقارب، ومن هنا اتخذ أحفادهم اسم كوليبالي والتي تعني (بدون قارب)، إلى أن ظهر حوت ضخم وأنقذهما في اللحظة الأخيرة[3]،حيث أخذهما إلى الضفة اليسرى إلى نهر باولي، فاستقر الأخوان هناك وخلف أولادًا مكونين ما يعرف بعشيرة كوليبالي.

---

[1] خالدي مسعود: المرجع السابق، ص51.

[2]- Jean djigui keita: op‹ cit‹ p p79-80.

[3]-إيزار وج-كي -زيربو: "**من النيجر إلى الفولتا**"، ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام، حسين درغام وأبنائه للطباعة، لبنان، صادر عن منظمة اليونيسكو، 1997م، مجـ5، ص 374.



الشكل رقم 04: خريطة توضح مملكة البمبارا (سيغو– كارتا) خلال القرن 18م

نقلا عن: jean djigui keita: op.cit. p191

(بتصرف)

3-2- البمبارا وتأسيسهم لمملكتي سيغو[1]وكارتا[2].

كان البمبارا في البداية خاضعين لسلطان مملكة مالي أيام مجدها، ولما ضعف أمرها وانهارت وجدت سنغاي –التي كانت السباقة– في وضع يديها على معظم الأقاليم، أما

---

[1]–**سيغو:** وتقع إلى الغرب من مدينة جني، وتبعد عنها بحوالي مائتين وخمسين كيلومتر، كان أهلها البالغ عددهم حوالي خمسين ألف في البداية يدنون بالوثنية، حيث كانوا يعبدون الجبال والأشجار، ونهر النيجر والشمس وغيرها، وبعد وصول الإسلام إلى المنطقة وانتشاره عن طريق التجار والدعاة، أسلم جميع أهالي سيغو ثم بعض ملوكها. ينظر: نافذ أيوب بيلتو ومحمود شاكر: المرجع السابق، ص 71، الهادي المبروك الدالي: **التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء**، ط1، ليبيا، 2002م، ص 122.

[2] – **كارتا:** وتعد إحدى ممالك بامانا الأكثر شهرة، وتقع جنوب سوننكي (من يليمان إلى نارا) وإلى الشمال من مالينكي دي كتيا، وهي حاليا دولة يقطنها السوننكي بشكل رئيسي ومع ذلك عندما وصل الفرنسيون قبل فترة من الزمان فقط كانت هذه الدولة تعتبر جواهر بامانا وعلى رأسها سلالة كوليبالي ماساسي الشهيرة ولا يزال هناك بامان في الكارتا لكن بأعداد صغيرة ومتجمعة معا في بضع قرى منفصلة، ومع ذلك بالنسبة لغامبيا الماندينغو لا تزال كارتا دولة من بامانا. ينظر: jean djigui keita: cit، p74

البمبارا فقد لزمت حدود الطاعة في سيغو، وبقيت نواة دولتهم المرتقبة خاملة فترة طويلة من الزمن تترقب الفرصة المناسبة لتحقيق هدفها.[1]

وبعد تراجع زحف سنغاي غربًا مع نهاية القرن 16م تعرض مزارعو البمبارا المنتشرين في وديان النيجر للخطر من طرف الفولبي والأرما[2].

وكان البمبارا يمارسون ديانتهم الخاصة بهم، وكانوا ينقسمون إلى عدة مقاطعات احتفظ رؤسائها من الماركا المسلمين لعلاقات ودية نسبيًا مع جني وتنبكت، وكانوا يطلبون المساندة من طرف بعض جمعيات الصيادين التقليدية بعشائر متخصصة في الحرب والقتال.

ومع منتصف القرن السابع عشر، أعلن البمبارا تمردهم على رؤسائهم من الماركا في إطار حركة تشبه كثيرا حركة الفلاحين، وربما حركة التمرد، هذه هي التي أبرزت عشيرة الكوليبالي التي يرجع لها الفضل في تأسيس مملكتي سيغو وكارتا[3].

أ- تأسيس مملكة البمبارا في سيغو سنة 1600م:

تذكر الروايات الشفوية أن مهد الكوليبالي القادمين من مندن (مالي) هي منطقة بندو غونيامانا، وهي المنطقة التي تفرق منها أفراد هذه القبيلة وانتشروا[4]، حيث ذهب البعض منهم واستقروا في سوغولون شوالا وهي ضمن حدود مدينة نيونو الحالية، بينما اتجه الفرع الآخر منهم نحو سيغو تحديدًا في قرى توكورو، ديابان وماسالا، ولقد بدأ شعب

[1]-عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص157.

[2]-**الأرما:** هم سلالة الغزاة المراكشيين من المغاربة الذين تزوجوا نساء طبقة الأرستقراطية المحلية في السودان الغربي، ومع مرور الزمن اكتسب هؤلاء مميزات خاصة، وأصبحوا أصحاب السلطة الفعلية في البلاد، وانفصلوا تمامًا عن مراكش، والأرما هم أشبه بالمولدين في الأندلس من أب عربي أو بربري وأم مسيحية. ينظر: وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص279، ك-مادهوبانيكار: المرجع السابق، ص322.

[3]- ما-ايزار وج-كي -زيربو: المرجع السابق، ص356.

[4]- نور الدين شعباني: **عائلة كوليبالي...**، المرجع السابق، ص19.

البمبارا يبرز على الساحة السياسية مع نهاية القرن 16م، وذلك عندما شارك البعض منهم إلى جانب الجيش الغربي عند غزوه للملكة سنغاي الإسلامية.

ومع مطلع القرن 17م، استقر أحد أحفاد برامنغولو الذي يدعى كالاديان كوليبالي عند الضفة اليسرى لنهر النيجر في منطقة ماركا وغوبا بالقرب من مدينة سيغو، ولقد حاول أن يؤسس قاعدة لمملكة البمبارا، لكن هذا الأخير مات قبل أن يصل إلى ما كان يطمح إليه، وهكذا وبعد وفاته تولى أحد أبنائه ويدعى هونوتيمي العرش خلفًا له بينما، بقي ابنه الآخر ويدعى دان فاساري فغادر بلاده سنة 1620م على رأس جيش متجهًا إلى قرية تقع بالغرب من ماركادوغوبا كان قد تم تأسيسها من طرف أحد مسلمي السوننكي ويدعى سيكو وتعني شيخو أو الشيخ، لذا سميت هذه القرية سيغو نسبة له.[1]

هكذا وبعد أن تم دان فاسيري من وضع أسس دولة مستقلة هناك خلفه على العرش ابنه سوما الذي نجح في بسط سلطته على جميع قوى البامانا المأهولة بالسكان، والتي كانت مدرجة في مثلث (سيغو–بارولي–غارو)، وتذكر الروايات الشفوية أن فترة حكمه امتدت من (1643–1660م)، ولما توفي هذا الأخير خلفه على العرش ابنه فوتيغي المعروف ب: (بيتون كوليبالي) الذي يعدّه المؤرخون المؤسس الحقيقي لمملكة سيغو.[2]

منذ أن اعتلى بيتون كوليبالي العرش بدأت سيغو تشق طريقها في التنظيم والتطور حتى أصبحت مملكة ومنظمة وذلك بجهود التي بذلها بيتون، حيث كان أول عمل قام به هو تخليصها من سيطرة مملكة مالي، علمًا أنَّ البمبارا كانت خاضعة لسلطانها قبل هذه الفترة، وفي سنة 1660م عندما جاء بيتون إلى سيغو بهدف الاستقرار فيها[3] أراد ملك مالي ماما –ماغان كيتا الذي كان يخاف من صعود مكانته القضاء عليه، فلمّا أحس بيتون بهذا الخطر الذي يهدده قام بوضع جدار حول عاصمته، وبنى حصنًا هناك، وبقي ينتظر

[1]– نور الدين شعباني: عائلة كوليبالي...، المرجع السابق، ص 20.

[2] –Maurice Delafosse: **Hout -Sénégal –Niger**, Paris Emile Larose- Libraire- Editeur,1912 ,t02 ,P284.

[3]– نور الدين شعباني: عائلة كوليبالي...، المرجع السابق، ص 21.

العدو بحزم، وفي سنة 1667م جاء الملك ماما –ماغان كتيا وفرض حصارًا على المدينة وبعد مرور ثلاثة أشهر من فرضه الحصار فشل في الحصول على أدنى ميزة، ورأى نفسه مهجورًا من قبل أكبر عدد من أتباعه، فانسحب واستأنف الطريق إلى مقرّ إقامته، أمَّا بيتون فقد غادر حصنه، وطارد خصمه حتى مالي، حينها لم يجرأ الملك ماما – ماغان كيتا المحاصر على ضفاف النهر على قبول القتال، وتوصل إلى صلح مع بيتون وأقسم بعدم المجيء قدمًا في مالي، بينما وعد إمبراطور سيغو على جانبه بعدم الذهاب إلى المنبع.

وهكذا وبعد قيام الصلح بينهما والذي كان بمثابة فشل لملك مالي الذي كان قد تخلى على مقر إقامته في مالي وعاد إلى الجنوب تحديدًا إلى كانجابا مهد عائلته، وبالتالي تأكد بيتون من تراجع قوة المنافس الوحيد الذي كان يمكن أن يخشاه، فكّر في زيادة دعم قوته من خلال فرض سلطته على ضفتيْ نهر النيجر، ومن أجل تحقيق هذه الغاية أراد أولًا بناء جيش قوي[1]، فعمل على تأسيس آلة حربية مكونة من جيش محترف، أصبح بمرور الزمن أقوى جيش ببلاد السودان الغربي كله في تلك الأثناء، حيث كان جيشًا أصيلاً مكونًا من مجموعة من الفلاحين النبلاء، ومن أسرى الحروب، بالإضافة إلى قدماء المساجين الذين تمّ اعتقالهم بسبب عدم تسديدهم للضرائب غير أن احترافهم في الجيش سمح لهم بالحصول على العفو، وإدماجهم في المجتمع من جديد.[2]

وبعد أن تمكن الملك بيتون كوليبالي من فرض سلطانه في سيغو تعرضت مملكته لهجومات من طرف جولا كونغ بقيادة فاماغا وتارا 1739م، وبقي هؤلاء في سيغو حتى سنة 1745م إلى أن تلقوا نبأ وفاة فاما في كونغ سيكووتارا، وهكذا استمرت أسرة كوليبالي تمارس زعامتها على رأس هذه المملكة إلى أن أصابها الضعف والوهن بسبب إنهاك مجهودات الملك بيتون في دعم مملكته والتخلص من منافسيه من أبناء عمومته

[1] –Maurice Delafosse :Hout ,Sénégal …, op,cit ,p 285.

[2]– نور الدين شعباني، عائلة كوليبالي...، المرجع السابق، ص21.

الماسا– سي الذين استقروا في منطقة مورديا إلى الشمال الغربي من سيغو، وفي سنة 1753م قام بيتون بمحاربتهم في عقر دارهم فدمر عاصمتهم سونسانا، وأسر زعيمهم فولاكورو، ثم رحل الماسا– سي بقيادة سيبيا مانا سنة 1754م إلى كارتا وفرضوا سلطانهم عليها.[1]

ب– تأسيس مملكة البمبارا في كارتا سنة 1712م:

ولقد أقام البمبارا مملكة أخرى في غربي سيغو، وكان مركزها كارتا (kaarta) شمال نهر باكوي(Bakog) أحد فروع نهر السنغال وذلك سنة 1792م، [2]وكانت مملكة قوية متماسكة شديدة البأس، إلا أنها لم تكن بالقوة والأهمية ما يجعلها في مصاف سيغو[3] وقد وقع خلاف بين هاتين المملكتين وانتهت الحروب بانتصار (سيغو)، وعرف حكام كارتا بلقب (مساسي Massassi)الذي يقابل كلمة (منسا) في مملكة مالي الإسلامية، ومن أشهر ملوك هذه المملكة (الماسا أبو بكر) حيث عمل هذا الأخير على توسيع مملكته، وقد قابل المستعمر (منجو بارك) الذي يسمونه مكتشفا عام 1121ه وآخر ملوك هذه الإمارة (كانديان) وكان مركز حكمه في (نيورو)[4].

وعلى العموم فقد شكلت كارتا خطرا حقيقيا على دولة ماسن والوجود الإسلامي في المنطقة فترة من الزمن إلى أن قضت عليها – هي الأخرى – حركة الحاج عمر الفوتي[5] مع من قضت عليه من الممالك والدويلات الوثنية التي كانت حينها قائمة في المنطقة[1].

---

[1]Maurice Delafosse ,Hout ,Sénégal … op ,cit ,p 286.

[2] –نافذ أيوب بيلتو ومحمود شاكر: المرجع السابق، ص 52.

[3] – عبدالله سيسي: المرجع السابق، ص 158.

[4] – نافذ أيوب بيلتو ومحمود شاكر: المرجع السابق، ص 52.

[5]**الحاج عمر الفوتي:** 1211–1281ه/ 1797–1864م وهو الحاج عمر تال بن عثمان تال اسم أمه آدم عائشة تيام، كان أبوه من أشرف قبائل الفونلانية البولارية في فوتاتورو، ولد عمر تال في غرة شهر رمضان 1211ه/ 28 شباط 1797م في قرية تسمى (هلوار) الواقعة شرق (بورو)، درس الحاج عمر تال القرآن الكريم طفلا على يد والده، وبعد حفظه للقرآن الكريم درس مبادئ الشريعة عند والده، ثم اتصل بالعديد من الشيوخ طلبا للعلم، من بينهم الشيخ دمب هادي فال فدرس الشريعة واللغة العربية كما قرأ علم العقيدة والتوحيد كذلك المذاهب الأربعة حيث تبنى المذهبين المالكي والأشعرية، ألف الحاج الفوتي الكثير من الكتب ففي التوحيد ألف "سيوف السعيد" وكتاب "سفينة السعادة" وفي

4- مملكة الولوف:

لم تمدنا المصادر التاريخية الشفوية منها والمكتوبة بمعلومات كافية حول تاريخ مملكة الولوف التي كانت تمثل أحد الممالك الرئيسية غير المشهور، حيث قامت هذه الأخيرة على الضفة اليسرى لحوض السنغال التي امتدت حدودها في السودان الغربي بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، والحقيقة أنّ هذه المملكة لم تحضى بالاهتمام الكبير من قبل الباحثين مقارنة ببعض الممالك السودانية الأخرى التي قامت على ضفاف حوض السنغال كمملكتي غانة والتكرور وغيرهما.

هذا وقد ظلت الدراسات الخاصة بهذه المملكة قليلة تكتفي فقط بذكر ما أشارت إليه بعض الروايات الشفوية، بالإضافة إلى ما نقله بعض الرحالة الجغرافيين الذين زاروا المنطقة، وتحدثوا عنها في رواياتهم عن بعض المدن وعن العادات والتقاليد التي كانت سائدة هناك في حين أنّ هؤلاء لم يتطرقوا إلى بقية الجوانب الحضارية الأخرى.[2]

4-1- التعريف بشعب الولوف:

وهم من مجموعة الشعوب السنغالية التي تشغل مجالات واسعة من السنغال وغامبيا، ويرتكز نفوذهم تحديدًا على طول الضفة اليسرى للحوض الأدنى لنهر السنغال[3]، أما عن

الفقه ألف " أجوبة المسائل" و"الفتاوى المطوعة" وكذلك ألف في التصوف الإسلامي" رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم" وفي الشعر أيضا له قصيدة سماها " تذكرة المسترشدين" وأخرى سماها " تذكرة الغافلين في قبح اختلاف المؤمنين"، وكان للشيخ الفوتي الكثير من التلاميذ منهم أبنائه، فقد كان له حوالي خمسين ابنا ذكورا واناث وله تلاميذ آخرون منهم الشيخ صمب انجاي والشيخ التجاني تال، ومن أهم انجازات الشيخ الفوتي هو إقامة دولة إسلامية كبرى تظم معظم أقطار غرب إفريقيا، توفي الشيخ عمر نواحي مدينة الحمدلله (توجد في مالي) في الحروب ضد القبائل البمبارية بعد محاصرته وجنود وكان ذلك في 12 شباط 1865م. محمد بشرى عيسى جيي: **جهود علماء السنغال في خدمة المذهب الأشعري من القرن السابع عشر إلى القرن العشرين الميلادي**، ط1، دار أبي الرقراق، المغرب، 1437ه/2016م، ص 64 وبعدها.

[1] – محمد عدنان مراد: المرجع السابق، ص144، عبدالله سيسي: المرجع السابق، ص 158.

[2]– زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2، 523.

[3]– حمده عبد سلامه موسى: المرجع السابق، ص 102.

تسميتهم بالولوف فتعود إلى القرن التاسع عشر الميلادي، ولعلها أتت من جيرانهم الماندي، حيث كلمة (ولو) تعني الجلد الأسود، أو الجنس الأسود.[1]

ومن ضمن الأقوال الأخرى أيضًا التي تفسر معنى كلمة الولوف أنها تعني القادمين من ضفة النهر، فقد كان هذا المفهوم في البداية يطلق على المجموعة القيادية القادمة من والو مع مؤسسي هذه المملكة، تلك التي رسمت بسلوكها العام مغالم هوية الشعب الولوفي ثقافة وقيمًا، هكذا وقد توسع هذا المفهوم ليشمل كل المنتسبين إلى تلك الهوية، حيث صار هذا الشعب الأصيل في المنطقة بمختلف أعراقه وأصوله يدعى بالولوف.[2]

أما الموطن الأصلي للولوف فقد تمركزوا في غرب البلاد وتعد (جولف) منطقتهم الرئيسية التي انطلقوا نحو بقية الجهات الأخرى في المنطقة وتمكنوا من فرض سيطرتهم عليها.

وتعد منطقة البسافنا شمال غرب السنغال وبالتحديد ما بين نهر السنغال شمالا إلى نهر غامبيا جنوب المنطقة الأكثر كثافة لوجودهم.[3]

ولشعب الولوف مميزات عن باقي الشعوب الزنجية الأخرى التي استقرت بالسنغال، إذ يعد هذا الشعب من أكثر السلالات سوادًا في اللون، وإلى جانب ذلك فقد تميزوا أيضاً بطول القامة والشعر الأسود القاتم، والنباهة الحادة والثقافة المتسعة.[4]

أما عن تاريخ وصولهم للمنطقة فهو غير معروف تحديدًا، ولعل ما يثبت صحة هذا القول أننا لا نكاد نعرف شيئًا عن تاريخ السنغال عمومًا، هذا الأخير الذي ضم عدة شعوب حتى نهاية القرن 11م، إن لم تكن بعض الأدلة الأثرية التي تثبت وجود بعض الفئات الاجتماعية من العصر الحجري القديم إلى الحقبة الأولى، وإذا التزمت الآن بالتقليد

---

[1]-مهدى ساتى صالح: **مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال**، مركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، 1411ه/1991م، ص14.

[2]- المختار ولد كاكيه: **مجمل تاريخ الموريتانيين**، ط1، 2007م، ص 127.

[3]- مهدى ساتي صالح: المرجع السابق، ص 13.

[4]- إلهام محمد علي ذهبي: المرجع السابق، ص 28.

الشفوي فسيكون الشعب Socé أقدم مجموعة عرقية موجودة في السنغال، هذا وقد أشار المؤرخ الجغرافي الأندلسي أبو عبيد الله البكري خلال القرن 11م في روايته أنَّ المنطقة المقابلة لسينغامبيا[1] الحالية قد سجل دخولها الرسمي للتاريخ خلال نفس الفترة، حيث يروي البكري من خلال سرده للمراحل التاريخية لظهور مملكة التكرور التي يقال عنها أنها تقع على ضفاف نهر السنغال ربما موجودة منذ القرن 10م، حيث كانت المملكة الرئيسية التي قامت على ضفافه على الرغم من تفوق مملكة غانة حتى نهاية القرن العاشر الميلادي.

وفقًا لفرضيات المؤرخ جاك ماكيه (gack Maquet) في القرن 11م في أعقاب الأحداث التي أثارت سقوط غانة خاصة بعد ظهور المرابطين على مسرح الحالة السياسية هذا فقد أجبر شعب السرير[2] الموجود بجانب التوكولور على نهر السنغال إلى ترك هذه المنطقة والتوجه جنوبًا حول نهري سين وسالوم.

---

[1]– **سينغامبيا:** وتقع عن بعد بضعة أميال من منعطف نهر النيجر تحديدًا في منتصف المسافة بين الصحراء الكبرى، ومنطقة الغابات وهي تضم حوضي السنغال والميجر، ولقد كانت أجزاء من سينغامبيا بين باول وجولف شمالًا وغامبيا ونيفي جنوبًا تتشكل من مجموعات عرقية مختلفة توجد بينهما ثقافة مشتركة، وقد جمع بينهم مصير مشترك أيضًا نياني يقترن بالتقاء تأثيرات بلاد السودان الغربي والصحراء والغابات في هذا الطرف من غرب إفريقيا وكانت توجد في هذه المنطقة من شمالها إلى جنوبها ست دول، وهي: نياني، ولي، سين، ريب، رسالم، نيرمي.ولقد كانت دولة نياني وريب ونيرمي وولي تشكل الأطراف الغربية لدولة مالي أوج مجدها، ثم عرفت بعد مرور الزمن شيئًا من الحكم الذاتي بداية من القرن 15م إلى إن انتصبت بصفة تدريجية إمارات مستقلة عن السلطة المركزية، وعجل تفكك مملكة الولوف الكبرى بإفراز هذا الوضع الاستقلالي، وأصبحت هذه النزعة الاستقلالية تترسخ أكثر فأكثر خلال القرن 17و18 الميلاديين بفضل = تجانسهم العرقي المرتكز أساسًا العرق السوننكي.ينظر: ب، باري: "**سينيغامبيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر: تطور الوولوف والسيرير و"التوكوكور**"، ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام...، المرجع السابق، مج5، ص 303، إب دير تيام: **المام مابا جخوباه وملحقته الجهادية في المنظمة السينغامبية لنشر الإسلام ومحاربة الظلم في القرن السابع عشر**، تعريب: إمام الحسن المكتبة السنغالية في خدمة النثرات الإسلامي السنغالي، ص ص12–13.

[2]– **السرير (السرر) Sereer:** وهؤلاء ينتمون إلى مجموعة عرقية قريبة من الولوف لكنها انفصلت لفترة طويلة، أما الجانب الثقافي فهم أقرب إلى التكرور، عاش هذا الشعب واستقر ما بين نهر غامبيا (Gambia) ونهر السنغال إلى الجنوب من الرأس الخضر بجوار التكرور، بقيت هذه المجموعة متمسكة بوثنيتها حتى مطلع القرن 16م أين تمكنت هذه المجموعة حينها من الدخول إلى الإسلام بأعداد كبيرة. ينظر:

وما إن استقر شعب الولوف في المنطقة بين القرنين الثاني عشر الميلادي والخامس عشر ميلادي حتى تمكن هذا الشعب من تأسيس مملكته الخاصة على حساب التكرور، ولكن على الرغم من ذلك ظل هؤلاء تحت سيطرة مملكة مالي الإسلامية حتى القرن 15م، علاوة على ذلك تواصل البرتغاليين مع الولوف وقدموا وصفًا أوليا اثبتوا من خلاله أن منطقة حوض السنغال في تلك الفترة الزمنية كانت تتألف من عدة شعوب غير متجانسة منها شعب الفولبي، والسوننكي، والولوف، وغيرها.[1]

وهكذا يمكن القول أنَّ الأهمية المتعلقة بالشعوب الأصلية التي تقطن اليوم الساحل الأطلنطي جد متنوعة خاصة منطقة السنغال منهم شعب الولوف والسرير اللذان يختصان بذكر مفصل ربما بسبب وضعهما الذي يختلف عن بقية الشعوب الأخرى، والمتمثلة في أن هتان الفئتان لهما ميزات خاصة، وما يبرز ذلك وجود شخصية مشتركة بينهما، إضافة أنهما يعيشان في وسط ماندي والمتواجدون في كل مكان على ساحل غامبيا إلى البنين اللذان لديهما نفس التصنيف [2].

4-2- الحدود الجغرافية للمملكة:

نشأت مملكة الولوف كما أشرنا سابقًا حول الضفة اليسرى للحوض السنغال، وتباينت الرقعة الجغرافية التي شملتها الهيمنة السياسية لهذه المملكة بتباين موقعها الذي شكل النواة الأولى لقيامها، ونقطة الجذب أثناء توسعها وطبيعة الأوضاع السياسيةالسائدة لشعبها، إضافة إلى المناطق المجاورة في علاقتها مع القوى الناشئة، فقد شكلت المنطقة الواقعة بين أودية السنغال وغامبيا أقصى غرب منطقة الساحل السوداني خارج الضفة

=A.Le Chatelier: **Islam Dans L'afrique Occidentale**, paris G. Steinheil, Editeur, 1899, p67

إلهام محمد علي ذهبي: المرجع السابق، ص28.

[1]- Michel Perrin LoÏc: **De Représentain du temps en wolof** ،These pour l´obtention du gade de Docteur de l´uniersiersété en Sciences du langage ،Saus la diretion de stphane ،universite paris 7 – Denis Diderot ،2005 ،p 12.

[2]- A le chatelier: op،cit،p 64.

الشمالية للسنغال في حدودها مع جنوب غامبيا التي توجد بها أول غابات مطيرة في كازامانس، ليتم تفردها أيضاً فيما يتعلق بالمناطق الواقعة شرقًا ببلاد السودان من خلال منطقة من الهضاب، حيث تزخر بالخرسانة اللاحقة التي تفصل حوض السنغال عن حوض النيجر، وهي المنطقة التي اختيرت لها اسم (سينغامبيا) بمعزل عن استعمالات أخرى، التي تمد هذا الاسم لتشمل مساحة أكبر، حيث يجمع الحوضين السنغالي والغامبي من منابع الأنهار.[1]

أما الشعوب الثلاثة التي تتقاسم الجزء الأكبر من القطر تتواجد بين النهرين توكولور في وديان السنغال أو وولف وسرير والذين هم مرتبطين ببعضهم من ناحية اللغة والثقافة، أمَّا بالنسبة لمالنكة (Malinke) بغامبيا فهي بعيدة لغويًا عنها، لكن امتداد مملكة مالي القديمة ومشاركتها في بعض الحلقات من التاريخ السينغامبي قربهم من سابقتها.

وعمومًا تحتل الولوف تقريبًا ربع الشمال الغربي من سينغامبيا شمال منطقة الواد السفلي للسنغال، والذي طورته إلى حد كبير دلتا الشبه مغلقة وهي الواو وتعدّ منطقة فيها فيضان بموسم الأمطار، ثم تأتي منطقة كابور ذات التلال الطفيفة لكثبانها الداخلية والبطيئة (تربة الجور التي أعطت اسمها للبلد) وكثبانها البيضاء الساحلية، والتي تتخللها برك من المياه المعدنية التي تكسر الجفاف النسبي للمناظر الطبيعية عندما تكون على الساحل من مصب نهر السنغال إلى أشبه جزيرة (Cap-vert) فهي مستقيمة مسطحة رملية دون مصب مجرى مائي، إن لم يكن مصب (Backwter) في (Mboro) المهمل حالياً، غير أنه كانت له بعض الأهمية سابقُا، ومن الشرق "Kojoor" نحو الداخل تتوافق مع الولوف ومع المنطقة القاحلة جدًا (Ferlo) وسط الحوض السينغامبي هضبة رملية حيث أمطار الآبار النادرة جدًا. هكذا وأخيرًا يبدأ جنوبًا بلد الولوف في شبه جزيرة الرأس

---

[1]- Jean Boulégue: **les royaumes wolof dans léspace sénégambien**: XIIIe-XVIIIe siécle، karthala éditions، paris، 2013، p 05.

الأخضر ذات الحوادث البركانية الخاصة بها وبجزرها الصغيرة ليتبعها بعد ذلك منحدر واسع لريفيسك وفيما بعد تبدأ منطقة السرير[1].

4-3- تأسيسها:

تعود البداية الأولى لظهور مملكة الولوف في السنغال إلى القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، وذلك مع بداية تدهور مملكة مالي الإسلامية عقب وفاة منسا موسى سنة 760ه/1360م، حيث بدأت الأقاليم الخاضعة لها تنفصل عن سلطانها الواحدة تلوى الأخرى[2]منها إقليم الولوف الذي كان خاضعًا لها أيام مجدها وقبل الاستشهاد بنص المؤرخ ابن خلدون (888م) حول امتداد ملك أهل مالي وهو معاصر لهم، نود الإشارة إلى أن مملكة الولوف كانت تسمى صنغانة[3] وهو الاسم الذي يتطابق مع اسم عاصمتها الأولى أثناء تأسيسها "بوالو" "شمانة" قرب مصب النهر، وهو ما نقله القلقشندي (ق 9ه) صاحب كتاب صبح الأعشى عن العمري (ق 8ه) صاحب مسالك الأبصار وفيه ذكر في مسالك الأبصار: "**أنَّ هذه تشتمل على أربعة عشر إقليمًا، وهي: غانة وزافون وترنكا وتكرور وصنغانة ونابغو وزرنطابنا وبينرا ودمورا وزاغا وكابرا وبراغودي وكوكو ومالي**"[4].

ومن خلال ما ورد يتضح لنا أن صنغانة كونت أحد الأقاليم الأربعة عشر المنضوية تحت حكم مملكة مالي الإسلامية فترة ازدهارها، وهو ما يتوافق أيضًا إلى ما أشار إليه إبن خلدون أن مملكة مالي الإسلامية قد بسطت نفوذها من المحيط الأطلسي غربًا إلى

---

[1] – Jean Boulégue: op‹cit:p 06.

[2]– زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2، ص 523.

[3]– **صنغانة:** وهي مدينة ذكرها أبو عبيد الله البكري في كتابه المسالك والممالك فقال: "**...ومدينة صنغانة مدينتان على ضفتي النيل (ويقصد بذلك نهر السنغال) وعمارتها متصلة إلى البحر المحيط...**" ويفيد كذلك المؤرخ ولد حامد في التاريخ السياسي بأنَّ كلمة سنغانة ربما يكون أصلها من "سنغن" ثم حرفت هذه الكلمة إلى سنغال، وعمومًا فإن صنغانة أو سنغن كانت مدينة عامرة تقع على أرض أكون على النهر منذ بداية القرن الخامس الهجري. ينظر: البكرين المصدر السابق، ص172، المختار ولد كَاكَيه: المرجع السابق، ص 122.

[4]المختار ولد كَاكَيه: المرجع السابق، ص 127.

بحيرة تشاد شرقًا، وهذا يعني أن مملكة الولوف كانت تمثل أحد أقاليمها[1]، ومن جهة أخرى تسعى الروايات الماندية التي تتحدث عن خضوع الأقاليم للمملكة إلى وضع الفوتاتورو كحدود غربية لها وهو ما يناسب التكرور مع العمري، وعلمًا أنَّ مملكة الفوتاتورو كانت تضم من الناحية الإقليمية جميع المناطق التابعة للولوف، وهو الوضع الذي استمرت عليه إلى حدود تأسيس مملكة الولوف الكبرى.

فمن الراجح القول أن جميع المناطق الممتدة ما بين السنغال وغامبيا قد انتظمت تحت لواء أباطرة مالي ربما منذ القرن السابع الهجري /13م. ولقد ذكرت المصادر البرتغالية أنَّ اسم "ولي" هو عبارة عن اسم لإقليم في غامبيا، لكن في الأصل أن "ولي" ما هو إلا اسم لابن الملك سندياتاكتيا، إضافة إلى ذلك فقد تبين لنا أيضًا خلال الرواية التي جاء بها الرحالة البندقي كاداموستو(CadaMosto) أثناء زيارته لغامبيا بين عامي (1455-1456م) عندما أفاد بأن البلاد يحكمها ملك كبير يخضع لمملكة مالي الإسلامية، حيث ظلت هذه الأخيرة خاضعة لها إلى غاية القرن العاشر الهجري /16م.[2]

ومنذ القرن السابع الهجري /15م دخلت مملكة مالي مرحلة الاضمحلال فاستقل عنها إقليم الولوف الذي يعدُّ من أولى أقاليم الغرب والذي خرج عن سلطتها حيث استفحل أمره، واستطاع تأسيس مملكة قوية وذلك بعدما تمكن من بسط سيطرته على كل المناطق الواقعة بين نهر السنغال وسالوم بالكامل، حيث فرضت عليها سيادة الولوف من طرف ملوكهم، وفي هذا الصدد تشير الأسطورة إلى أنه في القرن الثاني عشر الميلادي أن أول يوربا للولوف، أي بمعنى أول سلطان لها عرف بلقب "تديان ديان ندياي" وهو الاسم الأسطوري لمؤسس هذه المملكة[3].

---

[1]- المختار ولد كَاكَيه: المرجع السابق، ص 127.

[2]- - زوليخة بنرمضان: المرجع السابق،ج2، ص 384-385.

[3]- A. le chatelie: op‹cit ‹p 65 .

يبدأ تاريخ "تديان ديان ندياي" مع أجدادهم فالكثير من التقاليد تربط أصولهم الأبوية لعبدو بكر عمار البتري المتوفي سنة 480ه/1087م، ومن ضمن مجموعة التقاليد الولوف أن أبو بكر بن عمر، تزوج من امرأة اسمها فاتيماتو سيلا **(فاطمة)** صال زوجة أبي بكر بن عمر اللمتوني والتي عرف عنها أنها كانت ابنة "لام تورو أبرن" أو عمران، وحسب الرواية فإن أبو بكر كان قد خرج في معركة، أو أنه حل به مرض حسب التقاليد[1]، وقبل وفاته أعطى الإذن لزوجته بأن تعيد الزواج إذا أرادت، وزوجها المستقبلي يجب أن تتوفر فيه الشروط كانا قد اتفقا عليها سابقًا.

ويذكر أن أبا بكر كان له رفيق يدعى "مبارك بو " والذي يسمى في بعض الكتابات (العبد الرق القديم)، وقد عرف السر بين أبو بكر وزوجته حسب عدة قصص، حيث قيل أنه بعد رحيل أبي بكر قررت زوجته أن تعلم ابنها "أحمادو" بأنها تريد الزواج، وأضافت كذلك أن "مبارك بو" ألم بجميع الوصايا المقدمة من طرف زوجها أبي بكر ومع قرب الزواج فر "أحامدو" نحو النهر مصعوقًا بالخبر، ويرجح أنه مات غرقًا، وقد تعددت الروايات في ذلك ليظهر بعدها حاضرة تسمى "منقان" أو قرب قرية مبيوغار(Mboyogar) التي تقع في "ماريقو" كانت على بعد حوالي 20 كلم في الجنوب الشرقي "لسانت لويس "[2] حاليًا.

ويرى أن هذا الأخير ظهر خارج الماء عندما شاهد شباب من القرية يتشاجرون عن حصية الصيد الذي جانوه طيلة اليوم، حيث رأى الصيادون بأن مخلوقًا عجيبًا كان قد شهد

---

[1]- Samba Lampsar Sal: Nadiadiane Ndiaye et les origines de l´empire wolof، L'harmanttan، 2011، p 28.

[2] **سانت لويس:** تقع على مدخل نهر السنغال، وقد كانت عاصمة للبلاد قبل العاصمة الحالية داكار ولأهميتها تعد اليوم المدينة الثانية في البلاد، يربطها بداكار العاصمة وموريتانيا خط حديدي، ثم هي قبل هذا وذاك بوابة الاتصال الرئيسية مع البلدان المغاربية وموريتانيا. ينظر: مهدى ساتى صالح: المرجع السابق، ص06.

كل الأحداث بعد أن التمسوا فيه الخلق الحسن، قرر هؤلاء القبض عليه، ونجحوا بذلك ليحتفظوا باسم "نديان ديان ندياي" الذي أعطاه والي ليصبح بذلك الملك الأول "لواو".[1]

وفي رواية أخرى قبل أن أحمد بن أبي بكر ترك أخواله حول أمر غاضبهم منهم وهاجر نحو الواو، وهي المنطقة التي فيها ضاغنة في تلك الأثناء ولما وصلها أحمد وجد فيها مجموعات متخاصمة فيما بينها، فتمكن من الإصلاح بينهم، فسر أهل الواو بموقفه اتجاههم وأمروه أن يكون ملكًا عليهم، وبعدما تمكن الملك "نديان ديان ندياي" من وضع النواة الأولى كسلطة بالواو نزح نحو الجنوب إلى المنطقة التي تعرف فيها فيما بعد باسم "الجلف" ومنها اشتقت هذه المملكة اسمها بحيث أصبحت الواو بعد هذه المرحلة بمثاب إقليم تابع لمملكة الولوف [2].

أمَّا فيما يتعلق بمرحلة توسعها فقد تمكنت خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي من بسط نفوذها على جميع المناطق الواقعة بين نهر غامبيا، ونهر السنغال حيث شملت خلال هذه الفترة حسب ما تذكره الروايات عدة أقاليم، وقد انتظمت مملكة الولوف على شكل اتحاديات أو ممالك منها[3]:

أ- مملكة الوالو:

وهي واحدة من أوائل الممالك في الوسط الجغرافي المسكون الآهل بالولوف، تقع هذه المنطقة في شمال السنغال[4] تحديدًا ما بين مدينتي بودور (Podor) وأندر (N’DAR) وتقطنها جماعة الولوف أساسا وكانت عاصمتها أندير (N’DER).[5]

ولقد مثلت الواو خلال القرن التاسع الهجري، الخامس عشر الميلادي إحدى الدول الخاضعة لهذه المملكة، وقد اتخذت البداية "إنجوبل" كعاصمة لها ثم انتقلت إلى "أندير"،

---

[1]- Samba Lampsar Sal: : op‹cit ‹p 29.

[2]- المختار ولد كَاكَيه: المرجع السابق، ص 125.

[3] – A. le chatelier: op ‹cit ‹p 65.

[4]- Samba Lampsar Sal: op‹cit ‹p 32.

[5]- عبد القادر محمد سيلا: المرجع السابق، ص 34.

وكان ملوكها يحملون لقب "أبرك"، حيث كان هؤلاء يتم انتخابهم من قبل ثلاث عائلات تعاقبت على الملك، هي: "لوكر، نجيك، جوص".[1]

أما بالنسبة للسكان الأوائل الذين استوطنوا هذه المنطقة هم على الأرجح "سيرار – كوزان" الدين يشتغلون في الزراعة على ضفاف النهر منحدرين من "نامندير–ديولند" قبل القرن السابع هجري ثم تلتها شعوب أخرى هم البربر القادمين للمنطقة والذين سموا هذه الأرض بالوالي (wall) وتعني أرض الرعي قبل "أن تمتد وتصبح "zenegu" وقد سميت أولًا "sengalne" لتصبح والو والتي اشتقت منها كلمة السنغال كما أشرنا سابقًا.

ومع نهاية القرن الثاني عشر الميلادي بقليل كانت الواو بقيادة "نديان ديان ندياي" الذي دمج مملكة الولوف التي تشمل كايور (Cayer)، باول(Baol) وسين وسالوم، وجزء من الفوتاتورو حتى ديمار حيث أن هذا الملك وجدها عبارة عن تجمعات سكانية صغيرة لصانعين ومزارعين متجمعين في تنظيمات قبلية غير متمركزة تحت تبعية التكرور وكان هناك مجل حكماء (Sola halow) مدرة للثلاثة الناخبين الكبار لوالو وأصلهم جميعا من ديا أوغو وديوغومايو وديوغو دووديادو ومنذ ذلك الحين أصبحت والو أحد الأقاليم الخاضعة لمملكة الولوف. [2]

ب– مملكة سالوم:

تأسست مملكة سالوم غير المشهورة على نطاق واسع فيما يرجع بعض الدارسين أواخر القرن الخامس عشر ميلادي على يد مبيجان ندور (Mbegan Ndur)، ولقد شهدت هذه المملكة ازدهارا واضحًا خلال القرن العاشر هجري، 16م بحيث استطاعت حوالي سنة 1566م أن تضم كل المناطق الواقعة شمال نهر غامبيا، وجزء كبير من السين (Sinn) وأن تقيم جهازًا إداريًا وعسكريًا محكما في إقليم جامبيا أثار انتباه الرحالة البرتغالي أندريه ألفريس دالمادا، حيث أفاد هذا الأخير في روايته عن تلك المملكة

---

[1]– المختار ولد كَاكَيه: المرجع السابق، ص 125.

[2]-Samba Lampsar Sal: op‹cit ‹p42.

وعادات شعبها ومن جانب آخر تمكن حكام مملكة سالوم في نهاية الأمر من ان يتخلصوا من سيطرة حكام غامبيا على بلادهم ثم اتطاعوا أن يضموا عددا من حكام الولايات والأقاليم الصغرى والتي كانت تحت سيطرة ملوك غامبيا قبل ذلك وكانوا يدينون بالطاعة والولاء له وذلك على امتداد مجرى نهر النيجر.[1]

ومن بين الممالك الأخرى التي كانت تابعة وهي "كايور"و"باول" حيث شهدتا تأثيرا من جيرانهما من غير شعوب الولوف.

ومن الإمارات الأخرى أيضا نجد:

- إمارة السيرير بالسين.
- إمارة بوندو تزعمتها سلالة توكولار.
- والمماليك الصغرى لغامبيا وكازامنس.
- والمماليك الأخرى بالسنغال العليا: البوندوBondou.
- القادياتا، والبامبوك[2].

4-4-انتشار الإسلام:

يبدو أن تاريخ بداية الإسلام في قبائل الولوف غامضًا غموض الأحداث التاريخية، إذ مرّ تاريخ إسلامهم بمراحل مختلفة لا تكاد تتصل حلقاتها بصورة واضحة، فبعد أن ظهرت قبائل الولوف كعنصر مستقل بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين بدأ هؤلاء منذ تلك الأثناء في استقبال بعض المؤثرات الإسلامية التي يصعب تحديد نتائجها، فقد أكدت بعض الروايات الشفوية وجود أحد الدعاة المسلمين في المنطقة منذ سنة 1200م، في حين نرى أنَّ بعد ظهور الإسلام كسلطة حاكمة تحت القائد "تديان ديان

[1]- إسماعيل حامد إسماعيل علي:المرجع السابق، ص 90، زوليخة بنرمضان:المرجع السابق، ج2، ص 524، مادينالي- تال: "**تدهور امبراطورية مالي**"، ضمن كتاب: تاريخ افريقيا العام، ط2، صادر عن منظمة اليونسكو، بيروت- لبنان، 1997، مج4، ص195.

[2]- Yves-Jean Saint –Martin: le sénégal sous le secand Empire: naissance d´un empire colonial (1850-1871)، Kartala Editions،paris، 1989 ،p.19.

ندياي" سنة 1360م لا نجد للسلطان الإسلامي أثر في ممتلكاتهم بعد زمن قصير،ربما ذلك راجع إلى أن نسبة اعتناق هذا الشعب إلى الدين الإسلامي كانت قليلة وكان دخول الوثنيين إلى الدين الحنيف يتم بشيء من التدرج بين أوساطهم[1]، وحسب ما أشارت إليه تقارير بعض الرحالة في منتصف القرن 15م، فقد ظل أثر الاسلام بارزا وملموسا على مستوى شعبها وذلك إلى أن تمكنت مملكة الولوف من استعادة سلطانهم في مطلع القرن السادس عشر الميلادي لاحظ بعض الرحالة أنّ الملك والنبلاء والسادة في المملكة مسلمون.

وقد استمر انتشار الإسلام يشهد نوع من التدرج بين مختلف أوساط المملكة لتشهد في القرن 19م تحولًا كبيرًا في مسارها الديني فقد شهدت في منتصف ذلك القرن مرحلة الدخول الجماعي في الإسلام.

بعدما تمكن الولوف من احكام سيطرتهم على الضفة اليمنى لنهر السنغال خلال القرن السابع عشر ميلادي، استطاع هؤلاء في عهد سلطانهم من إقامة بعض الإمارات الصغيرة في بلاد السرير جنوبا منها إمارة سين وسالوم، باول، يلي وغيرها، وقد كانت إمارة سين تمثل أهم إمارات السرير وكان أمراؤها على دين الإسلام تماما مثلما كان لحال مع بقية الإمارات الأخرى التي اعتنق ملوكها الدين الإسلامي.

وهكذا استمر انتشار الإسلام يشهد نوعا من الاستمرار بين مختلف شعوبها لتشهد هذهالمملكة خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي تحولا كبيرا في مسار الدين، تطبيق كل التعاليم الإسلامية وهو ما نتج عنه مرحلة الدخول الجماعي في الإسلام[2].

---

[1] إبراهيم عبد الرزاق عبدا لله: المرجع السابق، ص154.

[2]مهدى ساتي صالح: المرجع السابق ص28، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **إمبراطورية الولوف بين المهد الإسلامي والتوسع الفرنسي**، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا، المنعقد يومي: 26-27نوفمبر 2006م، جامعة افريقيا العالمية، ص 154.

4-5-سقوطها:

عرفت مملكة الولف بعد حوالي قرن من صعودها فترات من التراجع والانحطاط وما يفسر هذا التراجع هو ما أشارت إليه المصادر البرتغالية أثناء وصولهم إلى الساحل الأطلسي، حيث تفيد هذه المصادر أنّ المملكة كانت تتشكل من مجموعة ممالك غير متماسكة بسبب صراعها الدائم مع الأقاليم الخاضعة لها، وهي الواو، وكايور، التي تقع على حدود الرأس الأخضر بإضافة إلى السين في السرير جنوبًا، وهما أدى إلى تراجع قوة الولوف بسبب هذه الحروب، قبل أن تنتعش مجددًا محاولة فرض سيطرتها على مملكاتها القديمة، ويبدوا أنّ الولوف لم تنعم طويلًا باستعادة مجدها بعد اصطدامها بفولبي هؤلاء الذين بدأوا منذ نهاية القرن الخامس عشر يشنون غاراتهم عليهم والتي كانت من نتائجها المبكرة خراب بعض أقاليمها التابعة لها، وفي سنة 1510م مارس الفولبي ضغوط قوية على الحدود الشمالية للمملكة، أسفرت على انفصال السرير في الجنوب.[1]

وهكذا يتبين ان مملكة الولوف قد تراجعت قوتها بسب هذه الحروب، قبل أن تنتعش مجددا محاولة فرض سيطرتها على ممتلكاتها القديمة التي كانت بحوزتها خصوصا التي كانت في سوسوكو وولي، ويبدو أن شعب الولوف لم ينعم طويلا بهذه النهضة بعد اصطدامهم بفولبي دينانكي الذين يشنون حجوماتهم على مملكة الولوف من جهة الشرق والشمال الشرقي، وهو ما كان من نتائجه المبكرة خراب وولي، وفي بداية القرن السادس عشر تحديدا سنة 915ه/1510م مارس الغزاة الجدد ضغوطا قوية أخرى على الحدود الشمالية للمملكة، أسفرت هي الأخرى عن استقلال السرير من جهة الجنوب وانظمامها إلى السين واستطاعوا من خلالها تكوين مملكة موحدة مع السالوم هذه الأخيرة التي استطاعت فرض سيطرتها على ممالك المالنكي في شمال غامبيا باستثناء مملكة وولي، غير أنها في النصف الثاني من القرن السادس عشر تفككت مملكة الولوف بشكل نهائي

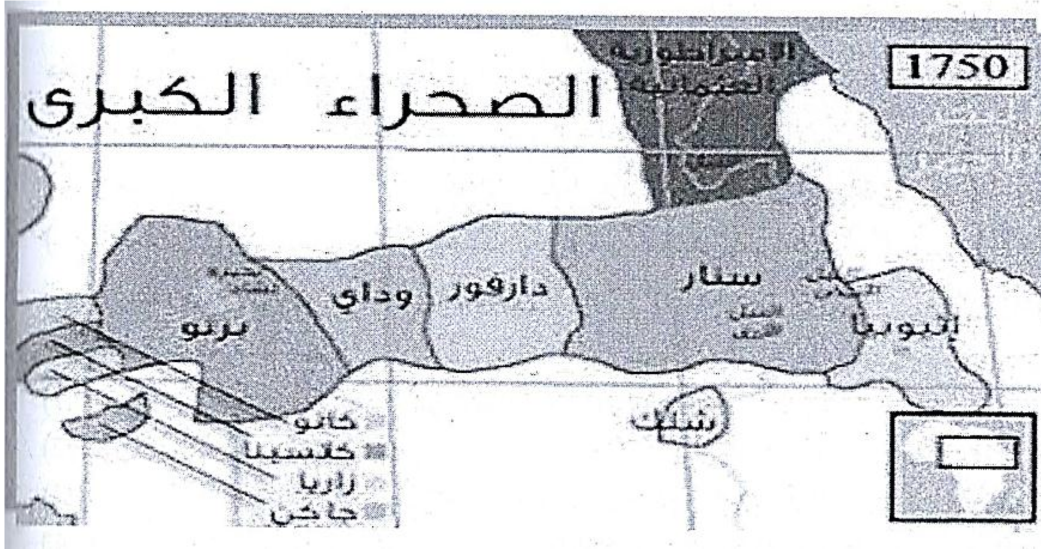
[1]-زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2، ص524.

على إثر وقوع حرب كايور، فتحولت بذلك نواتها الوسطى إلى حجم مملكة صغيرة وفقيرة تحت سلطة الفولبي.[1]

[1]- زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2، ص 525.

ثانيا: ممالك منطقة التشاد:

شهدت منطقة بحيرة التشاد[1] منذ مطلع القرن الخامس الهجري 11م مملكة اسلامية كان لها دور كبير وفعال في تاريخ كل من السودان الأوسط والغربي وهي مملكة كانم برنو وقد قامت في الاجزاء التي لم تستطع أن تصل اليها سيادة الممالك السودانية السابقة، ونجحت في القيام بالدور التاريخي الذي قامت به قبائل السوننك في غانة والماندنجو في مالي والسنغي في سنغاي الاسلامية.[2]



الشكل رقم 05: خريطة توضح موقع مملكة كانم – برنو بين باقي ممالك السودان الشرقي والحبشة

نقلا عن: إسماعيل حامد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص 200.

---

[1] **بحيرة تشاد/ tachad:** وهي بحيرة كبيرة تقع شرق دولة الهوسا ولها موقعا هاما اذ جذبت إليها عناصر المختلفة من السكان ساعد على وصلها واستقرارها خصوبة الارض وعدم وجود حواجز طبيعية لخلوها من الصحاري والغابات والمرتفعات مما جعلها تشكل مركزا هاما لطرق القوافل المارة عبر افريقيا ومركز نشاط وحياة فكل هذه العوامل ساعدت على استقرار الكثير من القبائل حول شواطئ بحيرة التشاد التي امتزجت شعوبها ببعضها البعض منذ ازمنة سحيقة واشارت الدراسات إلى ان اغلب هذه المجموعات نزحت من الشرق والشمال بالإضافة إلى ذلك فقد كانت منطقة التشاد تضم حوالي خمسة عشر لغة متباينة، ينظر: Basil Davidson: **L'afrique ancienne**، **farncaismas pero**، paris، p46-48.

محمــد صالح أيوب: **الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وادي تشاد (1853-1917 م)**، ط، دار الكتب الوطنية بنغازي الجماهيرية العربية الليبية، 2001،ص36، وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص286، محمــد السعيد القشاط: **صحراء العرب الكبرى**، ط1،دار الرواد، طرابلس ليبيا،1994م، ص18.

[2] عبد الله عبد الماجد ابراهيم: **العزابة**، ط1، دار العاوي للطباعة والنشر 1418هــ/1998م ص 302.

1- مملكة كانم برنو[1]:

كانت مملكة برنو تقع[2] في الشمال الشرقي لنيجيريا وفي غربي تشاد (Tchad) وشرقي بلاد الهوسا وهي في الماضي إحدى اقاليم مملكة كانم (Canam) التي تجاور السودان وليبيا وعاصمتها هي مدينة غيدام (Gaidam) ولذلك يقسم بعض المؤرخين تاريخ مملكة برنو إلى عصرين مزدهرين هما العصر الكانمي والعصر البرناوي.[3]

1-1-مملكة كانم:

قامت مملكة كانم في شمال شرق بحيرة التشاد خلال الفترة الممتدة من عام 184 ه /800 م إلى نهاية القرن الثامن هجري /14 م ولقد تعددت الروايات التاريخية والأساطير حول أصول هذه المملكة، والبدايات الأولى لظهورها، غير أن أغلب الاستنتاجات والفرضيات تعود إلى ما ذكرناه سابقا وبعد مجيء الإسلام إلى هذه المملكة اتسع نفوذها حتى شمل مناطق جزء غربي بحيرة التشاد أي ما يعرف بمنطقة برنو، وأراضي واسعة في منطقة السودان الأوسط[4] والسودان الغربي.

---

[1]تشير المصادر التاريخية أن هذه المملكة تعرف بمملكة كانم من نشأتها سنة 800 م إلى غاية سنة 1386 م ومنذ هذا التاريخ اصبحت تعرف بمملكة برنو وتختلف هذه المملكة عن بقية الممالك السابقة التي شهدتها بلاد السودان الغربي من حيث انها لم تنشأ في منطقة منحنى النيجر بل انها نشأت في بحيرة التشاد ينظر: علي أبو بكر: **الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى 1960 م عام الاستقلال**، ط2، دار الأمة، 2014، ص73.

[2]**برنو:** وقد تحدث عنها مرمول كرنجال وقال بأنها اسم لإقليم شاسع شرق ونكارة ويمتد طوال مسافة تقدر بنحو مائة وستين فرسخا ويبعد عن النيجر بنحو خمسين فرسخا ويتاخم جنوبا مفازة ساو كما يتاخم شمالا مفازات اخرى تشبه صحراء برقة تتألف تضاريسه من الجبال والسهول الآهلة بسكان طبائعهم حسنة وأخلاقهم طيبة ولعل هذا هو السبب الذي يشجع التجار الاجانب على الاقامة بالمنطقة ينظر: مرمول كربخال: **افريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط، 1989، ج3، ص210.

[3]محمد لواء الدين احمد: **الاسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان الفوزي في ترسيخه**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2009، ص64.

[4]**السودان الأوسط:** ويشمل حوض بحيرة التشاد بين خطي عرض 22شمالا، 10جنوبا وبين خطي طول 10 شرقا، 15 غربا، وقد قامت في هذا القسم من بلاد السودان عدة ممالك من أبرزها مملكة كانم برنو. ينظر: ايهاب سالم: المرجع السابق، ص06.

وقد حوى التاريخ القديم أساطير كثيرة حول قدوم هجرات متتالية نحو كانم خاصة من جهة الشرق والشمال الشرقي من خلال الطرق القديمة المؤدية إليها من جهة وادي النيل، وإلى جانب ذلك فقد قيل أيضًا أنَّ كانم كانت قد استقبلت سلالة الأمويين الهاربين من سلطان العباسيين الذي كان يلاحقهم باضطهاده[1].

ويشير بعض المؤرخين إلى أنَّ جميع هذه الشعوب قد امتزجت في شعب واحد عرف بشعب الساو[2]، وقد حدد المُؤَرّخ "أورفوي" "Urvoy" تاريخ هجرة هذا الشعب إلى منطقة كانم بأنها كانت حوالي القرن السادس الميلادي، وانتشروا في بادئ الأمر على الضفة الشرقية الشمالية لبحيرة تشاد، ثمّ سيطروا بعدها على منطقة السفانا الممتدة شمالاً، واستقروا أخيرًا في الجزء الجنوبي الغربي للبحيرة[3]، ولأنّ كانم لم يكن بديارها ثروات طبيعية كمناجم الذهب والملح التي كانت في مملكة غانة ومالي وسنغاي، فقد سلم شعب الساو من غزوات جيرانه، كما بقي مسيطرًا على طرق قوافل التجارة بين البحر المتوسط وتشاد[4]، ومع بداية القرن الثامن الميلادي بدأت كانم تشهد هجرات جديدة منها هجرات الزغاوة[5] هؤلاء الذين استقرّوا في البداية حول بحيرة تشاد، وكانوا قبائل غير مستقرة

---

[1]– القلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص 269. حمدى عبده سلامة موسى: المرجع السابق، ص 183.

[2]– **الساو/SAO**: وهو شعب تمركز على نطاق واسع حول بحيرة تشاد، قال عنهم الرحالة بارث بأنهم يمثلون أحد أقسام الفولانيين وهم السكان الأصليين لمعظم الإقليم شمال تبستي، وبين نهر شاري جنوب بحيرة تشاد وبداية مناطقهم تبدأ من منطقة ودان، وبينما يرى أورفو Urvoy أنَّ الساو هم العماليق أنفسهم، وأنهم جاؤوا أصلًا من فزان على شكل هجرات مكثفة، من قبل مجموعات البدو البيض، وهم من أصل بربري، وحاول دايفدسون (Daivd San) أن يرد أصولهم إلى سلالة الهكسوس على أساس التشابه في الحلقة والدور التاريخي الذي قام به هؤلاء في قلب إفريقيا وأولئك في مصر، في حين أنَّ الأوصاف التي وردت في كتابات المؤرخين العرب ترجع أنّ شعب الساو يرجع إلى أصول أقرب ما تكون إلى الشعوب التي عاشت حول نهر النيل وذلك على أساس التشابه في الصناعات التي عاشت حول نهر النيل وذلك على أساس التشابه في الصناعات والرسوم.ينظر: محمد صالح أيوب: المرجع السابق، ص ص41–42.

[3]– **نفسه: ص**41.

[4]– حمدى عبده سلامة موسى: المرجع السابق، ص183.

[5]– **الزغاوة:** وتعدّ من أوائل الأسر الحاكمة حول حوض التشاد، اختلف المؤرخون في تحديد أصول هذا الشعب، حيث يرى ابن خلدون أنَّ الزغاوة من اصول حامية وليسوا من الزنج ويرى بعض الباحثين أنهم من أبناء الزغاوة أنَّ رواياتهم المحلية وبعض آثارهم القديمة تدلّ على أنَّ هؤلاء ينتسبوا إلى أصول عربية، غير أنَّ بعض المستشرقين

حول الحافة الجنوبية للصحراء الإفريقية الكبرى، ثمّ هاجروا بعدها نحو منطقة التشاد وهناك بسطوا نفوذهم واصبحوا يمثلون الطبقة المتميزة في المجتمع وكانوا في بعضهم يتكلمون العربية إلى جانب لغتهم الاصلية وهي لغة التبو وإلى هؤلاء يرجع تأسيس دولة برنو الأولى في اقليم كانم والتي اتسع فيما بعد [1] وفي ذلك يورد ياقوت الحموي عن أحوال مملكة الزغاوة واتسع نفوذها وكانت منطقة كاوار (مملكة الصو) أو مملكة العمالقة التي تخضع لنفوذ الزغاوة كذلك سادت حكومة الزغاوة على اقليم وادي وعلى قبائل النوبة المجاورة لها من جهة الشرق ولما استفعلت سلطتهم اتخذوا نجيمي[2] عاصمة لهم في إقليم كانم[3].

ولقد ظلت جماعة الزغاوة تحكم في إقليم كانم حتى مطلع القرن التاسع الميلادي حيث ظهرت أسرة جديدة تسلمت مقاليد الأمور في كانم عرفت بالماغوميين وهم من البربر البيض أبناء عمومة الطوارق، استمرت أسرة الماغوميين تتولى مقاليد الحكم سواء

=يقولون بانحدار الزغاوة من البربر وذلك للتشابه في العادات والتقاليد، وتذكر (تبيانا Tubiana) أنَّ العرب تاريخيا هم الذين أطلقوا عليهم اسم الزغاوة على اعتبار أنَّ لهم اسم آخر يسمون به أنفسهم هو "بيري" (Beri) عمومًا فقد انتشر هذا الشعب في مستهل الفترة الممتدة بين سنة 800م و1250م في مساحة واسعة تمتد من بلاد دارفور حتى بحيرة تشاد، ويبدوا أن هذا الشعب قد ظل على وثنيته حتى النصف الأول من القرن 11م فالبكري الذي كتب عن هذه البلاد خلال هذه الفترة يذكر بأنهم لازالوا على الوثنية، وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر دخل شعب الزغاوة الإسلام وعملوا على نشره على كانم بين دارفور وشمال بحيرة تشاد.ينظر: محمد صالح أيوب: المرجع السابق، ص ص44-45، حسن أحمد محمود: **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1431ه /2001م، ص ص198-199.

[1]- وريد عبد القادر النوري: المرجع السابق،ص166.

[2]- **نجيمي/ n'jimi**: وتعد اشهر عواصم برنو في عصر سيادة كانم عرفت هذه المدينة بعدة اسماء منها سيما sima أو شام sham كما يسيميها الكانوري، كما اشتهرت كذلك باسم نجور N'GURU وكايوا KAYI-AWA ومعناها مدينة الكلى او الماغوميين أي مدينة الاسرة الماغومية الحاكمة وتذكر اساطير برنو ان مدينة نجيمي عاصمة منذ القدم حتى عهد سيف بن ذي يزن ولكنها لم تعرف بدقة الا في عهد الماي الثامن عشر وهو كادي (حوالي سنة 1278م) عندما اتسعت هذه المدينة ونمت واصبحت من اشهر عواصم برنو في زمن سيادة كانم ينظر: إبراهيم علي طرخان: **امبراطورية البرنو الاسلامية**، المكتبة العربية، القاهرة، 1395ه/1975م، ص ص 89-90 ، ك - مادهوبانيكار، المرجع السابق، 179.

[3]- إبراهيم علي طرخان: امبراطورية البرنو...، المرجع السابق، ص 49.

كان مركزها في إقليم كانم أو في اقليم برنو فيما بعد حتى قضي عليها الفولانيون خلال القرن التاسع عشر ميلادي.[1]

أ- كانم خلال عهد السيفيين (الأسرة السيفية):

تذكر المصادر وسجلات الحكم الكانمي بأن الأسرة السيفية قد لقبت بهذه التسمية نسبة إلى "سيف بن ذي يزن" حيث يقرر أحد ملوكها وهو عثمان بن إدريس (1392-1424م) -الملك الثالث والثلاثون في سلسلة مايات برنو- هذه الحقيقة في خطاب له إلى برقوق سلطان مصر المملوكي (1382-1398م) حين كان يشكو من اعتداءات حرب جذام في بلاده لأنه من سلالة "سيف بن ذي يزن" فيقول له "**تحن بنو سيف بن ذي يزن العربي القرشي كذا ضبطناه عن شيوخنا**" [2].

استمرت الأسرة السيفية تحكم كانم حوالي ثمانية قرون وتقول الروايات عن هذه الأسرة أن حكمها كان من أطول الحكومات المتسلسلة من أسرة واحدة حيث وصل عدد ملوكها الأوائل إلى أحد عشر ملكا[3] ولقد كان ملكهم يلقبون منذ أيام الوثنية بلقب 'MAI" بمعنى الإمام وأما أول من اعتنق الإسلام منهم حسب المصادر المحلية فهو الملك الثاني عشر هو حمّى جِلْمِي الذي يقدر المستشرق اورفوي بأنه ولى (&085-1097م) وتضيف هذه المصادر بأنه أدلى بتصريح يوم اعتناقه الاسلام قال فيه " **ان اول بلد دخله الاسلام في السودان هو برنو وقد جاء به محمـــد بن ماني الذي أقام في برنو خمس سنوات في عهد الملك بلو وست سنوات في عهد الملك أزكو واربع في عهد الملك كداي حوامي وأربعة عشرة في عهد الملك حمي**"[4]وباسلامه أسلم شعب كانم في القرن 11 م نفسه.

[1]- إبراهيم علي طرخان: امبراطورية البرنو...، المرجع السابق، ص50

[2]- احمد شلبي: المرجع السابق، ص289

[3]محمد صالح ايوب: المرجع السابق، ص46.

[4]علي ابو بكر: المرجع السابق، ص82.

والجدير بالذكر أن الماي حمي جلمي يعد من أقوى مايات السيفيين فقد تمكن من تحقيق الانتصار ضد البولالا[1] الوثنية التي كانت تشكل خطرا على مملكته وأجبرهم على دفع الجزية غير أنهم نقضوا العد وأغاروا على حدود البرنو الجنوبية بفضل دعم كان هؤلاء البولالا قد تلقوه من قبائل وثنية مجاورة غير أن جميع غاراتهم فشلت وتمكن من هزيمتهم وقتل منهم ثلاثة آلاف مقاتل مما أعطى الملك حمي جلمي سمعة طيبة وأصبح بمثابة البطل العسكري لمملكة كانم.

وبعد وفاته خلفه ابنه دونمة (1098-1151م) وفي عهده ازدهرت قوة كانم عسكريا لاهتمامه بالشؤون العسكرية وما يتعلق بها وذلك من اجل تحقيق أمن واستقرار المملكة والعمل على تحقيق أهدافها العسكرية في تتبع القبائل الوثنية، والقضاء عليهم أو إدخالهم في الإسلام أو إجبارهم على دفع الجزية ويذكر أن جيش كانم قد بلغ مئة وعشرين ألف جندي منهم مائة ألف فارس ما عدا المرتزقة ولذلك ازدادت شهرة كانم في هذه الفترة وأصبحت قوة عسكرية مهابة في المنطقة[2] وقد قام دونمة بفتوحات واسعة النطاق فبسط نفوذه من حدود مصر شرقا إلى النيجر غربا ومن فزان[3] شمالا إلى البينوي جنوبا.

---

[1] **البولالا/ Bullala**: تعددت الروايات واختلفت حول أصول هذا الشعب حيث يرجع البعض نسبهم بأنهم فرع من الأسرة الماغولية الحاكم في كانم وهناك ما يشير إلى أن البولالا كانوا أقرباء التنجور وهم عرب سكنوا اجزاء من وادي دارفور وكانم وهناك بعض الأقوال تشير إلى أنهم من عرب الشوا الهلاليين وعلى أية حال ومهما تعددت أصول هذا الشعب وسواء كانت أصولهم تنتمي إلى الطوارق أهم العرب أم السودانيين أم إلى أنهم خليط من هذه العناصر كلها وهو الأرجح لدينا إذ أن الاختلاط والمصاهرة كان أمرا مألوفا وقديما بين العناصر السالفة الذكر فإنهم استقروا أولا في الصحراء إلى الشمال الشرقي من بلاد كانم ثم زحفوا بعدها مع السيفيين حوالي القرن 9 م نحو الجنوب الغربي وانتشروا في المنطقة الممتدة من نهر شاري عند سابينا إلى بالاك في شمال كانم. **ينظر**: عبد الفتاح مقلد الغنيمي: **سلطنة البولالا**، ط1، مكتبة مديولي،1996م، ص19، رجب محمد عبد الحليم: **سلطة البولالة الاسلامية في حوض بحيرة التشاد**، مكتبة كلية الاداب، القاهرة، 1440ه/2019م، ص ص 9-11.

[2] وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق،ص168

[3] **فزان**: وهي منطقة صحراوية كبيرة تتاخم صحراء ليبيا المتخامتة لمصر والتي تبعد عنها بمسيرة حوالي ستين يوما ومملكة اكدز وبلاد السودان ولقد كانت فزان تمثل مقر ومحطة للتجار الليبيين القادمين من مختلف المناطق وخاصة تجار طرابلس فعلى طريقها قامت طرابلس بربط علاقات تجارية مع تنبكت وكانم وغيرها. ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق،ج2، ص ص 146-147 مرمول كربخال: المصدر السابق، ج3، ص 174.

ولقد كان دونمة أول سلطان قام بأداء فريضة الحج وتشير الروايات المحلية إلى أنه حج ثلاث مرات، وفي كل مرة كان يترك ثلاثمائة عبد في بلدة تابعة لمصر فخاف أهل البلدة أن يستولي عليها بعد رجوعه من الحج فأغرقوا السفينة التي ركبها فهلك في خليج السويس بمصر ثم خلفه من بعده ابنه بير ولكنه كان ضعيفا ولم تذكر المصادر شيئا من إنجازاته فعزلته أمه وسجنته[1] وخلفه عبد الله بكورو (1193/1176 م) تولى الحكم سبع عشرة سنة تمكن خلالها من صد المخاطر الخارجية ثم خلفه الماي سالما بن بكر (1221/1194م) وفي عهده تعرضت المملكة لهجوم من طرف قبائل الصو الوثنية إلا أنه تمكن من الإنتصار عليها.[2]

ولقد اعتلى العرش من بعده دونمة احمد (1259/1221م) كان رجلا حازما كجده ومهتما بالفتوحات وقضى عدة سنوات في إخضاع قبائل التيبو[3] ويعتقد أنه هو الذي بسط نفوذ كانم على جميع فزان وبعد وفاته دخلت كانم حالة من الضعف فقد تعاقب على عرشها عشرة سلاطين كلهم ضعاف فيما بين سنة 1225 إلى سنة 1386م وجر هذا الضعف إلى نتائج وخيمة على المملكة.[4]

---

[1]علي أبو بكر: المرجع السابق،ج3، ص174.

[2]إبراهيم علي طرخان: امبراطورية البرنو...، المرجع السابق، ص85.

[3]**قبائل التيبو:** وهم البربر الذين سكنوا الصحراء الكبرى منذ القدم واستقروا بجبال تيبسي وبها سميت هاجروا مع أجدادهم وانتشروا في منطقة شاسعة من صحراء ليبيا وبين القرنين الحادي عشر والثاني عشر كثرت هجرات قبائل التيبو وانتشرت في كانم ودخل افرادها في خدمة الزغاوة وينسب إلى قبائل التيبو هؤلاء الذين كانوا ينقسمون إلى قسمين (التيجا–الدارا) دورا هاما في إدخال الإسلام ونشره في كانم ويمتهن التيبو تربية الماشية والرعي والصيد والتجارة وهم يسيطرون على طرق القوافل القادمة من فزان باتجاه بحيرة التاشد ونيجيريا وليس هم فحسب فقد كانت هذه القبائل تكون في اللقرن السادس عشر ميلادي نسبة كبيرة في جيش البرنو. ينظر: وريد عبد القادر نوري، المرجع السباق، ص285، محمـــد سعيد القشاط: المرجع السابق، ص 121.

[4]علي أبو بكر: المرجع السابق، ص175.

ب- الاسلام في كانم:

وكسائر الممالك السودانية في تلك الفترة دخل الاسلام إلى كانم وتكاد المصادر التاريخية تجمع على حقيقة واحدة وهي أن أول بلاد من السودان الأوسط دخلها الإسلام هي بلاد كانم وهي الجزء الشمالي الشرقي في نيجيريا القريب من بحيرة تشاد وذلك في القرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، حيث يعد حمي جلمي أول من اعتنقه من ملوكها وذلك سنة 1085م وسمى نفسه بعد اسلامه بمحمـــد واسلمت على يده كما أشرنا سابقا مملكته كلها[1].

ويذكر أنه عندما دخلت الأسرة الحاكمة في كانم الدين الاسلامي استطاع الاسلام ان يكسب لنفسه جهة ثابتة في منطقة السودان الاوسط.

ولقد بذل ملوك كانم جهودًا كبيرة لجعل الإسلام دينا رسميا للمملكة وحاولوا نشر في جميع ربوعها وقد نجحوا في ذلك فعلا فقد انتشر الإسلام وبنوا الكثير من المساجد وكانوا حريصين على أداء فريضة الحج[2] فقد كان دونما ديبالامي ملكا مسلما أدى فريضة الحج مرتين وقام يتحطيم ضريح تابع للديانة الوثنية القديمة ويدعى موني.

وعموما فقد إشتهر هذا الملك بجهاده ضد الكفار وأعماله الخيرية وإلى جانب ذلك فقد دخل على يده جماعات كثيرة إلى الإسلام من بربر السودان الاوسط وكان خلفاء دونمة من بعده متمسكين بالدين الإسلامي حيث ساد العهد في عهودهم نتيجة ذلك.[3]

وفي عهد الملك عثمان بن زينب (1279-1300م) شجع العلماء الفولانيون على نشر الإسلام في المناطق التي لا تزال على وثنيتها من جهة ومن جهة عمل هذا الأخير أيضا تبنى هذا الملك حركة الجهاد الإسلامي ودخل في حروب كثيرة مع قبائل التيبو.

---

[1] اليعقوبي: المصدر السابق، ص183، محمــد لواء الدين أحمد: المرجع السابق، ص67.

[2] أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 290.

[3] نور الدين شعباني: محاضرات...، المرجع السابق، ص ص 84-85.

1-2- مملكة برنو:

لقد كان عرب الشوا [1] الذين استوطنوا في منطقة بحيرة التشاد هم من أطلق كلمة برنو على قبائل الكانوري[2] وهي تحريف لكلمة باران أو بارام في بعض اللغات الصحراوية وأن كلمة باران أو بارام هما صيغتا الجمع لكمة بارا وتعني الرجل أو المحارب على حسب هذه اللغة ولهذا فإن برنو تعني الرجال المحاربين ولقد أوردت بعض المصادر العربية اسم البرنو عند ذكرها بلاد البرنو أو ملك البرنو أو مملكة البرنو كالقلقشندي والحسن الوزان.[3]

أما عن تأسيس هذه المملكة الإسلامية التي قامت في بلاد السودان الأوسط فتعود إلى مراحل متأخرة من حقبة العصر الوسيط ويرجع ذلك تحديدا إلى أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر ميلادي وعلى أي حال فإنه من المعروف أن الملوك التي أسسوا الحكم في مملكة برنو ينتسبون إلى ذات الاصل الذي ينتمي له الملوك في بلاد كانم.[4]

أما عن طبيعة العلاقة بين كانم وبرنو قبل إنتقال الكانميين إلى برنو قبل القرن 14م لم تذكر المصادر كثيرا عن هذه العلاقة باستثناء ما أشار إليه ابن سعيد المغربي خلال

---

[1] **عرب الشوا:** وهم العرب الذين استقرروا في برنو ولقد اطلق عليهم عرب الشوا تميزا لهم عن التجار العرب الوافدين تكونت تجمعاتهم نتيجة هجرات عربية إلى برنو منذ القرن السابع عشر وهؤلاء ينقسمون على مجموعات حسب نظام حياتهم فمنهم رعاة الابل ورعاة البقر وغيرهم ومن اهم مجموعاتهم الحصاونة الذين جاؤوا عن طريق طرابلس وتذكر الكتابات التاريخية ان عرب الشوا دور كبير في تاريخ كانم برنو وفي قوة جيشها اذ كانوا يزودونها بالفرسان الشجعان المدربين. ينظر: تقي الدين الدوري وخولة شاكر الدجيلي: **تاريخ المسلمين في افريقية**، ط1، دار الكتب الوطنية ابو ظبي 1435هـ/2014م ص384 ك مادهو بانيكار المرجع السابق ص 45.

[2] **قبائل الكانوري:** وهم من الزنوج وقد اختلطوا بالعرب، تسرب هؤلاء بمجموعات صغيرة حوالي القرن التاسع والعاشر من ليبيا وربما من مصر واحتلوا منطقة الكاوار (في نيجيريا حاليا) نحو سنة 850 م ثم تابعت هذه القبائل سيرها نحو الجنوب حتى وصلت كانم واصبحوا يشكلون اغلب سكانها وقد سادت لغتهم في المنطقة حيث كانت الكانوري تطلق على جميع العناصر المتكلمة بهذه اللغة بصرف النظر عن اصولها ولقد كانت هذه القبائل تعمل بالتجارة وعندهم خبرة ومهارة فيها.ينظر: محمود شاكر: **تشاد**، ط1،مؤسسة الرالة للطباعة والنشر، الممكة العربية السعودية، 1292ه/1972م، ص 55، محمـــد عدنان مراد: المرجع السابق، ص 140، ك.مادهو بانيكار: المرجع السابق، ص 183.

[3] تقي الدين الدوري شاكر وخولة شاكر الدجيلي: المرجع السابق، ص 381.

[4] اسماعيل حامد اسماعيل علي: المرجع السابق، ص199.

القرن 13م فقد ذكر بأن مملكة مستقلة تقع غرب التشاد سماها جاجا وهو ما جعلنا نعتقد أن مملكة برنو كانت مستقلة.[1]

أ- انتقال الاسرة الكانيمية إلى برنو:

مع نهاية القرن الرابع عشر الميلادي بدأت كانم تشهد حالة من الضعف والتدهور ويمكن ذكر تلخيص أسباب هذا الضعف في الصراع الداخلي الذي شب بين أفراد الأسرة الحاكمة وهو يعد من أخطر ما تعرضت له المملكة مما فتح الباب على مصراعيه للطامعين في الخارج.[2]

ففي سنة 1386 م بدأت الاضطرابات بحروب قبائل الساو القوية التي تقع في الجنوب وتمكنت من قتل اربع سلاطين بالتعاقب في عدة معارك دموية وما زاد الطين بلة أن انضمت إليها قبائل البولالا المقيمة في بلاد كانم وشمالها فضيقت الخناق على السلطان داود بن فاطمة نسبة إلى أمه (1376-1386م) وطردته من العاصمة نجيمي وجرت عدة حروب أهلية راح ضحيتها عدة سلاطين ولا أدل على ذلك من جلوس عشرين سلطانا على عرش كانم في مدة تقل من سنة واحدة.

واضطرت الأسرة الحاكمة إلى أن تلجأ إلى برنو في نيجيريا وضد لجوء السلاطين إلى برنو عقب خروجهم من كانم تحول لقبهم إلى سلاطين برنو بدل كانم.[3]

وتحدثنا المصادر العربية أن مطلع القرن الخامس عشر شهد صراعا مريرا قام به ملوك الأسرة السيفية في برنو ليثبتوا أقدامهم من جديد وليقضوا على خصومهم ويعد الماي علي حاجي بن دونمة (1476-1503م) المؤسس الحقيقي للدولة الجديدة فقد إستطاع القضاء على الحروب الداخلية التي مازالت مع برنو[4] وقد شيد له عاصمة جديدة

---

[1]نور الدين شعباني: محاضرات...، المرجع السابق، ص ص 85-86.

[2]ابراهيم علي طرخان: امبراطورية البرنو...، المرجع السابق ص 93.

[3]علي ابو بكر: المرجع السابق، ص ص 84-85.

[4]أحمد شلبي: المرجع السابق، ص292.

لمملكة حوالي سنة 1488 م وهي مدينة "بيرني" ومن هذه العاصمة الجديدة الثابتة بدأت مشروعات الماي علي حاجي التوسيعية حيث شن حربا على كانو احدى دول الهوسا بسبب اعتداءها على قبائل الونقارة التابعة لبرنو واضطرت كانو ان تدفع له الجزية.

ولقد تابع الماي علي حاجي سياسة أسلافه في محاولة استرجاع اقليم كانم من البولالا الذين سيطروا عليه حيث تمكن في إحدى معاركه من القضاء على عدد كبير منهم غير أنه لم يستطع أن يدخل جيمي واكتفى بما أظهره البولالا من خضوع لكنه خضوع مؤقت.[1]

وخلال القرن العاشر هجري 16 م شهدت برنو فترة عظمة فقد عمل ثلاثة حكام عظام وهم إدريس بن عائشة وإدريس الوما[2] ومحمـــد إدريس على إعادة بناء قوة المملكة وأخضعت برنو بسيادتها من دارفور إلى الحدود الغربية لبلاد الهوسا وخضعت فزان مرة أخرى سيطرتها.

وفي عهد إدريس الوما بلغت برنو أوج قوتها فقد اقام الوما مملكته كقوة حربية خالصة وأصبح لدى برنو جيش لا يضاهيه جيش آخر في السودان الغربي كله وإستطاع بذلك أن يحقق انتصارات كبيرة حول برنو وان يهزم قبائل الطوارق وأن يدخل بعض القوى التابعة لكانو ولكنه لم يستطع ان يأخذ المدينة نفسها وقد ظل هذا الجيش متحفظا بشهرته حتى حروب الفولاني.[3]

وقد بذل إدريس الوما جهدا كبيرا لجعل الإسلام دينا للدولة ولنشره في جميع ربوعها فقد عني هذا الأخير بتدعيم حكم الشرع الاسلامي وأوكل للقضاة المسلمين حراسة العقيدة وأحكمها كما أكثر من بناء المساجد وشجع على أداء فريضة الحج.

---

[1] ابراهيم علي طرخان: امبراطورية البرنو...، المرجع السابق، ص ص 113-114.

[2] Ahmed ibn fortua: **history of the first twelve years of the reign of mai idris alooma of bornu (1571-1583)**، Translated from the Arabic with an Introduction and Notes، by H.R.PALMER، Rouledje Taylor a Francis Groue، 2019، p18.

[3] محمـــد لواء الدين احمد: المرجع السابق، ص 66.

ومن الناحية العسكرية اتجه إلى تنظيم حروبه لتتماشى مع نظم الجهاد الإسلامية كما اتبع الفكر الإسلامي في نظام أسرى الحرب وأصبحت حروبه لنشر الإسلام منبثقة من الدين الإسلامي ولم يعد هناك إكراه لأي شخص ليدخل الإسلام واصبح الدخول في الإسلام طواعية وعن إقتناع وهكذا انتشر الاسلام في عهده إنتشارا واسعا عن طريق الدعوة وبدون أي إكراه.[1]

وفي سنة 1012ه/1603م توفي الماي إدريس الوما بعد حياة حافلة بالبطولة والتضحيات في سبيل نشر الإسلام والحضارة العربية الاسلامية المنطقة تاركا وراءه مملكة عظيمة وقوية بل أعظم مملكة شهدها السودان الأوسط.[2]

ب- ضعف مملكة البرنو وسقوطها:

وإذا تحدثنا عن تدهور مملكة برنو وسقوطها فإنه يمكننا أن نتخذ من بداية القرن السابع عشر ميلادي معلما لهذا التدهور فمنذ أن توفي الماي إدريس الوما أخذ شأن المملكة يضعف بسبب الإنقسامات الداخلية حتى بلغ من ضعف جيش برنو في عهد الماي علي بن عمر الذي ولي (1645-1684م) أن عدوين أحدهما الطوارق من الشمال والآخر قبائل الكوررفا من الجنوب حاصرا المدينة فلم ينقذه منهما إلا نجاحه في الإيقاع بينهما فتقاتلا حتى تحطما فكفاه الله شرهما وقد ظلت المملكة على هذا الحال من الضعف.

وقد حج الماي علي بن عمر ثلاث مرات في سنة 1648 و1656 و1767م وعند رجوعه من حجته الأخيرة وجد أن حربًا قد قامت في العاصمة ضده، غير أنه بسبب ذكائه وشجاعته لم يجد صعوبة في قمعها.

وقد تمثلت مظاهر تدهور هذه المملكة أيضا في كثرة المجاعة خاصة خلال القرن الثامن عشر ميلادي حيث كانت أطول مجاعة هي التي حدثت في عهد دونمة (1704-1722م) والتي دامت حوالي سبع سنوات.

---

[1] محمــد لواء الدين احمد: المرجع السابق، ص ص 67-68.

[2] ابراهيم علي طرخان: امبراطورية البرنو...، المرجع السابق ص 122.

وليس من بين سلاطين البرنو السبعة الذين حكموا أوائل القرن الثامن عشر من يستحق الذكر سوى الماي أحمد بن علي بن دونمة (1793–1810 م) وقد وصف بأنه كان عالما محبا للعلماء محسنا إلى الفقراء والمحتاجين وفي عهده وقع وباء مات فيه خلق كثير ولقد كان هذا الماي رجلا صالحا إلا أنه أهمل أمور الدولة وهو ما أدى إلى كثرة غارات العدو على البلاد، وإلى كثرة قطاع الطرق الذين نهبوا الأهالي، وقد نتج عن ذلك أن تخلى أهالي البلاد عن فلاحة الأرض ففتكت المجاعة بهم نتيجة ذلك.

وفي هذه الحالة التي يرثى لها في المملكة ظهر خطر الفولانيين أتباع الشيخ عثمان بن فوزي وأخذوا يكيدون لها ضربات من الغرب وفي ذلك الوقت كان الوهن في جسم المملكة مما جعل الملوك يهربون من العاصمة ولولا أن الشيخ الأمين الكانمي الذي إستطاع بقوة شخصيته أن يسيطر على ملوك الدولة لانهارت إنهيارا لا تقوم قائمة بعدها.[1]

وقد أصبح الأمين الكانمي الحاكم الفعلي في المملكة وذلك سنة 1809م متخذا من مدينة كاكا عاصمة له وبهذا بدأ عهد جديد من تاريخ المملكة.[2]

---

[1] علي ابو بكر: المرجع السابق، ص ص 91–92.

[2] نور الدين شعباني: محاضرات...، المرجع السابق، ص 90.

ثالثا: ممالك نـهر الفولتا[1]:

لم تحضى الممالك التي شهدتها منطقة نهر الفولتا كغيرها من الممالك الأخرى التي نشأت بغرب إفريقيا بدراسات من طرف الباحثين، ربما يرجع ذلك لعدة اعتبارات كونها شعوبًا وثنية ظلت متمسكة بوثنيتها من جهة، ومن جهة أخرى لم تكن لها أي علاقات خارجية بدول الشمال حتى تتحضر باستثناء ما أشارت إليه المصادر السودانية بقيام شعوب هذه المنطقة بشن غارات على السنغاي في عهد سني علي وأشارة أيضا أنها قد بقيت في حالة عداء حتى نهاية القرن 15 م. ورغم ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية حول همجية هذا الشعب لا ينف مدى عراقة هذه الشعوب في بناء الصرح الحضاري العالمي من خلال إعطاء نموذج افريقي خالص. ومن ضمن الممالك التي برزت في المنطقة ممالك الموشي (الموسي)[2].

1- مملكة الموشي (الموسي):[3]

وتعتبر هذه المملكة من بين الممالك التي شهدتها منطقة نهر النيجر ومنطقة الفولتا حيث كانت تقع تحديدا على أراضي بوركينافاسو الحالية وقد بدأت نواتها الأولى كما أشارت بعض الروايات الشفوية في تنكودوغو في حوالي منتصف القرن الخامس

---

[1] **الفولتا:** عرفت هذه المنطقة بهذا الاسم نسبة إلى ارتباطها بنهر الفولتا الذي يعبرها هذا الأخير الذي يشكل احدى أهم أنهار غرب افريقيا عن دولة بوركينا فاسو الحالية، ويصب في خليج غينيا أين توجد (جمهورية غانة حاليا) ويعبر عبر مجراه الأسفل بدول كثيرة مثل جمهورية البنين، كوت ديفوار، مالي غانة وضوغو، ولقد كان هذا النهر يمر خلال مجراه بمراحل وعند كل جزء من هذا المجرى يعمل اسم معين ففي الجزء الأوسط من افريقيا العربية يحمل اسم فولتا الأحمر ثم فولتا الأسود ثم فولتا الأبيض. ينظر: نور الدين شعباني: "**طائفة اليارسي ودورها في حضارة ممالك الفولتا بين القرنين 16و17الملاديين**"، مج3، ع 3-4، ديسمبر 2019، ص103.

[2] نور الدين شعباني: طائفة اليارسي...، المرجع السابق، ص 102.

[3] للمزيد ينظر: أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 127، نبيلة حسن محمد: المرجع السابق، ص274، عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص156. Jean djigui keita: op، cit، p92.

هجري/11م، ثم انسابت وتوسعت فيما بعد لتشمل مناطق واغادوغو (Ouahgougo) وواهيغويا وفادا نغورما(Fada - Ngourma) وغيرها.[1]

وفي الحقيقة اننا عندما نتحدث عن مملكة الموشي فاننا نقصد مملكتين اولهما يقوم ملكها في واغادوغو في الجنوب واسسها في عام 1050م مغامر يدعى أوبري والثانية لم تتكون نهائيا إلا حوالي سنة 1170 من طرف رجل يدعى "يا" وسميت تحليدا لذكراه ياتنغا أي "أرض يا"[2] هذه الاخيرة التي لعبت دورا بارزا في منطقة النيجر الأعلى من خلال غزوها لأراضي الماندينغ وصراعها المستمر مع ملوك سنغاي.[3]

وتشير الروايات الشفوة أن ملكي كل من المملكتين (الموشي وواغادوغو) يحملان نفس اللقب مورغونابا وتعني رئيس بلاد الموش وإلى جانب ذلك يطلق عليه السعدي "موش كي" وتعني في لغة سنغاي أيضا "ملك الموش " كذلك أن أغلبية شعوب المملكتين من الموش جعل الخلط بينهما ممكنا وبالرغم من ذلك فان كل من المملكتين كانت دائما متميزة ومستقلة على الاأرى وأخذت كل منهما فترة من الزمن لتتكون وتتطور.[4]

لم تمكنا المادة العلمية المتوصل اليها في دراستنا إلى تقديم معلومات كافية حول تاريخ الموشي ربما يرجع ذلك إلى قلة المصادر المكتوبة عنها بداية بالإطار التاريخي والجغرافي لهذه المملكة الذي يبقى محفوفًا بالغموض والضبابية.

وبصفة عامة عرفت هذه المملكة بمملكة ياتينغا أو ياديغا تينغا انقسمت إلى عدد من الأقاليم يقوم على رأس كل منها حاكم يقيم أحيانا في ولايته وأحيانا أخرى في بلاط الملك أو النابا وقد إتخذت من مدينة أوهيغوبا عاصمة لها.[5]

---

[1]عبد الله سيسي: مرجع سابق، ص156.

[2]نبيلة حسن محمــد: مرجع سابق، ص274.

[3]نور الدين شعباني: محاضرات...، مرجع سابق ص 100.

[4]نبيلة حسن محمــد: المرجع السابق، ص 274، دنيس بولم: **الحضارات الافريقية**، ترجمة: علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان، ص 125.

[5]نور الدين شعباني: محاضرات...، مرجع سابق، ص 100.

ظلت هذه المملكة مصدر قلق وإزعاج مستمر منذ نشأتها للممالك الكبرى المجاورة لها والتي عاشت في هذه المناطق (غانة ومالي وسنغاي) وإستطاعت أن تحافظ على إستقلالها وعلى وثيتها فترة طويلة من الزمن حيث كانت لا تكف عن الغارات كلما واتتها الفرصة وهو ما أشارت إليه المصادر السودانية فقد ذكر صاحب كتاب الفتاش غارات شنها الموشي على أراضي مملكة سنغاي الإسلامية ويفيد هذا الأخير أيضا الذي لم يحدد مكان أراضي الموشي هؤلاء كانوا يغزون أحيانا الجزء الغربي من منعطف النيجر دليل ذلك حملة سنة 1337 م ضد تمبكت ومع بداية القرن الخامس عشر أيضا إندفع الموشي من جديد نحو الغرب وذلك بالغارة على بنكا.

ولقد إتسم النصف الثاني من القرن الخامس عشر أولا بنجاح الموشي ثم بهجوم السنغاي المضاد التي قاده السني علي وكان صراعا قويا سرعان ما توقفت حملات الموشي المنظمة ضد مدن منعطف النيجر وفي نهاية حكمه انتصر سني علي لكن خلفاؤه لم يكتفوا بهذا النجاح وعمدوا إلى وضع حد للموشي.[1] وكانت هذه الأخيرة قد فقدت المبادرة عند وصول الاسقيا محمـــد الكبير إلى سدة الحكم في سنغاي حيث وجه اليها ضربات عسكرية مؤلمة بهدف تاديبها وحملها على اعتناق الاسلام لان الموشي وثنيون.[2] ففي سنة 1497-1498م أرسل هذا الأخير حملة ضد هؤلاء وانتصر عليهم وقتل عددًا كبيرًا منهم وأسر نساؤهم وأطفالهم وهدمت عاصمتهم.

وقد شن الاسقيا داوود عليهم حربا في نفس السنة التي تولى فيها الحكم وذلك سنة 1549م والأخرة سنة 1562م وأخيرا سنة 1575 م تقريبا وتمكننا حملة 1562 م من أن نحدد بدقة تاريخ زوال قوة الموشي الشماليين تقريبا تلك التي ترجع إلى ثلاثة قرون في تصورنا.

---

[1]ميشيل ايزارد: "**شعوب وممالك منعطف النيجر وحوض الفولتا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر**"، ضمن كتاب: تاريخ افريقيا العام، ط2، صادر عن منظمة اليونسكو، بيروت- لبنان، 1997، مج 4، ص 233.

[2]عبد الله السيسي: المرجع السابق، ص 156.

وفي ظل هذه الظروف يذكر صاحب كتاب السودان أن زعيم الموشي غادر البلاد مع كل قواته بعد ثاني حملة ارسلها الاسقيا داوود سنة 1575م، ودون ان ينهبوا شيئا مما يعني بلا شك انه لم يكن هناك ما يستحق النهب وأن جيش سنغاي دخل بلدا أنهكته الحرب وخلا من السكان.[1]

وعلى عكس الممالك الأخرى مالي وسنغاي فإن مملكة الموشي في جميع الأوقات قد كونت سدا حصينا ضد إمتداد الإسلام الذي لم يستطع أن يكون له أي يد عليهم[2] وتدل أجوبة أحمد بابا التنبكتي حول الإسترقاق في نهاية القرن العاشر الهجري 16م أن الموشي بقو على وثنيتهم ولم ينجح الإسلام في إختراق السد الذي أقامه هؤلاء الموش أمامه وتذكر المصادر التاريخية أنه في مرحلة لاحقة نجحت التجارة حيث فشل الغزو إذ بدأ الإسلام يدخل إليهم بشكل تدريجي بعد أن سمح هؤلاء لتجار جني وتنبكت للدخول إلى بلادهم فقد شكل هؤلاء جماعات صغيرة على شكل قرى تمكن من خلالها هؤلاء التجار أن يجذبوا إليهم جماعات من الموش بما فيها بعض الملوك.[3]

---

[1] زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص47.

[2] نبيلة حسن محمــد: المرجع السابق، ص 287.

[3] حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص43.

الفصل الثاني:

العلماء والتجار المغاربة في بلاد السودان الغربي

أولا: دوافع توافدهم واستقرارهم بالمنطقة

ثانيا: قراءة لأبرز العلماء والتجار المغاربة الوافدين على المنطقة

أولا: دوافع توافدهم واستقرارهم بالمنطقة

إنّ الحديث عن توافد العلماء والتجار المغاربة نحو بلاد السودان الغربي خلال فترة الدراسة والممتدة من القرن 16م حتى القرن 19م يطرح صعوبات جمة لعوامل كثيرة منها كون هذا التواجد ليس وليد هذه الفترة فقط، وإنما يرجع لعهود غابرة لذا يبقى من الصعب التمييز بين عوامل هجرتهم وتزايدها التي سبقت هذه الفترة والتي جاءت خلاها.

تعددت العوامل التي كانت وراء توافد المغاربة صوب المنطقة واستقرارهم فيها لفترة معينة أو للإقامة والاستقرار فيها نهائيًا، ومن أهم هذه الدوافع نذكر[1]:

1- العامل الجغرافي:

تعدّ الجغرافية كما هو معلوم المحدد الرئيسي للعلاقات بين الشعوب سواء على المستوى الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي أو التاريخي...فالقرب الجغرافي بين الشعوب يوطد هذه العلاقات من خلال سهولة عملية التفاعل البيني (تأثير وتأثر) عكس البعد[2]، وعلى هذا الأساس كان للعامل الجغرافي دوره في توجه المغاربة صوب بلاد السودان الغربي فالتتبع لمسار العلاقات التجارية التي ربطت بين المنطقتين يتضح له بجلاء بأنَّ هذه العلاقات قديمة أدت فيها الصحراء الكبرى[3] دورًا حضاريًا ساهم في مد جسور

[1] منير روكي: "الحضور التجاري الفاسي بالدول الافريقية خلال القرن 19م، مساهمة في رصد دور تجار فاس في مد جسور التواصل الحضاري بين فاس ودول افريقيا جنوب الصحراء، المغرب في محيطه الافريقي، تنسيق: مورد زناسني، مركز الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، وجدة، المغرب، 2017، ص65.

[2]- عبد العزيز بلحسن: "**مقومات وأسس العلاقات التجارية بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء**"، التفاعل الحضاري بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء، تنسيق: ماء العينين النعمة علي، منشورات جمعية الشيخ ماء العينين للتنمية والثقافة، ط1، الرباط، 2007، ص319.

[3] **الصحراء الكبرى:** ترجع البداية التاريخية لاستعمال الصحراء الكبرى إلى حوالي سنة 236هـ/850م عندما ذكر المؤرخ العربي عبد الرحمان القريشي (ت 257هـ/870م) في كتابه فتوح افريقيا والأندلس عبارة "الصحراء الكبرى" وهي كلمة استعملت لأول مرة لوصف المنطقة المعروفة الآن بهذا الاسم والتي كان هيرودوت قد تحدث عنها في القرن الخامس ق.م ولكن لم يشر إليها بهذا الاسم وفي القرن السادس عشر ميلادي جاء الرحالة الجغرافي في الحسن الوزان وأطلق كلمة الصحراء الكبرى على المنطقة الممتدة من البحر الأحمر شرقا، إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن جبال الأطلس وشواطئ ليبيا شمالاً، حتى حدود نهر السنغال ،ونهر النيجر جنوباً، ينظر حسين مرزوقي: **بلاد السودان في**

التواصل بينهما[1]، ولأهمية هذا الدور فإنه لا يستحيل فهم تاريخ السودان دون ربطه بالصحراء، ولهذا فإنَّ كثير من الدراسات التاريخية تنتهي إلى استنتاج مفاده أنَّ هذه الأخيرة لم تقف يومًا عائقًا في تواصل بلاد السودان الغربي بالبلدان المغاربة ومصر[2].

ولقد أكدت الكتابات التاريخية أنَّ العلاقات التي ربطت بين المنطقتين سبقت انتشار الإسلام بعدة قرون، فقد وجدت كتابات أرّخت لوجود صلات منذ العصر القديم وقد ذكر هيرودوت[3]أن خمسة أشخاص انطلقوا من سرت واتجهوا جنوبًا بهدف اكتشاف مناطق وسط إفريقيا[4].

هذا وقد دلّت التقنيات الحديثة عن وجود سلسلتين من النقوش الصخرية لعربات تُجَرّ بواسطة الخيول، وتبدأ هذه النقوش من مكانين شمال الصحراء أحدهما من جنوب المغرب الأقصى والآخر من فزان، ثمّ تتجهان في مسارين نحو ثنية نهر النيجر، مما يوضح أنَّ هذين المسارين يمثلان طريقان كانا يربطان بلاد المغرب ببلاد السودان الغربي.

وربما نجد فيما قام به الفينيقيين عندما أحكم هؤلاء سيطرتهم على السواحل الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط (841-146 ق.م) مثالًا واضحًا على قدم عملية الاتصال بين

= **كتب الجغرافيين والرَّحالين العرب والمسلمين إلى حدود القرن الثامن الهجري**، تقديم: محمد شقرون، ط1، مجمع الأطرش للنشر والتوزيع ،2018م، ص94، ريمون فيرون: **الصحراء الكبرى**، ترجمة: جمال الدين الدناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963، ص09.

[1]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان: فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي (628-1000ه/1230-1591)، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2011، ص 15.

[2]-زهراء يوسف إسماعيل: **هجرة القبائل العربية والبربرية حتى القرن العاشر الهجري**، رسالة ماجستير، إشراف: أنوار جاسم العنبكي، جامعة المستنصرية، 1440ه/2018م، ص 84.

[3]- **هيرودوت:** (484-425 ق.م) وهو مؤرخ يوناني، زار عدة بلدان من بينها مصر، كان هيرودت حسب عدة إشارات كاتبًا موهوبًا، بارعًا في الوصف، وهو خليق بمكانة ملحوظة في تاريخ البشرية والحضارة، وصفه شيشرون بأنه "**أبو التاريخ**" لأنه هو الذي خلقة فلسفة التاريخ، وأول من عالجه كموضوع بحث علمي، ينظر: ك – ما دهوبانيكار: المرجع السابق، ص 32.

[4]- مفتاح يونس الرباصي: "**ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية –ودولة كانم والبورنو في العصور الوسطى**"، مجلة السائل، جامعة 7 أكتوبر، بني الوليد، ليبيا، ص 90.

المنطقتين، فعلى الرغم أنَّ الفينيقيين لم يتمكنوا من التوغل إلى الداخل، إلَّا أنَّ مستعمراتهم التجارية التي قاموا بتأسيسها على تلك السواحل أصبحت منافذ للتجارة الإفريقية التي كان السكان المحليين يجلبون إليها من إفريقيا عن طريق القوافل[1]، وما يؤكد ذلك أنَّ طرابلس كان يطلق عليها اسم بوابة الصحراء، ولكن مهما يكن الأمر فإنَّ ذلك التبادل التجاري لم يكن بالأهمية التي وصلت إليها في الأزمنة اللاحقة[2].

ولقد استمرت العلاقات التجارية بين المنطقتين حتى العهد الروماني الذين أعطوها مزيدًا من القوة الدافعة بعد ذلك بثلاثة قرون من توسعهم في بلاد المغرب، وما تلى ذلك من دخول الجمل[3].

وما يؤكد وجود صلات تجارية ربطت بين الرومان والصحراء الكبرى وجنوبها ما عثر عليه في فزان وغيرها من مخلفات أثرية تتمثل في بعض المنتوجات الزجاجية والفخارية وغيرها هذا بالإضافة إلى النقود الرومانية المعدنية التي اكتشفت في تغازا، والنقود الفضية التي تمّ العثور عليها في بعض جهات النيجر[4].

---

[1] **القافلة:** القفول أي العودة أو الرجوع من السفر ولا يقال للذاهبين قافلة، وقد سميت بالقافلة تفاؤلا بقفولها عن سفرها الذي ابتدأته، فالقافلة تشمل حسب استعمال لعرب المصطلحات الحديثة المعنيين، فالقافلة إذا هي ذلك التنظيم البشري والمادي والحيواني الذي لجأ إليه التاجر منذ فترة ما قبل الإسلام لبيع بضائعه داخل محيط بيته أو خارجها، ومع تدجين الجمل خرج الانسان من عزلته اين كان منطويا في إطار اقتصاد محيطه ينظر: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن: **معجم مقاييس اللغة**، ط1، دار الجبل، 1991م، ص 112. إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ص 1983م، ص 48.

[2]– سعود بن حمد الخثلان: "دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين بلدان المغرب والسودان الغربي فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجري (9/11م)، مجلة جامعة الملك عبد الله عبد، مج 5، السعودية، 1992م، ص ص42-43.

[3]– ا.ج هوبكنز: **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الكويت، 1998م، ص ص158-159.

[4]– سعود بن حمد الخثلان: المرجع السابق، ص 43.

ولم يستمرّ وضع التجارة عن سابقه، فقد تأثر بغزو الوندال لبلاد المغرب القديم في القرن السادس الميلادي بحيث تراجع حجم التبادل التجاري واستمر على نفس الوتيرة حتّى مجيء المسلمين إلى المنطقة، أين عاد الازدهار إلى التجارة في الصحراء الكبرى.

والجدير بالذكر أنَّ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب واستقرارهم فيه وتغلغل الإسلام في الصحراء الكبرى وانتشاره في بلاد السودان الغربي أعطى التجارة دفعة قوية جعلها تبلغ من حجمها وازدهارها درجة لم تبلغها من قبل[1].

ومن الدوافع الطبيعية التي أسهمت في هجرة الكثير من القبائل إلى مناطق السودان الغربي، هي وفرة آبار المياه في الطرق التجارية التي تربط الشمال بالجنوب عبر الصحراء الكبرى، فقد كانت عاملًا مهمًا في تسهيل عملية تنقل القوافل التجارية، وهذا بالطبع يعتبر معلمًا من معالم الطريق التي تعتمد عليها القوافل والمسافرون المتجهون نحو بلاد السودان الغربي.

ومن ضمن الآبار التي أشار إليها البكري في هذا الصدد هي: **(أمان تيسن) و(تنودادن) وبئر (توتين أو أي أبار الأمير) وبئر (أمان سيدان أي ماء النعام)** وهذه الآبار قد وجِدت على طول الطريق الرابط بين درعة وسجلماسة فضلًا بئر **(الجمالين)** وآبار **(ماء تندفس)** التي كان يتولى حفرهم المسافرون، وبئر **(ويطنونان)** وغيرها[2].

ولقد تحدث ابن خلدون في نفس السياق عن وجود آبار على طريق التي القوافل التي كانت تخترق الصحراء حيث قال: "وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غربية في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب، وذلك أنَّ البئر تحفر عميقه بعيدة المهوى، وتطوى جوانبها إلى أن يوصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلا أن يرقى جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبدة من الحديد تكسر طبقها عن الماء فينبعث صاعدًا فيعم البئر، ثمَّ يجري على وجه الأرض واديًا، ويزعمون أنَّ

1- سعود بن حمد الخثلان: المرجع السابق، ص 44.

2- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 85.

الماء ربما أعجل سرعة من كلّ شيء"، وفي موضع آخر يشير ابن خلدون نفسه أن القوافل كانت تنظم إلى الودان الغربي من التلول والمصار وأن التجارة مع السودان كانت عامة في المغرب على أيامه حيث كان يشترك فيها كان البوادي وكان المدن على حد السواء[1].

2-الدوافع التجارية والاقتصادية:

مما لا شكّ فيه أنَّ الروابط والصلات التجارية بين البلدان المغاربية وبلاد السودان الغربي ممتدة جذورها في عمق التاريخ ؛وذلك لحاجة المنطقتين إلى ذلك ولقد كان المغاربة بحاجة إلى الكثير من المنتوجات التي تتوافر في مختلف مناطق السودان الغربي مثل: ريش وبيض النعام والقطن والعاج والجلود والفول السوداني وغيرها من المنتوجات الأخرى فخرجت قوافلها عبر الصحراء الكبرى مبكرًا نحو الجنوب حتى وصلت بعض مناطق من بلدان السودان الغربي وارتبطت معها بصلاة تجارية قوية[2] حيث ذكر السلاوي: "**أنَّ التجار المغرب كانوا يجتمعون في سجلماسة خاصة بين مدرار ثمّ يسيروا في قوافلهم نحو غانة وكانوا يقطعون المسافة في ثلاثة أشهر، ذهابًا وفي شهر ونصف إيّابًا، وكانوا يبيعون ما معهم من الأمتعة والأثقال والتبر**"[3]، وقد كان للقوافل التجارية تأثير مباشر ومهم في نزوح الكثير من التجار المغاربة، وتضاعف معدلات هجرتهم إلى المنطقة، فقد تعددت المسالك والطرق التجارية، وزادت أعداد التجار الوافدون عليه.

ونتيجة لهذا الارتباط التجاري استقر عدد من التجار المسلمين في المدن الكبرى، وكوّنوا أحياء خاصة بهم مثل الحي الذي أنشأه التجار الغدامسيون في تنبكت والذي عرف بحي الغدامسي[4].

---

[1]زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 214.

[2]- أسماعيل بن حامد إسماعيل: المرجع السابق، ص 47.

[3]- أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 206.

[4]- **حي الغدامسية:** ويعد من أرقى الأحياء في مدينة تنبكت، تأسس في أوائل القرن السابق الهجري على أيدي التجار الغدامسين، كان هذا الحي عل درجة من الأناقة من حيث التنسيق وهندسة البناء، أواخر القرن العاشر الهجري /16م



الشكل رقم 06: صورة توضح حي الغدامسية بمدينة تنبكت

نقلا عن: إصلاح محمد البخاري حمودي المرجع السابق ص336.

حيث أقاموا به المساجد والمدارس مما كان له أثر كبير في نشر للإسلام ومبادئه[1].

ومن الدوافع الاقتصادية التي دفعت بهؤلاء التجار صوب المنطقة نذكر منها:

أ- **دور الذهب:** شكّل معدن الذهب كما هو معلوم إحدى أهم السلع التي كان المغاربة يستوردوها من السودان ولقرون طويلة، ويبدو أنَّ هؤلاء كانت لهم معرفة بمواضع الذهب منذ وقت مبكر وقد انجذبوا إليها عن طريق القوافل التجارية، لاسيما ذلك الطريق الذي اشتهر باسم "**طريق الذهب**" خلال العصور

اختاروا موضع في حي الغدامسة ليشهدوا قلعة الحكم فيها لما يمتاز به من موقع ممتاز وهذا ما أفاد به السعدي، حيث قال: "**...ثم إنهم دخلوا في داخل الدينة يوم الخميس السادس من شعبان المنير وطافوا في المدينة، وطالعوا ووجدوا أكبرها عمارة حومة الغدامسة فاختاروها للقصبة، وشرعوا في بنائها...**". ينظر: الهادي المبروك الدالي: **تاريخ إفريقيا فيما وراء الصحراء (دراسة وثائقية)**، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2002م، ص 115، فرج محمود فرج: **اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، الجزائر، ص125.

[1]- حسن علي إبراهيم الشيخي، المرجع السابق، ص 270.

الوسطى وهو الطريق الذي يبدأ من سجلماسة، وينتهي في آخر المطاف إلى مدينة تنبكت[1].

ولقد أدرك العديد من التجار المسلمين وفرته في بلاد السودان الغربي، وما ينعم به أهله من ثروة وأموال حتى أصبح لأهلها رفاهية، وسعة حال، إذ لم يكن الذهب الذي تفيض به البلاد يلقى التقدير والاهتمام من الأهالي إمّا جهلًا منهم بقيمته وأهميته الاقتصادية، أو عجزًا عن تصفيته أو سبكه، وتسويقه، فقد كانوا يفضلون عليه معادن أخرى رديئة مثل النحاس الذي يصنعونه منه حلي لنسائهم، فشجع ذلك كثيرًا من التجار المغاربة على الإقامة الدائمة في المنطقة[2].

أمّا عن مواطن تواجد الذهب بالمنطقة فقد أشار الرحالة العرب إلى بعض هذه المواطن التي نالت شهرة وصيت كبيرين، ظلَّ الذهب يأتي منها حتى القرن 19م، ومنهم البكري الذي أشار إلى هذه المناجم قائلًا: "**إنَّ أفضل الذهب ما كان بمدينة غيارو**" **ويضيف أيضًا** "**إنَّ حوالي مدينة كوغة معادن التبر كثيرة وهي أكثر بلاد السودان ذهبًا**"[3]، وقد أشار الإدريسي في نفس الصدد إلى منطقة أكثر أهمية من غيرها، وهي منطقة ونقارة، والتي بسببها صارت مملكة مالي الإسلامية من أكثر الناطقة ثراءًا بالذهب، وفي ذلك يقول: "**وبلاد ونقارة هذه هي بلادج التبر المشهورة بالطيب والكثرة...فيها بلاد معمورة ومعاقل مشهورة، وأهلها لأغنياء، والتبر عندهم بأيديهم كثير...**"[4].

ومن بين مصادر الذهب الأخرى من المنطقة مناجم بامبوك **Bambauk** وتقع عند أعالي المرتفعات نهر السنغال، وهي منطقة تشتهر بتجارة الذهب.

1- أسماعيل بن حامد إسماعيل: المرجع السابق، ص 47.

2- جوزيف كام: **المستكشفون في افريقيا**، ترجمة وتقديم وتعليق: السيد يوسف نصر ومحمد علي وقاد، دار المعارف، 1983، ص23، زهراء يوسف إسماعيل، المرجع السابق، ص 91.

3- البكري: المصدر السابق، ص 176.

4- أبو عبد الله محمد بن إدريس الإدريسي (ت:560ه/1164م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة، القاهرة، 2006، ص ص24-25.

وقد كان التجار المغاربة القادمون من الحواضر المغاربية إلى مدينة جاو **Gao** يقومون بتبادل السلع والبضائع – كان بعضها من أوروبّا – في مقابل الذهب من مناجم بامبوك، وهو ما يشير إلى شهرة المنطقة، وكذلك الذهب الذي كان يستخرج من مناجمها حتّى أنه يقال: "**إنَّ الذهب كان يصب من مناجم بامبوك كأنه أمواج البحر**"، وهو ما يؤكد قوة ثراء المنطقة بهذا المعدن النفيس[1]، وإنَّ ما شجع توافد التجار على السودان الغربي خلال القرن 16م هي وفرة الذهب في أسواق على أيام الأسقيين حيث كان يتم استخراجه من مناجم بوري[2]، وبامبوك عند حافة السنغال العليا أيضًا (مكن تواجه مجراه)، من بين مناجم الذهب الأخرى التي أشارت إليها المصادر العربية مناجم تغازة (تغازة هي مركز استخراج الملح) كان التجار يأتون إليها بهدف الحصول على هذه المادة – قد وجدت إشارات كثيرة للمؤرخين تؤكد قلتها – وهم يحملون معهم الذهب من بلادهم ثم يقايضون هذا بذلك، ففي عهد المنصور الذهبي اعتمدت التجارة مع بلاد السودان الغربي على بيع ملح تغازة ومبادلته بالذهب وكان ملوك السودان الغربي يدفعون الضرائب للمنصور عن مقادير الملح التي يستوردونها،[3] فقد جاء في رسالة له إلى ملك سنغاي الأسقيا الثاني:" **إلى كبير كاغو وأميرها ومالك زمام أمورها...الأمير أسكية... موجه إليهك... إعلامكم أن معدن الملح بتغازة التي من إيالتنا وفي محكم إمامتنا هو كما لا يكاد يخفاكم من جملة المعادن التي يختص بيت مال المسلمين بخراجها المستفاد، وللإمام فيها النظر والاجتهاد، وبحسب هذا فإنا رأينا... أن نضع عليه خراجا يعود إن شاء الله بمزيد من**

---

[1]– أسماعيل بن حامد إسماعيل: المرجع السابق، ص 48.

[2]– **مناجم بوري:** وتوجد عند المنطقة التي فيها نهر النيجر بأحد فروعه، وهو الفرع الذي يعرف باسم "نهر تينكيسو **Tinkisso**، وإنّض ما يميز هذه المناجم عن غيرها هي سرعة الوصول إليها، كما أنَّ استخراج الذهب منها يتم بطريقة أكثر يسرًا من غيرها، خاصة مناجم بامبوك وعن هذه الطريقة وأهميتها يقول المستشرقون كــ – **ماكفيدي "وكان الذهب فيه أسهل استخراجًا مقارنة بحقول الذهب التقليدية بمنطقة بامبوك...**". ينظر: زيادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص188، – أسماعيل حامد إسماعيل: المرجع السابق، ص 49.

[3] Adam ba konare: **les relations politiques et culturelles entre le maroc et le mali à travers les âges**، publications de l'institut des Etudes Africains –Rabat، Royaume du Maroc، 1991، p:13.

النفع للمسلمين، وبالضرر على أعداء الله المشركين، وهو أن فرضنا مثقالا على كل حمل من سائر الإبل التي ترده وتؤمهن سائر الجهات وتقصده. وقصدنا بما يحصل من ذلك صرفه إن شاء الله في سبيل الغزو والجهاد، وفي أرزاقها لنظرنا العلي من العساكر والأجناد..."[1].

وأمام رفض أمير كاغو لذلك، وجد المنصور في هذا الرفض سببا مباشرا للقيام بالحملة على السودان الغربي حتى يجلب أكبر ما يمكن من التبر والمواد السودانية نحو المغرب، كما كان المنصور يرغب أيضا في حماية التجارة الصحراوية السعدية من نفوذ الأيبريين الذين حاولوا تحويلها لمصالحهم.[2]

وإلى جانب غنى المنطقة بالذهب فقد ساهم توافر أنواع مختلفة فيه إلى استقطاب التجار المغاربة من الرقيق وغيره[3].

ب- ازدهار الحواضر التجارية بالسودان الغربي: أدَّى التطوّر الذي شهدته بلاد السودان الغربي في جذب كثير من التجار المغاربة فقد عرفت مدنه ازدهارًا واشعاعًا كبيرًا وذلك بما كانت تشمل عليه من مراكز وأسواق تجارية كبرى مزدهرة، وهو بذلك يعدّ أحد الدوافع التجارية التي كانت وراء انجذاب هؤلاء التجار واستقرارهم في كبريات المراكز التجارية في المنطقة، حيث أشار الرحالة الجغرافيون الذين زاروا المنطقة منهم الحسن الوزان أنَّ مراكز النشاط التجاري في بلاد السودان الغربي كانت مقصدًا لكثير من التجار[4].

وإنَّ من خلال أسماء بعض المغاربة الذين تذكرهم المصادر، نلاحظ أنَّ التجارة الصحراوية كانت تستقطب التجار من مختلف الحواضر المغربية، ويذكر العمري أنَّ أبا

---

[1] عبد العزيز بن لحسن: "**واقع وآفاق التعاون التجاري بين المغرب وبلدان افريقيا الاطلنطية**"، المغرب في محيطه الافريقي...، المرجع السابق ص231-232، الوزان: المصدر السابق،ج2،ص108.

[2] Op، cit، p:14. Adam ba konare:

[3]- زهراء يوسف إسماعيل، المرجع السابق، ص 91.

[4]- زوليخة بنرمضان، المرجع السابق، ج1، ص 284.

عثمان سعيد الدكالي "**سكن مدينة بيتي (عاصمة إمبراطورية مالي) خمسًا وثلاثين سنة**"، أمَّا ابن بطوطة فبالإضافة إلى كلامه عن "المغاربة" أو عن "البيضان"[1] وعن "التجار" بصيغة الجمع، فإنّه يذكر أسماء عدد من المثقفين والتجار المغاربة المقيمين في مختلف مدن السودان، إلا أنَّ تلك الأسماء لا تترجم في الواقع – إلّا جزئيًا حقيقة الوجود التجاري المغاربي ببلاد السودان وكثافة هذا الوجود[2].

وبصفة عامة أنه من بين المراكز التي شهدت حركة نشطة خلال القرن 16م هي مدينة تنبكت، إذ عرفت رخاءً اقتصاديًا لا مثيل له، ويذكر الوزان الذي زارها حوالي سنة 1511م رفقة عمه الذي كان مكلفًا بسفارة بين ملك فايس محمد الوطاسي، وملك سنغاي الأسقيا محمد الكبير وجود دكاكين كثيرة للصناع وتجار لاسيما دكاكين صانعي أقمشة القطن.

ويبدوا من خلال ما وصفه الوزان إلى أنَّ المدينة كانت تعرف ازدهارًا اقتصاديًا في تلك الفترة، حيث يشير إلى أنَّ السكان أغنياء مترفين لاسيما الأجانب المقيمين في البلاد،

---

[1]– **البيضان:** البيض، وتدل على السكان من ذوي البشرة الفاتحة من شعوب الصحراء الكبرى، وتعود بدايات استخدام هذا المصطلح إلى الفترة الوسيطة حين ميز به هذه الفترة من رحالة وجغرافيين سكان الصحراء المحاذية لبلاد السودان غربيها من سكان تلك الأحواز، فقد اطلق البكري اسم البيضان إشارة إلى سكان الصحراء من صنهاجة القاطنين حول مدينة "أودغشت" القائمة أطلالها اليوم شمال شرقي ولاية الحوض الغربي من جنوب شرقي موريتانيا، لكن المصطلح صار مع القرن 17م علما على المجموعات الصحراوية التي تتحدث اللهجة الحسّانية، وتعود أصولها لاندماج الكتلة الصنهاجية، وبعاداتها التميزة في شكل الخيم ورحل الجمال ونمط العيش والتفكير وقد بدأ تشكل البيضان في أقاليم وادي نون، الساقية الحمراء، حيث تشكلت المؤسسة القبلية البيضانية الحديثة ثم انتشرت في المجال الموريتاني الحالي وغيرها من الأقطار. ينظر: موسى كَمُرا، المصدر السابق، ص73، محمد بن عبدالله اللواتي ابن بطوطة (ت: 779ه/1377م): **تحفة الانظار في غرائب الأمصار**، دار صادر، بيروت– لبنان، 2001، ج2،ص195.

[2]– محمد الشريف: "الجالية المغربية ببلاد السودان الغربي (ق 8ه/14م) ملاحظات حول دورها في التفاعل الحضاري بين ضفتي الصحراء، مجلة التاريخ الغربي، ع15، صيف 1421ه/2000م، ص 198.

إلى درجة أنَّ الملوك قد زوج اثنين من بناته إلى أخوين تاجرين لغناهما، ولعلّ ازدهار تنبكت راجع بالدرجة الأولى إلى وفرة موادها الطبيعية[1].

وما اكتسيها من أهمية تجارية هو موقعها الممتاز في منحى النهر النيجر فقد أصبحت أقرب محطة للقوافل التجارية القادمة من الشمال، كما أنَّ موقعها على النيجر جعلها حلقة وصل وميناء الصحراء التجاري لتبادل سلع السودان الغربي مع السودان المغاربة، وهذا ما دفع السعدي أن يقول عنها وهي: "**من أعظم أرض الله تعالى نعمة ورفاهية وأمانًا وعافية**"[2].

3- الدافع الديني:

يعدّ الدافع الديني والمتمثل أساسًا في نشر الإسلام وتعليمه من أبرز وأهم الدوافع التي كانت وراء هجرة المغاربة صوب السودان الغربي، هؤلاء الذين بذلوا جهودًا في بسط نفوذه، ورفع أولوية تعليمه في كل مكان وزمان ومنذ قيام مملكة الإسلامية أوائل القرن اسابق هجري، 13م، تتابعت أعداد كبيرة من المهاجرين المغاربة إليها للإقامة فيها لأغراض ورغائب مختلفة وكان العامل الدني واضحًا في نشاط كثير من هؤلاء المهاجرين أثناء إقامتهم في مدن وقرى وأرياف السودان الغربي، وسواء كانت هجرات جماعية أو فردية فإنَّ الأنشطة الدينية التي مارسها المهاجرين تظهر حماسهم الدعوي والتعليمي، ونتيجة لتزايد أعداد المهاجرون بدت الحاجة في السودان الغربي إلى تأسيس مدن لإقامتهم فيها بعضها تم استحداثها كمدن مستقلة بينما بعضها الآخر الحق بالمدن السودانية، وتظهر الشهرة العلمية والدينية لهذه المراكز مقدار الرغبة والجهد الذين بذلها

---

[1]- بهيجة الشاذلي: **تنبكتو: تطورها التاريخي وعلاقاتها بالمغرب**، العلاقات المغربية الافريقية حصيلة وآفاق، تنسيق وتقديم: بهيجة الشاذلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- عين الشق- دار البيضاء، 1433ه/2012م، ص100، الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 166.

[2]- زمان عبيد وناس: **تمبكتو وأثرها الحضاري في الحصور الإسلامية المتأخرة**، ط1، دار الأيام، عمان –الأردن، 2015م، ص 97.

المهاجرون في أحياء الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي والتي كانت دافعًا قويًا للمهاجرين أثناء هجرتهم إليه[1].

4-الدافع العلمي:

تاريخيًا يعود ظهور الرحلة[2] العلمية التي تعد من أقدم الأسباب التي دفعت الناس للقيام برحلات منذ البدايات الأولى لانتشار الإسلام باعتباره كان دائمًا مشجعًا لشدِّ الرحال في طلب العلم وتحصيله. قال تعالى: ﴿ **فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ...**﴾[3]، وهذه الآية فيها دلالة على أنَّ العلم فضل من فضائل الله وجب السعي له وقوله صلى الله عليه وسلم: « **أطلبوا العلم ولو بالصين**» فكان الصحابة يسعون من أجل طلب العلم لهذا العلماء وطلب العلم إقبال كبير على العلم وطلبه لزيادة فيه مما دفعهم لعدم الاكتفاء بالدراسة في بلدانهم حيث قام الكثير منهم برحلات واسعة إلى البلدان المجاورة[4].

---

[1]- زهراء يوسف إسماعيل، المرجع السابق، ص ص86-87.

[2]- **الرحلة:** من الناحية اللغوية تعني كلمة الرحلة الارتحال والترحيل والانتقال، يقال رحل الرجل إذا سار، أمَّا من حيث الاصطلاح فيقصد بمفهومها انتقال الإنسان من موطنه الأصلي إلى جهات بعيدة بغية ارتيادها واستكشافها ووصفها، = فهي إذن تفاعل بين الذات الواصفة (الرحالة) والآخرة (الموصوفة) أو (مجال الرحلة)، كما يقدم عليها صاحبها من أجل جمع بعض الانطباعات والتصورات العامة عن الغير، أي عن أناس آخرين من خلال الانتقال إلى مجالهم ومخالطهم عن طريق الاتصال بهم، وتستمد أهميتها من الناحية التاريخية من خلال كون صاحبها له اتصال مباشر عن طريق العيان، وليس عن طريق الخبر بواقع الحياة اليومية للجهات والشعوب والأمم التي استهدفها بالريادة. ينظر: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1970،ج11، ص230، عواطف محمد يوسف نواب: **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن هجري – دراسة تحليلية مقارنة-**، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، 1417ه/1996م، ص 40، مبارك آيت عدي: "**مساهمة المغاربة في بناء حضارة بلاد السودان من خلال كتابات الرحالة الأوروبيين المنتمين للقرن 19م**"، العلاقات المغربية الافريقية...، المرجع السابق، ص 86.

[3] سورة الجمعة: الآية 10.

[4]- أ محمد مولاي: "التجارة والرحلة ودورهما في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الافريقي ما بين القرنين 11 و12ه- 17 و18م"، مجلة الدراسات الافريقية والاجتماعية، ع5، جامعة نواكشوط- موريتانيا، ص49.

والرحلة بأنواعها العلمية والدينية مثلت طريقا للمجد، وشكلت سبلا للشهرة والتألق في مجتمع ظلت أنظاره وقلوبه وأفئدته مرتبطة بالمشرق.[1]

مثلت الرحلات العلمية تبادلًا علميًا وتفاعلا ثقافيًا حقيقيًا بين المنطقتين عبر العصور حيث كان أهالي السودان الغربي يقومون بإرسال البعوث من أبناء المنطقة للدراسة في بلاد المغرب منذ عهد السلطان منسى موسى في القرن الثامن الهجري الذي أرسل كتابه إلى فاس لتعلم العلم، وكان هذا النوع من الرحلات محل اعتزاز بين العلماء السودانيين ؛حيث تكسب صاحبها جاهًا ومكانة رفيعة في المجتمع، فكانت الرحلات تتم على مستوى الأفراد مدفوعين بالرغبة في طلب العلم، فيفدون على مدن البلدان المغاربية المتنوعة وبخاصة مدينة فاس، فيأخذون عن شيوخها، وعلمائها، أو على مستوى الرسمي، بحيث يبحث السلاطين والملوك طلبة العلم بالمنطقة للدراسة في مختلف المدن المغاربية للاستعانة بهم إداريًا، ودينيًا بعد عودتهم[2].

ومما لا شك أنه من بين المراكز الثقافية ببلاد السودان الغربي التي قصدها العلماء، وطلبة العلم المغاربة مدينة تنبكت هذه الأخيرة التي تبوأت خلال القرن 16م المرتبة الأولى كأحد أكبر الحواضر العلمية بالمنطقة، إذ توافد عليها العديد من طلبة العلم من مختلف الأماكن خاصة من بلاد السودان الأوسط (كانو)، وإنَّ كان القليل منهم من استطاع الوصول إلى الشهرة، وقد عدت الحياة الجامعية حول مسجد سنكري[3] فرصة بالنسبة

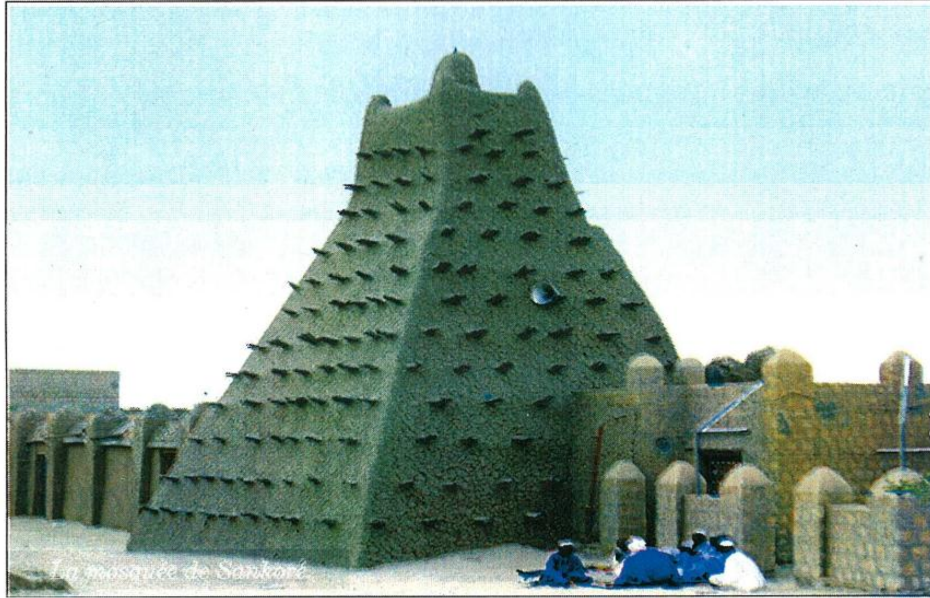
---

[1]– عطية عبد الكامل: **الروابط التجارية والثقافية بين بلدان المغرب العربي وحواضر إفريقيا جنوب الصحراء (1493–1894م)**، أطروحة دكتوراه، إشراف: التلمساني بن يوسف، جامعة أبو القاسم سعد الله، 2014–2015، ص 417.

[2]– ديكو حمدون: "الشيخ صالح بن محمد الفولاني (1666–1218ه) رمز التواصل الثقافي بين المغرب والسودان الغربي"، التفاعل الحضاري...، المرجع السابق، ص 421.

[3]– **مسجد سنكري**: ويعد من المعالم البارزة في مدينة تنبكت، وقيل أنَّ أول من بناه سيدة ثرية تدعى فاطمة كانت حريصة على إنفاق ثروتها في عمل مخلص، ولقد أشار إلى ذلك السعدي حيث قال "أما مسجد سنكري فقد بنته امرأة واحدة اغلالية ذات مال كبير في أعمال البر"، تمّ تجديده على يد العاقب، ثمّ أكمل بناءه الملك الأسقيا داوود في منتصف القرن 16م، أصبح هذا المسجد مع مرور الزمن منارة من منارات العلم تشع بنورها على أرجاء المعمورة وقد درس =

للطلبة الجدد للالتقاء بكبار الشخصيات من أمراء، أبناء التجار، ولخلق روابط صداقة وعمل قد تكون بداية الثراء والارتقاء إلى مناصب مهمة في الدولة[1].



الشكل رقم 07 : صورة توضح مسجد سنكري بمدينة تنبكت.

نقلا عن: chirfi Moulaye Haidara: op, cit, p 44.

5- الدافع السياسي:

من الحقائق الثابتة تاريخيًا أنّ للأوضاع السياسية قدرة على التأثير بشكل مباشر في حركة الهجرات سلبًا أو إيجابيًا، فالحياة السياسية المستقرة، والأوضاع الداخلية الآمنة كانت من أهم مغريات الجماعات المهاجرة، وقد أثبتت المصادر على حالة السودان الغربي السياسية، والأمنية، ومن أهم الدوافع السياسية التي شجعت المغاربة عبر مختلف المراحل التاريخية بالتوجه صوب المنطقة، وزادت في معدلات هجرتهم هي[2]:

=بها عدد من العلماء المغاربة منهم الشيخ أحمد رزوق الفاسي، ومحمد الفاسي، ومحمد بن علي الخروبي وغيرهم من العلماء كما تعاقب عليه عدد من الأئمة منهم الفهية محمود بن عمر بن محمد أقيت وغيره. ينظر: chirfi Moulaye Haidara: **TomBouctou Meurtrie**، Editions Jamana، Bamako (mali) ، 2013، p44.، السعدي: المصدر السابق، ص 61، مولاي أحمد بابير الأرواني: **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية**، دراسة وتحقيق: الهادي المبروك الدالي، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دار الكتب الوطنية، بنغازي،2001، ص 74.

[1]- زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج1، ص ص285-286.

[2]- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص87.

- الاستقرار السياسي للممالك السودان الغربي:

ساعد هذا العامل كثيرًا على جلب عدد كبير من العلماء والتجار المغاربة إلى السودان الغربي، فالأمن عنصر هام لازدهار أي شيء، ولهذا لما ساد في المنطقة الأمن، والثراء اتجه المغاربة صوبها خاصة في عهد الملوك الأقوياء[1]، فمنذ قيام مملكة مالي الإسلامية أصبحت الحياة السياسية في البلاد تشهد حالة من الاستقرار والأمن – باستثناء بعض فترات حروبها – حتى وصف ملوكها بأنّهم: "**أعظم ملوك السودان وأوسعهم بلادًا، وأكثرهم عسكرًا وأشهدهم بأسًا وأعظمهم مالًا وأحسنهم حالًا وأقهرهم للأعداء وأقدرهم على إضافة النعماء**" لذا أدت حالة الاستقرار السياسي الطويل إلى خلق مناخ ملائم للعيش والإقامة فيه[2].

ظلت بلاد السودان الغربي تشهد حالة من الاستقرار والرخاء طيلة القرن 16م، وهي الفترة التي شهدت فيها مملكة السنغاي الإسلامية أوج مجدها وازدهارها، حيث عمها الأمن في كافة أرجائها، وطبعت شهرتها الآفاق، وذاع صيتها شرقًا وغربًا وجنوبًا وشمالًا، فكان ذلك عاملًا مشجعًا زاد في توافد العلماء والتجار على المنطقة والاستقرار فيها[3].

ولقد ذكرت المصادر في هذا الصدد أسماء كثيرة لعدد من التجار المغاربة الذين استقروا في المدن السودانية منهم: التجار الغداميين حيث ألقت الوثائق التجارية الغدامية الضوء على أسماء الكثيرة منهم وأماكن استقرارهم فنجد ذكرًا لمدن تنبكت وجاو وجني وكانو وأغاديس وغيرها.

ونتيجة لنشاطهم التجاري الكبير، وموقع مدينتهم الهام والاستراتيجي على طرق القوافل التجارية، وقربها من مراكز التجارة في السودان الغربي استقر الكثير منهم بهذه

---

[1]- عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص 64.

[2]- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 87.

[3]- عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص 21.

المراكز وخصوصًا بمدينة تنبكت التي تمكنوا فيها من تكوين أحياء خاصة بهم، وهذا ما يفسر كثرة عددهم، وأهمية نشاطهم التجاري واستقرارهم فيها، ومن هؤلاء التجار الذين استقروا هناك، أبناء التاجر ابن أحمد وهم: محمد الصغير ومحمد وعبد الله ومحمد الكبير الذي كان له تجارة واسعة في غداميس وكانوا، ومن بين التجار المهاجرين أيضًا محمد بن حيدرة وعبد الله بوشي، ومحمد بن أحمد الفقي، وعبد الله بن عثمان وغيرهم[1].

- **دور الحكام السودانيين في استقدام العلماء:** لا يمكن تجاهل الحرص والاهتمام الذي أبداه سلاطين وحكام الممالك الإسلامية ببلاد السودان الغربي في سبيل استقدامهم للعديد من العلماء والفقهاء المغاربة بهدف تثقيف شعوبهم وتوعيتهم[2]، فمنذ أن نشأت مملكة مالي الإسلامية أظهر ملوكهم ترحيبهم وتقديرهم للمغاربة الوافدين على المنطقة فأثناء حكم الملك ساكورة شهدت المملكة حركة هجرات جماعية وفردية وذلك بفضل ما قدمه ساكورة لهم من تسهيلات وإغراءات، أمّا منسا موسى (1312-1337م) فقد له المصادر العربية أنه كان "**يحب البيضان ويحسن إليهم**".

وأصل الملوك السودانيين سياسة التودد للوافدين، وتقريبهم في المناصب الإدارية، وتقديم الهدايا لهم، وهو ما زاد من صعدات هجرة المغاربة إلى المنطقة[3].

وإلى جانب هذا الدور فقد ساعدت إمكانية البلاد الهائلة، وظروف التجارة المربحة مع جهود ملوك آل الأسقيا في إشاعة المعرفة في بلادهم، وما كان للطلبة السودانيين من مهمة عالية وتجلد في سبيل العلم وتحصيله من مراكز الأصلية، كلّ ذلك ساعد على اجتذاب عدد كبير من العلماء المغاربة نحو البلاد خلال هذه الفترة ومن أبرز هؤلاء

---

[1]- جميلة محمد التكتيك: "**الجاليات الطرابلسية ببلاد السودان الغربي في القرن16م: ملاحظات حول دورها في التفاعل الاقتصادي والاجتماعي بين ضفتي الصحراء**"، مجلة العلوم الاجتماعية، ع6، جامعة طرابلس -كلية الآداب، ص 267 وما بعدها.

[2]- رضوان هواري: "التطور السوسيو اقتصادي في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط قراءة في الأسباب والعوامل"، المجلة الالكترونية النشاكطية متعددة التخصصات، ع13، جويلية 2009م، ص10.

[3]- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 88.

العلماء الذين استقدموا إلى مملكة سنغاي الإسلامية الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي هذا الأخير الذي جاب المنطقة في عهد الأسقيا محمد الكبير، اتخذه مستشارًا له، ووجه له عدة أسئلة.

ولم يقتصر هذا الدور على ملوك مالي وسنغاي فقط بل شمل أيضًا مايات كانم – برنو فقد انفرد هؤلاء بمميزات تمثلت في حبهم وتشجيعهم للعلم والعلماء، وإلى جانب قيامهم بإرسال طلبتهم إلى مختلف الحواضر العلمية الكبرى المجاورة بغرض الاستزادة من العلم والفقه، عمل هؤلاء المايات على استقدام العلماء إلى المنطقة فاجزوا لهم العطاء، ومنهم من استقر بهم المقال في بلاد كانم به تكريمه فاستقر بها نهائيًا، فزخرت بذلك المنطقة بجموع من العلماء والفقهاء الوافدين عليها من سائر الدول الإسلامية الذين استجابوا لطلبات ودعوة ملوكها[1].

---

[1]– حجيلة العربي: "دور الحكام في إثراء الحركة العلمية في ممالك حوض تشاد خلال القرن السادس عشر ميلادي – مملكة كانم برنو أنموذجًا"، مجلة الدراسات وأبحاث، ع1، الجزائر، جانفي 2020م، ص 339.

ثانيا: قراءة لأبرز العلماء والتجار المغاربة الوافدين على المنطقة:

شكلت هجرات العلماء المغاربة نحو مختلف حواضر بلاد السودان الغربي حدثا ثقافيا بارزا ضمن الأحداث الجسام التي طبعت التاريخ الحضاري والديني الذي ميز المنطقة. إذ ساهمت هذه النخب الفكرية المغاربية في نقل مؤثرات الثقافة الإسلامية ومن المغاربة من تزوج هناك وأنجب ومنهم من ظل عازبا هناك لا همّ له إلا التعليم والخطابة والوعظ والفتوى مع حرقة بسيطة تغنيه السؤال.

ولم يقتصر هذا الدور على العلماء المغاربة فقط، بل شمل حتى علماء وطلبة العلم السودانيين والذين بدورهم كذلك استقرار بمختلف الحواضر المغاربية سواء بهدف طلب العلم وللاستزادة أو لممارسة التعليم وضع الإجازات لاسيما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادين.

وقد جاءت كتب الرحلات والتراجم المغربية والسودانية والمشرقية طائفة بأسماء المغاربة الذين هاجروا حواضر وبوادر المغرب من أجل ممارسة التعليم بحواضر السودان العربي.[1]

1- نماذج لحركة العلماء المغاربة من القرن 16م إلى القرن 17م

1- أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت:909ه/1503م):[2]

وهو محمد (أبو عبد الله) بن عبد الكريم بن محمد بن المغيلي بن عمر بن مخلوف ابن علي بن الحسين بن يحي بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد القوي بن العباس ابن

1سعيد حراش: "**الطابع المغربي للثقافة الدينية الإسلامية بإفريقيا جنوب الصحراء**"، المغرب في محيطه الافريقي...، المرجع السابق، ص 172.

[2]أحمد بابا التنبكتي: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص 576، محمد بن عبد الكريم المغيلي: **مصباح الأرواح في أصول الفلاح(مخطوط) بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم**، آولف أدرار، الجزائر، دون ترقيم أو تصنيف، الورقة 5 و/ظ.

[2]عبد الله حمادي الإدريسي: **الامام محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني**، ط1، وزارة الثقافة، 1432هـ/2011م، ج1، ص 42.

عطية بن مناد بن سري بن قيس بن غالب بن أبي بكر مكروه (كذا) ابن عبد الله بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى السبط بن فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.[1]

ترجم له طائفة من أهل العلم من السادة المتقدمين في كتبهم التي اعتنت بتراجم الأعلام منهم العلامة المغربي لبن عسكر الشفشاني المتوفى سنة(986ه/1578م) والذي نعته في كتابه دوحة الناشر بأنه:" ومنهم الشيخ الفقيه الصدر الأوجد أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي، كان من أكابر العلماء وأفاضل الأتقياء، وكان شديد الشكيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..."[2]

أما عن تاريخ مولده فقد اختلفت الروايات في ذلك اختلافا كبيرا ومن ذلك ما ذكره رابح بونار من انه ولد سنة 790ه/1388م لكنه لا يتماشى مع التسلسل المنطقي للأحداث ، وهناك رواية أخرى ترجع أن يكون مولده تم عام 820 ه / 1417 م ومصدرهم في ذلك ما رواه أحمد بن محمد الشهير بإبن القاضي المكناسي ، وذكر الباحث مقدم مبروك بأنه ولد سنة 831 ه / 1427 م وقال أن ذلك يتطابق مع الأحداث ، وهذا التاريخ من وجهة نظرنا يعد مقبولا ولكنه لم يذكر لنا المصدر الذي إستسقى منه هذا التاريخ بالظبط ، ولذلك نرجح أن يكون قد ولد بين سنة (820-830 ه / 1417-1427 م)[3] فيه غير أن أرجح الروايات ما ذكره العلامة ابن القاضي في "تاريخ الوفيات" وذلك سنة 820ه/1417م.

---

[1]عبد الله حمادي الإدريسي: المرجع السابق، ص 42.

[2] نفسه: ص 95.

[3] مبارك جعفري: **تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني**، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2019، ص11.

ولد الشيخ بمواطن قبيلة مغيلة [1]بالقرب من نواحي مدينة تلمسان بالجزائر[2] أين نشأ بها ودرس مبادئ العقيدة والفقه وعلوم القرآن وانتقل بعدها إلى بجاية طالبا للعلم حيث التقى بشيوخها وأخذ عنهم، ومنها ارتحل الشيخ نحو الجزائر أين التقى حينها بالشيخ سيدي عبد الرحمان الثعالبي هذا الأخير الذي زوجه ابنته لالة زينب دفينة أولاد سعيد (نواحي تيميمون)[3] ثم قدم إلى تمنطيط (توات) سنة 882ه/ 1477م وحل بـــ "أولاد يعقوب".

وأما عن سبب مغادرته موطن نشأته تلمسان ودخوله توات فكانت إثر محنة الامام أحمد بن يحي الونشريسي صاحب المعيار الذي اتهمه سلطان تلمسان المتوكل بالتآمر عليه واضطره إلى التوجه نحو فاس وذلك سنة 874ه/1469م، فكان هذا الحدث ذا تأثير عميق في نفس المغيلي وهو ما دفعه إلى ترك تلمسان تجنبا لظلم الحكام، وربما قد يكون لظروفه المعيشية، دخل في ذلك فتحول على الأرجح إلى فاس، حيث واجهته المصاعب لصراحته في قول الحق، فاتجه نحو الجنوب رفقة ابنه عبد الجبار وأحد خدمه ليستقر بتوات.[4]

تفرغ الامام المغيلي بعد استقراره بالمنطقة للعلم والتدريس، وبنى زاويته القادرية فذاع صيته واشتهر بالمنطقة. وقضى بها عدة سنوات معلما ومرشدا وداعيا ومصلحا، وخاض العديد من المجابهات الفكرية وسجلت عليه مواقف معارضة لليهود هؤلاء الذين

---

[1]**مغيلة:** وهي قرية بضواحي تلمسان قال عنها الحسن الوازان: "مغيلة مدينة صغيرة قديمة أسسها الرومان كذلك على قمة هذا الجبل من الجانب الذي يطل على فاس.ولهذه المدينة أرض طيبة في الجبل مغروسة كلها أشجار الزيتون وأرض أخرى جميلة في السهل ،بها عيون جارية عديدة ،تغل كمية كبيرة من القنب والكتان". ينظر: جلال الدين عبد الرحمان بن محمد السيوطي (ت 911ه / 1505م): **رُب اللباب في تحرير الأنساب**، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب الوطنية، بيروت، ص 271، الحسن الوزان: المصدر السابق ،ج1، ص 297.

[2]محفوظ بن ساعد بوكراع السّطيفي: **الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر**، تقديم: أبو بكر ضيف الله البجبحي الجلفاوي، ط1، دار الكتب العلمية ،بيروت 2016م،.ص358.

[3]عبد الله كروم: **الرحلات بإقليم توات**، دار دحلب، 2007م، ص53.

[4]محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق.ص 361.

أفتى هذا الأخير لقتلهم، وهدم كنائسهم بعد أن دخل معهم في مشاحنات وانقسم العلماء جراء فتواه إلى مؤيد ومعارض.[1]

وبعد أن أضمر له كثير من أهل "توات" العداوة انتقل من توات إلى بلاد السودان ودخل أرض "تكدا"،وحفر بها بئرا، ودعا الله أن يجعل ماءها شفاء وبنى مسجدا سمي بمسجد الكرامة، وكان الامام المغيلي قد اتصل بحاكم المنطقة فانتفع به الكثير من الناس في تدبير شؤونهم العلمية والأدبية، ثم دخل بعدها "كانو" واتصل بصاحبها (محمد بن يعقوب رنق) والذي عينه كمستشار خاص به، وطلب منه أن يكتب له وصية (فيما يجوز للحكام من ردع الناس كل الحرام) ثم كتب مجموعة أخرى تدور حول شؤون الإمارة وتنظيم شؤون الدولة [2]،وفي ذلك يقول أحمد بابا التنبكتي:" **ثم دخل بلاد كانو وكشن من بلاد السودان واجتمع بصاحب كنو واستفاد عليه وكتب رسالة في امر السلطنة يخصه على اتباع الشرع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقرر لهم احكام الشرع وقواعده...**"[3].

وبعد أن استقر الإمام المغيلي بالمنطقة تصدر للتدريس، حيث قصده الناس من مناطق مختلفة من بلاد السودان ككاشن وأقدر ومرادي وزندر وغيرها من الأقطار السودانية[4].

وبعد أن قضى الإمام سنين عديدة يتنقل بين أقاليم السودان الغربي يبذل جهودا اسلامية جبارة في ميادين التعليم، ونشر الإسلام، وتنظيم شؤون الحكم والإمارة قرر

---

[1]عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: **معجم أعلام توات، منشورات وزارة الثقافة**، الجزائر،،ص 73.

[2] مبروك مقدم: الإمام محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الاسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد، دار الغرب، وهران، ص 33.

[3] أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج...، المصدر السابق، ص 577.

[4] محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق، ص 362.

العودة إلى توات بعد ان بلغه مقتل ولده عبد الجبار علي يد يهود بتوات هؤلاء الذين لم يكن على وفاق معهم، وقد أقام بتوات إلى أن وافاه الأجل[1].

والجدير بالذكر أن تأثيرات الإمام المغيلي العلمية قد ظهرت بوضوح في بلاد السودان الغربي خلال حكم الأسبقين وخاصة على عهد الأسكيا محمد الكبير هذا الأخير الذي استعان بمشورة عدد من كبار العلماء من مختلف الأقطار ولاسيما العلماء المغاربة وعلى رأسهم الإمام المغيلي في كيفية تسيير شؤون البلاد على النهج الإسلامي خاصة بعد أن قلده شريف مكة العمامة ولقبه بلقب الخليفة[2].

2-أبو القاسم التواتي (ت: 922ه /1516م):[3]

وهو الفقيه والعالم سيدي ابو القاسم التواتي كان خبيرا وصالحا، اشتهر بمنطقة توات بتبحره في العلوم، رحل إلى مدينة تنبكت مع جماعة من العلماء وشرفاء تافيلات بالمغرب واستقر بها بجوار المسجد الجامع. وابتنى دار بالقرب منه[4]. وفي ذلك يقول عنه عبد الرحمان السعدي: "**...سيدي أبو القاسم التواتي قد سكن في جوار المسجد الجامع من جهة القبلة ليس بينها وبين داره إلا الطريق الضيق النافذ بعدما ابتنى محضرا قبالة المسجد لاصقا بها.**"[5]

وعن فضائله وبركاته بالمنطقة فيقول عنه كذلك:" وهو الذي ابتدأ قراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة مع قراءة حرف واحد من العشرينيات.

---

[1] عبد الله مقلاتي ورحوم محفوظ: **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الاسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009م، ص 91-92.

[2] حسن إبراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص 322.

[3] السعدي: المصدر السابق، ص 58.

[4] عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص 64. سحر عنتر محمد أحمد مرجان: المرجع السابق، ص 69.

[5] السعدي: المصدر السابق، ص58.

وجلس أمير المؤمنين أسكيا الحَّاج محمد تابوتا فيها ستون جزءا من المصحف في ذلك الجامع لأجل تلك الختمة وبقيت تقرأ فيها إلى العام العشرين بعد ألف بدأت بأخرى حبسها الحاج علي ابن سالم بن عبيدة المسراتي وهي في الجامع الآن..." [1]

وعن مكانة الشيخ العالم التواتي واعتراف العلماء والملوك بذلك يقول السعدي أيضا:" وصلى الأمير الجمعة فيها يوما من الأيام، فتربص بعد السلام إلى ان يسلم على الشيخ الفاضل الامام سيد أبي القاسم التواتي فبعث أخاه قرن عمر ليخبره بإتيانه للسلام عليه، فأدركهم في قراة المدح فوقف على رأسه ينتظر فراءهم...".[2]

ويضيف السعدي أن مكانة الشيخ أبو القاسم التواتي وتأثيره الكبير في المنطقة ظل حتى وفاته، حيث كان أهل المنطقة قد طلبوا من أميرهم أن يولي عليهم ابنه بعد وفاته لكن الأمير آثر أن لا يعزل اماما بعد توليه لينصب آخر مكانه، وفي ذلك يقول السعدي: " **وبعد موت الامام سيدي ابي القاسم اتفق أهل الجامع الكبير على الفقيه أحمد نانا سرك، فرفعوا امره إلى أبي البركات القاضي محمود، فكمل عليه وصار اماما في الجامع، وبعد شهرين من ولايته جاء ابن سيد ابي القاسم من توات، ومشى أولئك الجماعة إلى الفقيه فقالوا نريد أن تجعل لنا ابن الشيخ إماما فقال لعم بعد تولية الإمام احمد إن لم تخرجوا عني أسجنكم جميعا...**"

ومن مظاهر اهتمام وتعظيم أهالي المنطقة للشيخ أبو القاسم التواتي أن هؤلاء قد نسبوا علمائهم في عملية الدفن بالمقبرة بقبر الشيخ التواتي هذا الأخير الذي صار معلما بارزا للعامة.[3]

---

[1] نفسه.

[2] احمد ابا الصافي جعفري: **من تاريخ توات أبحاث في التراث، ط1، منشورات الحضارة**، الجزائر، 2011م، ص 822. السعدي: المصدر السابق، ص 58.

[3] أحمد أبا الصافي جعفري: المرجع السابق، ص ص384-385.

3-محمد بن أحمد التكراني (ت: 936ه/1529م):

ولد الشيخ محمد بن أحمد التكراني في نواحي توات خلال القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، حفظ القرآن الطريم منذ صغره على يد كبار مشايخ بلدته، وقد كان الشيخ عاصر الامام المغيلي حيث حضر مجالسه ودرس عليه، صم انتقل بعدها إلى مصر بهدف مواصلة دراسته هناك، ثم دخل بعدها بلاد السودان الغربي، أين نزل تحديدا بمدينة تنبكت، وتولى القضاء، وكغيره من علماء بلاد المغرب تولى مهام التدريس في الكثير من تنبكت وفي سنة 936ه/1529م توفي الشيخ وعمره لا يتجاوز الستين سنة.[1]

4-محمد بن أحمد التازختي (ت: 936ه/ 1529م):

وهو الفقيه محمد بن أحمد بن محمد التازختي عرف بأيد أحمد، كان رحمه الله فقيها عالمًا محدثًا محصلاً جيد الحفظ حسن الفهم كثير المنازعة[2]، تتلمذ على يد كبار المشايخ في عصره حيث درس على يد الفقيه احمد بن عمر أقيت ثم ارتحل ابى مدينة تكدا في الفترة التي كان يقيم بها الامام المغيلي فحضر دروسه، وانتفع بعلومه، ثم رحل إلى الشرق صحبة الفقيه محمود بن عمر أقيت، فالتقى هناك بشيخ الاسلام زكارياء والبرهانين القلشقندي، وابن أبي شريف وعبد الحق السنباطي فأخذ عنهم علم الحديث وسمع وروي وحصل من العلوم واجتهد حتى تميز في الفنون وصار من المحدثين، كما حضر كذلك درس الأخوين الشمس والناصر اللقانيين وأقام علاقة صداقة مع الشيخ أحمد بن محمد وعبد الحق السنباطي. ثم اتجه نحو مكة أين حينها على إجازة من شيخها ابي البركات النويري، وابن عمته عبد القادر وعبي بن ناصر الحجازي وغيرهم.

---

[1] محمد الغربي: **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982م، ص 517.

[2] التنبكتي: نيل الابتهاج...، المصدر السابق، ص587، محمد عبد العظيم الخولي: **الأزهر الشريف والسودانيون في العصر المملوكي 2 (648-923ه/ 1250- 1517م)**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص 8.

ثم رجع إلى بلاد السودان واستقر بكشن أو (كاتسينا) فأكرمه صاحبها وولاد القضاء بها. وفي سنة 946ه/ 1529م توفي الشيخ أحمد التازختي حسب ما أجمعت عنه المصادر.[1]

5- مخلوف بن علي بن صالح البلبالي (ت: 940ه/ 1533م):[2]

ويعد الشيخ مخلوف بن صالح البلبالي من علماء الأسرة البلبالية[3] قال عنه صاحب نيل الابتهاج بأنه اشتغل على العلم بالكبر على ما قبل فأول من أخذ عنه الشيخ الصالح عبد الله بن عمر بن محمد أقيت بولاته وعنها لاحظ فيه نجابة عنه على العلم فرغبه فيه، فرحل إلى المغرب الأقصى لطلب العلم أين تتلمذ حينها على يد ابن غازي المكناسي[4] وغيره من علماء البلاد[5]، ثم ارتحل إلى مصر ودرس بالأزهر الشريف ثم رجع إلى بلاد السودان الغربي أين حلّ تحديدا ببلاد كانو وكاتسينا[6] فاستفاد منه أهلها فذاع صيته وتوافد عليه طلبة العلم من كل منطقة من بلاد السودان وانتشر علمه، واشتهر بالقوة الحافظة أيضا بمدينة تنبكت ودرس بها حيث تخرج على يده العديد من طلبة العلم لم تفصح

---

[1] السعدي: المصدر السابق، ص ص39-40، التنبكتي: نيل الابتهاج...، المصدر السابق، ص 587، حسن علي ابراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص 335.

[2] أبو عبد الله الطالب محمد بن ابي الصديق الولاتي البرتلي (ت 1219ه/1716م): **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 146. السعدي: المصدر السابق، ص 39. محمد العظيم الخولي: المرجع السابق، ص08.

[3] **الأسرة البلبالية:** وتعد من العائلات المغربية القديمة استقرت في مدينة تنبكت وكانو وكاتسينا، ينظر: الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي...، المرجع السابق، ص194- 195.

[4] **ابن غازي المكناسي:** وهو محمد بن أحمد محمد بن علي غازي العثماني عرف بالمكناسي ثم بالفاسي، ولد بمكناسة الزيتون سنة 841ه وأخذ العلم بها وبمدينة فاس على مشايخ عدة منهم الامام العالم ابو عبد الله القوري وغيره، كان المكناسي رحمه الله من مشاهير العلماء والأئمة المهتدين، تولي التدريس بمدينة فاس، والإمامة بجامع القرويين، له عدة تصانيف منها شفاء الغليل في حل مقفل خليل والروض الهنون في التعريف بأخبار مكناسة الزيتون ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص 581، محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،الرباط، 1397ه/1977م، ص ص 45-46.

[5] التنبكتي: نيل الابتهاج...، المصدر السابق، ص608.

[6] محمد عبد العظيم الخولي: المرجع السابق، ص 08.

المصادر عن أسمائهم [1]، وحن بعدها إلى المغرب فشد الرحال إلى مراكش ودرس بها وسم هناك فمرض ورجع إلى بلاده تنبكت وتوفي بها سنة اربعين وتسعمائة هجرية[2].

6-العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي (ت: 950ه/ 1543م): [3]

ينتمي الفقيه العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي إلى قبائل مسوفة الضهاجية ولقب بالأنصمني نسبة إلى بلدة أنصمن الواقعة بالقرب من تكدا[4]، برزت عليه علامات التقوى والعلم منذ نعومة أظافره، وعمل كل ما في وسعه[5] في طلبه حيث جالس الامام محمد عبد الكريم المغيلي الذي حطت به الرحال حينها بتكدا بعدما غادر مدينته توات، وفي أواخر القرن التاسع هجري، الخامس عشر الميلادي، ذهب لتأدية فريضة الحج وفي طريقه بمصر التقى بمجموعة من العلماء منهم الامام جلال الدين السيوطي حيث أخذ عنه ومنها عاد إلى بلده أين زاول التدريس والقضاء.[6]

7-عبد الرحمان القصري (ت: 956ه/ 1549م):

وهو عبد الرحمان بن علي بن أحمد القصري [7]، اشتهر بلقب سقين[8].ولد بمدينة القصر الصغير قرب البحر الأبيض المتوسط [1]وذلك سنة873ه نشأ الشيخ في كنف أسرة

---

[1] أبو بكر اسماعيل محمد ميغا: "**تاريخ الثقافة الاسلامية والتعليم في السودان الغربي (إفريقية الغربية): من القرن الرابع الهجري حتى مطلع القرن الثالث عشر**"، مجلة الدارة، مج 19، ع 2، سبتمبر، 1993م، ص 219.
السعدي: المصدر السابق، ص39.

[2] البرتلي: المصدر السابق، ص146.، محمد الغربي: المرجع السابق، ص517.

[3] الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص 225.التنبكتي: نيل الابتهاج...، المصدر السابق، ص 353.

[4] امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص273. السعدي: المصدر السابق، ص41.

[5] الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري...، المرجع السابق، ص225.

[6] حسين علي ابراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص334. امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...،المرجع السابق، ص 273.

[7] التنبكتي: نيل الابتهاج...، المصدر السابق، ص 26، سعيد حراش: المرجع السابق، ص 172.

[8] **سقين:** وعن هذا اللفظ فقد نقل الشيخ مرتضى في تاج العروس أنه لقب والد أبي عبد الرحمان علي العاصمي المحدث، وقد انتسب هذا اللقب على صاحبنا وعلى ولده وحفيده، ولم ينكر الذين اوردوه هذا اللقب وجهاله، ويعد الشيخ المبخور هو اقدم من ذكره، لكنه لم يضبطه. ولقد ورد أيضا عند غيره وضبطوه، وهكذا مهما يكن أمر التشديد او

ميسورة، ولعل مما يدل على هذا انه جود القرآن الكريم على أشهر شيخ في مدينة فاس حينئذ وهو خطيب جامع الأندلس الفقيه المحدث أبو الفرج محمد بن محمد الطنجي المتوفى سنة 893ه.

درس الشيخ عبد الرحمان القصري مختلف العلوم على يد عدد من كبار المشايخ المعروفين في العاصمة حينها منهم: الشيخ عبد الرحمان الحميدي(ت:894ه) وعيسى الماواسي (ت:896ه)، والشيخ احمد زروق[2] المتوفى سنة 895ه، والامام بن غازي المكناسي والذي يعد من أبرز شيوخه فقد لازمه مدة تقرب من عشرين سنة. وكان أول من التقى به بعد انتقاله من مكناس إلى فاس حيث كان ابن غازي قد أجازه بجميع ما اشتملت عليه فهرسته التي انتهى من تأليفها سنة 896ه.[3]

قصد الشيخ عدة بلدان منها رحلته نحو بلاد السودان الغربي ومصر والحجاز والتي دامت حوالي 15 سنة تقريبا.وذلك من سنة 909ه إلى 924ه ومما يؤسف له أن سقين – مثله مثل عدد من المغاربة المرتحلين لم يقم بتدوين رحلته ولعله كان بعد رجوعه يورد شيئا منها في مجالسه ويحكي بعضها أن تلميذه المبخور اعتمد في رواية أخبار هذه الرحلة على ما سمعه عن شيخه وعلى ما نقله عن أصحابه وهذه هي الرواية المبخور كما وردت في فهرسته قائلا: "وارتحل إلى المشرق سنة تسع من هذه المائة (العاشرة) فوصل

=التخفيف فأن المهم هو معنى اللقب والذي ربما لم يذكره أحد سوى ما ذكره الأستاذ أحمد التوفيق الضليع في اشتقاق الأعلام الأمازيغية ودلالتها ان سقين قد يكون أصلها "إسكين" وتعني المائل إلى السواد. ينظر: محمد بن شريفة: **من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان**، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1999م، ص 150.وبعدها

[1] محمد الغربي: المرجع السابق، ص 516.

[2] **أحمد زروق:** وهو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الشهير بزروق (846-899ه/1442م-1493م) مغربي الأصل والمولد طرابلسي الإقامة والمدفن، كان لهذا العالم المغربي تأثير كبير في ثقافة بلاد السودان الغربي خلال القرن الخامس عشر الميلادي وذلك من خلال انتشار مؤلفاته فيها. ينظر: أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف التلمساني: **البستان في ذكر علماء تلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص 45. امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص ص 129- 130.

[3] محمد بن شريفة: المرجع السابق، ص ص 153-154.

مصر يعد أن اجتاز بلاد السودان لقلة ما بقي بيده من النفقة التي قل أن تبلغه إلى الحج فلقي بمصر أبا الفتح القلقشندي وغيره من أصحاب شيخ الإسلام ابن حجر، ومن غيرهم وأقام هناك بالحرمين مدة طويلة لأخذ الحديث...ثم اجتاز في إيابه على بلاد السودان كما اجتاز بها في ذهابه.

دخل مدينة كنو وغيرها، وحدث هنالك بمصر ملوكهم فغضروه وأجلسوه على الفرش الرفيعة... ونال عندهم المنزلة الرفيعة، وولد بعض أولاده هناك، ثم انفصل عنهم بعد سنين كثيرة إلى وطنه فاس مملوء الحقائب. موتى الأموال والرغائب وصلها سنة أربع وعشرين"[1].

استقو سقين بفاس وأصبح من علماء جامع الأندلس يدرس الموطأ وغيرها من كتب العلوم الدينية.[2]

أما عن وفاته فقد أرّخ على ذلك صاحب سلوة الأنفاس حيث قال: "توفى رحمة الله بفاس ليلة الأحد الخامس والعشرين من محرم الحرام فاتح سنة ست وخمسين وتسعمائة...ودفن بعد صلاة ظهر يوم تلك الليلة داخل باب الفتوح".[3]

وهكذا توفي الشيخ سقين مخلفا عدداً من العلماء الذين رووا عنه ونقلوا سنده ونشروه في ظروف كادت تنقطع فيها رسوم العلم لولا أن تداركتها رحمة الله بتوجه المنجور

---

[1] **المنجور**: وهو أحمد بن عبد الرحمان بن عبد الله عرف بالمنجور ،يعد من أشهر علماء المغرب الأقصى خلال القرن 16م، ولد سنة 926هـ/1519م بفاس وتوفي سنة 995هـ/1586م ،تبحر في مختلف العلوم، أخذ عنه القاضي ابراهيم الشاوي، وأحمد بن أبي العافية' من مؤلفاته: مراقي المجد في آيات السعد ومختصر على قصيدة عقيدة أحمد بن ذكري في الكلام وشرحاً لقواعد الزقاق وحاشية على شرح الامام السنوسي لكبراه في علم الأصول.ينظر: عبد الرحمان بعثمان: **القضاء في منطقة توات خلال القرنين 18/17م**، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد بن معمر، جامعة وهران – 01–أحمد بن بلة، 2015م، ص 216.

[2] محمد بن شريفة: المرجع السابق، ص ص156–157.

[3] محمد الغربي: المرجع السابق، ص 516. التنبكتي: نيل الابتهاج...، المصدر السابق، ص 264.

الذهبي إلى العناية بها. وقد كان هذا الاخير هو نفسه من جملة الحملة لسند سقين بواسطة شيخة المنجور. شيخ الجماعة في عصره.[1]

8-عمر الشيخ (تــ: 960ه/1553م):

وهو ابن الزعيم البكاي الملقب بالشيخ، عرف بكثرة حفظه وبكراماته تنقل كغيره من العلماء بين مختلف الحواضر بهدف طلب العلم وللاستزادة، حيث شد الرحال. ثم رجع إلى توات، ومنها ذهب إلى بلاد السودان الغربي والتقى هناك بالإمام عبد الكريم المغيلي حيث أخذ عنه الطريقة القادرية[2]في المنطقة، وكان خليفته على رئاستها.

تولى عمر الشيخ التدريس بتنبكت، وكان كلما مرّ بقرية أو بحي دعاهم إلى عبادة الله، واستمر على هذا الحال حتى وفاته ليواصل رسالته من بعده أحفاده ومنهم حفيده والد الشيخ(ت1062ه/1650م) الرقادي الذي عاد إلى توات وبين بها الزاوية الكنتية الرقادية.[3]

9-عبد الرحمان بن محمد بن أحمد الطسّاني (ت:960ه/1553م)[4]:

وهو عالم طرابلس، إشتهر بالتاجوري نسبة إلى تاجوراء أحد ضواحي مدينة طرابلس، وقد كان هذا الأخير أيضا يلقب بالعالم الميقاني[5] رحل إلى بلاد السودان أين

---

[1] محمد بن شريفة: المرجع السابق، ص 170.

[2] **الطريقة القادرية**: وتعد من أهم الطرق الصوفية التي يرجع لها الفضل في ترسيخ أصول التربية الروحية في نفوس الأفارقة عموما واتقت بقلوبهم نحو معرفة الخالق، يرجع تأسيسها كما هو معلوم إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني (1078م/1066م) مركزها الأصلي ببغداد العراق، كما انتشرت هذه الطريقة في بلاد السودان الغربي فوجدت قبولا كبيراً، وكان لها الفضل في نشر الإسلام في هذه المنطقة. ينظر: عمار هلال: الطرق **الصوفية ونشر إسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا السمراء**، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 1981، ص 109. عبد القادر زيادية: دراسة **عن أفريقيا جنوب صحراء في مآثر ومؤلفاته العرب والمسلمين**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص ص 229-230

[3] عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص 263.

[4] التنبكتي: نيل الابتهاج...، المصدر السابق، 131.

[5] **الميقاني**: سبب تسميته بهذا الإسم هو الخصام الذي وقع بينه وبين بعض علماء المغرب الأقصى ومن بينهم محمود بن عبد الرحمان البسقيلني مفتي فاس، وذلك بسبب تحديد القبلة في جامع فاس، وقد كتب التاجوري في ذلك رسالة سماها: تنبيه الغافلين عن قبلة الصحابة والتابعين، وقد صحح القبلة بناء على رأي التاجوري: ينظر: امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق ص 131.

تولى التدريس بمدينة بتنبكت، ثم هاجر بعدها نحو مكة المكرمة أين استقر وعاش بها، وهناك زادت صلته الثقافية ببلاد السودان الغربي من خلال أستاذيته لعدد من علمائها منهم الفقيه أسد بن محمود بغيغ (ت:987ه/1570م) هذا الأخير الذي تتلمذ عليه في مكة وشقيقه الفقيه محمد بن محمود بغيغ [1](930ه/1002م/1523-1593م)

10-ابن أبا القاسم التواتي (كان حيًّا خلال القرن 16م):

وهو من علماء توات الذين عاشوا خلال القرن السادس عشر الميلادي لم تذكر المصادر التاريخية اسمه، ولا حتى تاريخ وفاته، إلا أنها تكون أنه بعد وفاة والده أبو القاسم التواتي سنة 1516م، رحل إلى تنبكت من أجل أن يتولى الامامة مكان أبيه، وعندما رفض القاضي لأنه كان قد عين الامام أحمد مكانه عاد إلى توات، وبعد سبعة أشهر من توليه الامامة توفي هذا الأخير [2].

11-فياض الغدامسي (ت: خلال النصف الثاني من القرن 16م):

يعد الفقيه فياض الغدامسي من أبرز الشخصيات الطرابلسية التي عاشت في بلاد السودان الغربي خلال القرن 16م، ويدل لقبه أنه سليل أحد الأسر الغدامسية التي ما إنفكت تتنقل وتتاجر بين مختلف حواضر السودان الغربي مثل تنبكت وجني وجاو وغيرها، وقد إشتهر الفقيه فياض الغدامسي بالعدل والاستقامة، وحظي كغيره من فقهاء

---

[1] **محمد بن محمود بغيغ:** وهو محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري استنبكتي، عرف بغيغ، ولد سنة 950ه/1593م، كان رحمه الله عالما محققا صالحا أخذ عن والده أبي بكر بغيغ، وعن خاله ثم رحل إلى تنبكت فلازم الفقيه أحمد بن سعيد في المختصر، ثم رحل إلى الحج رفقة خاله فلقي بمصر، الناصر اللقاني والتاجوري والبحيري والشيخ الشريف يوسف = والشيخ محمد البكري حيث أخذ عنهم وعن والد الشيخ أحمد بابا الذي لازمه أكثر من عشرين سنة، فختم عليه مختصر خليل وفرعي إبن الحاحب قراءة بحث وتحقيق وتحرير، وختم عليه بالمختصر خليل أكثر من عشر مرات، وحضر عليه التوضيح، بقي رحمه الله طول حياته مدرسا مفتيا وقاضيا بين الناس إلى أن توفي، وقد أورد التنبكتي أنه سمع بوفاته وهو بالمغرب الأقصى يوم الجمعة من شهر شوال عام (1002ه/1583م) أي انه عمر حوالي سنة كلها في خدمة العلم. ينظر: التنبكتي: نيل الابتهاج...، المصدر السابق، ص ص 600-601، مبخوت بودواية: "**أعلام السودان الغربي من بيا القرنينى 9 و10 الهجريين**"، مجلة حولية المؤرخ، ع 6، دار الكرامة للطباعة والنشر، جويلية، 2005، ص 184، عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص 285.

[2] عبد الله مقلاتي: ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص 60، أحمد أبا الصافي جعفري: المرجع السابق، ص 384.

بلاد المغرب بثقة الحكام والسلوك، وحتى الأهالي، وكان الشيخ تزكية الشهود عند القضاة فمن شهد له بالعدالة إعتبر عادلا، ومن لم يشهد له ألغيت شهادته مهما كانت شخصيته، وبقي يتولى هذا المنصب حتى توفي، ومن الأدلة التي تبين المكانة الرفيعة التي حازها هذا الفقيه هو ذلك المظهر المهيب الذي شهدته جنازته والتي خرج فيها للصلاة عليه أشهر فقهاء تنبكت في مقدمتهم الفقيه.

محمود بن عمر أقيت [1]رغم كبر سنه، وضعف جسمه، وعلى الرغم من أن المصادر لم تذكر تاريخ ميلاده ووفاته إلا أنه من خلال هذه المعلومة التاريخية يتضح أن الفقيه فياض الغدامسي قد عاصر الفقيه السالف الذكر حتى أواخر أيام حياته، ووفاة بن عمر أقيت كانت حوالي سنة 988ه/1580م فيرجع من خلال ذلك أن يكون الفقيه الغدامسي قد عاش قيل نهاية العقد الخامس من القرن العاشر للهجرة / 16م.[2]

- ✓ يظهر لنا من خلال ما تقدم عرضه أن حركة العلماء بين بلاد المغرب، وبلاد السودان الغربي من القرن 16م إلى غاية القرن 17م كانت نشيطة مما ساهمت بقسمٍ كبيرٍ في تمتين الصلات الثقافية بين الطرفين.

وإن مما يجدر الحديث عنه خلال هذه الفترة أننا لم نلاحظ تأثير علماء بلاد السودان الغربي على المغرب إلا قليلا، وربما يرجع ذلك إلى ازدهار، مملكة سنغاي الاسلامية طيلة القرن 16م، والذي يمثل العصر الذهبي لها، حيث ازدهر فيها التعليم، وبلغ فيها الاسلام ذروته في الانتشار والقوة، وقام ملوك الآسكيا بالعناية الكبيرة بالحركة العلمية،

---

[1] **محمود بن عمر أقيت:** وهو القاضي محمد بن الفقيه القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت التنبكتي ولد سنة 909ه، كان رحمه الله عالما جليلا فهاما، ثاقب الذهن، إذا فهم عميق وذهن صاف، نشأ الشيخ وترعرع في بيت علم وصلاح، حيث تعلم على أفراد أسرته وظل يتلقى العلم حتى شهد له أشياخه بالعلم، قم تولى مهام التدريس وأخذ عنهم عدد من العلماء منهم: الشيخ أحمد بن الحاج احمد والذي أخذ عنه البيان في المنطق ولما توفي والده قاضي الجماعة المذكور تولى القضاء وظل فيه إلى أن توفي عام 973ه/1565م ينظر: السعدي، المصدر السابق، ص 33، مهدي رزق الله احمد: المرجع السابق، ص 338، عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص 284.

[2] امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص130.

حيث إهتموا بالفقهاء وشجعوا العلماء على التحصيل والانتاج العلمي [1]، كما عملوا على استقدام العلماء إلى المنطقة من بلاد المغرب، حيث وجد المغاربة ترتيبا كبيرا من الأهالي، واستقبالا فريدًا من نوعه من طرف هؤلاء الملوك، فزخرت بذلك مملكة سنغاي الاسلامية بجموع من العلماء والفقهاء الوافدين إليها من سائر الدول الاسلامية الذين استجابوا لطلبات ودعوة ملوكها، وهو ما جعل سنغاي غنية بمؤلفات متنوعة ساعدت على تطور الحركة العلمية إثرائها[2].

ولقد ساعدت إمكانيات البلاد الهائلة، وظروف التجارة المربحة إلى جانبا تضافر جهود ملوك آل الاسقيا في إشاعة المعرفة في بلادهم، وما كان لطبة البلاد السودان الغربي من همة عالية، وتجلد في سبيل العلم وتحصيله في مراكزه الاصلية، كل هذا ساعد على جلب عدد كبير من ذوي العلم والثقافة إلى بلاد السودان الغربي في هذه الفترة، حيث كان من أبرز العلماء المغاربة الذين استقدموا من بلاد المغرب إلى مملكة سنغاي هو الامام المغيلي هذا الأخير الذي جاب بلاد السودان الغربي.[3]

ومما تجدر الاشارة إليه أيضا خلال هذه الفترة أننا لاحظنا في حدود مما عرض سابقا حول أبرز العلماء المغاربة الذين توافدوا على المنطقة كانوا جلهم من توات حيث لم تتوصل إلى غيرهم من العلماء المغاربة من مختلف الحواضر المغاربية الأخرى كفاس، وغدامس وغيرها، وربما يعود بروز علماء توات عن غيرهم نحو المنطقة إلى وجود أسباب منها.

-تميزهم عن أقرانهم بحركتهم النشطة وعدم الاستقرار في مكان واحد فقد اشتهر هؤلاء برحلاتهم إلى الحواضر والمراكز العلمية الكبرى في العالم الاسلامي. وذاع صيت الكثير منهم في العواصم الثقافية خاصة في بلاد السودان الغربي، حيث كان لهم حضور

---

[1] عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص 21.

[2] عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص ص 64-65.

[3] أبوبكر إسماعيل محمد ميغا: المرجع السابق، ص 232.

قوي في مدينة تنبكت التي كانت تعد من أكبر الحواضر العلمية في المنطقة خلال 16م.والتي استقطبت إليها رجال العلم والدعاة وغيرهم منذ القرن 8ه/14م. وقد ذكرت المصادر العربية أسماء العديد من الشخصيات التواتية كانوا قد انتقلوا نحو بلاد تواتية من أهل الصلاح والفقه كان البعض قد تولى التدريس بحواضره وإلى جانب ذلك فقد كان لعلماء توات ومشايخها في ظل العصور القديمة والحديثة دورا مميزا في نقل الاشعاع الثقافي الاسلامي إلى مختلف شعوب البلاد، وهذا حسب ما أشارت إليه بعض المصادر العربية كذلك[1]، حيث ذكر صاحب كتاب الفتاش الدور الكبير الذي أداه علماء توات في مختلف الحواضر العلمية بالمنطقة في القرون الثلاثة 15و16و17 للميلاد.

فقد درس هؤلاء وألغوا وانتفع بهم أهالي تنبكت وكانو، وأهالي بلاد كانم على وجه الخصوص، ولم يكن ذلك من فراغ لأن علماء توات إلى جانب جهود إخوانهم من مختلف مناطق بلاد المغرب قاموا بدور بارز في تأمين التواصل المعرفي وتغذيته باستمرار، وقد كان لهم شرف المساهمة في تعميق الصلات الحضارية بين المنطقتين، حيث استقر هؤلاء في بلاد السودان الغربي وسهلوا التواصل، وواكبوه وغذوه بمختلف الروافد المعرفية سواء منها التدريس، ونقل الكتب والمخطوطات والعلماء فهذا كله قد حفز أهمية التحرك الفكري والثقافي المتبادل.[2]

– أن الجوار الجغرافي لتوات وبلاد السودان الغربي وسط الصحراء قد أحدث تقاربا وارتباط وثيقا بين المنطقتين في مجالات متعددة بدءا بالمجال التجاري الذي عرف ازدهارا كبيرا منذ بداية القرن 8ه/14م وكذلك الجانب العلمي والثقافي فيكم الطبيعة الصحراوية للمنطقتين كان التنقل السمة الغالبة لدى الكثير من سكان الصحراء، وفي ذلك

[1] عباس عبد الله: **الدور الحضاري لاقليم توات وتأثيراته في البلاد السودان الغربي من القرنين 9و10ه/15و16م**، مذكرة ماجستير، إشراف: بشار قويرد، جامعة الجزائر، 2000/2001م، ص 85

[2] محمد الزين: " إسهامات أعلام إقليم توات في ترسيخ الاسلام والثقافة العربية الاسلامية في افريقيا جنوب الصحراء مابين القرن 16–19م"، مجلة عصور مج 17، ع 2، ديسمبر 2018م، ص ص247–248.

ينكر عبد الرحمان السعدي أنه تخلف بتوات عدد كبير من، فقه السلطان كنكن موسى أثناء رحلته إلى الحج لوجع أصابعهم أرجلهم، حيث استوطنوا هناك، كما كان تنبكت وغيرها من المدن الأخرى غاصة بالتواتيين، ولم يقتصر هذا التوافد البشري على الأفراد فقط، بلى شمل قبائل بأكملها توزعت بين المنطقتين حتى ليجد الباحثون صعوبات في تحديد الانتماء الجغرافي لها، هل هي من توات أم من بلاد السودان الغربي.

ومما لا شك فيه أن يكون من ضمن هؤلاء الوافدين عدد كبير من العلماء والفقهاء، وفي هذا الصدد نشير المصادر العربية منها ما ذكره ابن بابير الأرواني في "السعادة الأبدية" أنه قد وجد بتنبكت وحدها مقبرة ضمت حوالي خمسين شخصية تواتية جلهم من الفقهاء والعباد.

ومن خلال ما تم ذكره يتضح بجلاء مدى مساهمة القرب الجغرافي في تنشيط حركة التبادل الثقافي بين توات وحواضر بلاد السودان الغربي.[1]

[1] أحمد مولاي: المرجع السابق، ص 45، مبارك جعفري: **العلاقة الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12ه**، ط١، دار السبيل للنشر الجزائر، 2009، ص ص 230- 231.

2-نماذج لحركة العلماء المغاربة من القرن 17م إلى القرن 18م:

1-أحمد بابا التنبكتي (ت: 1627/1036م)[1]:

وقد عرفته المصادر التي ترجمت له منهم البرتلي الولاتي في كتابه فتح الشكور بقوله "وهو أحمد بابا الفقيه بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت بن عمر بن علي بن يحي بن كدالة بن بكي بن نيف بن لف بن يحني بن تشت بن تنفر بن جبراي بن أكنبر بن أنص بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي الساسي رحمهم الله تعإلى "[2].أما عن تاريخ مولده فيذكر الحفناوي أنه ولد في الحادي والعشرين من ذي الحجة عام ستين وتسعمائة[3] بمدينة تنبكت في أسرة من بيني أقيت [4] المعروفين بانتسابهم للعلم والثقافة، تلقى التنبكتي تعليمه الأول على يد والده الذي تعلم منه مبادئ القراءة والكتابة ثم أخذ عنه علمي الحديث والمنطق وغيرهما وأجازه وبخطه، ثم صار يتلقى دروسه في النحو على يدعمه أبي بكر بن أقيت، كما درس أيضا العديد من العلوم على يد كبار للمشايخ بمسقط رأسه بتنبكت.[5]

---

[1] احمد بابا التنبكتي: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1424ه/ 2000م، ج1، ص 21.

[2]البرتلي: المصدر السابق، ص 31

[3] أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم الديسى(1336هـ/1943م): "**تعريف الخلف برجال السلف**"، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1361ه/1906م،ص16.

[4]**آل أقيت:** ترجع أصول هذه الأسرة إلى قبيلة مسوفة إحدى بطون منهاجه، وبعد من أهم وأشهر الاسر التنبكتية، وممن اهم الوجاهة الكبيرة، والرياسة الشهيرة ببلاد السودان الغربي دينا ودينا، حيث تعددت فيها العلماء والأئمة والقضاة، توارثوا رياسة العلم مدة طويلة حوالي مائتي سنة عن جدهم محمود بن عمر بن محمد أقيت بن علي بن يحي الصنهاجي المشهور بأبي الثناء، وبأبي المحاسن (1463- 1548م) والذي تولى خطة القضاء من سنة 1498م إلى سنة 1548م ثم ورثها بدوره إلى أبنائه الثلاث على التوالي محمد والعاقب وعمر، وبعد العاقب الأبن الأكبر له(1507م/1583م)أحد أشهر قضاة تنبكت وسجل التاريخ اسمه كأكبر بناء للمساجد، كما وصف أيضا بالرجل الناقد، وفي نفس الوقت بالرجل القاسي، في أحكامه إضافة إلى ذلك فقد إنحدر من هذه الأسرة العلامة أحمد بابا التنبكتي والده وأجداده وأعمامه أصحابه = المؤلفات العلمية الشهيرة ينظر: أحمد بن خالد الناصري السيلاوي (ت1315ه/1878م): "**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**"، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، ج5، ص، 129 بنرمضان زوليخة: المرجع السابق، ج 1،ص ص 187-188، التنبكتي: كفاية المحتاج...، المصدر السابق، ص ص 11-12.

[5] التنبكتي، نيل الانتهاج...، المصدر السابق، ص 11-12.

أصبح الشيخ من أشهر علماء عصره حيث لم يحظى عالم في المدينة بمثل سعة علمه وشهرته، فقد كان مؤرخا عالما بالشريعة، ومن المتبرين في اللغة العربية وآدابها، تولى التدريس والتأليف في معاهد تنبكت العليا على الرغم من صغر سنة، واستمر الشيخ في التدريس والبحث بمدينة مراكش التي نفي إليها بعدما غزا المغاربة مدينة تنبكت سنة 999ه/1590م[1] فبعد خروجه من السجن تفرغ هذا الأخير لنشر العلم والمعرفة بالمغرب، فقد جلس يعلم بمسجد الشرفاء بمراكش، حتى ذاع صيته، واشتهر أمره، فهرع إليه طلاب العلم في المغرب من كل حدب وصوب لينهلوا من علمه الغزير وفي ذلك يقول أسد بابا: "**....وازدحم على الخلق وأعيان طلبتها (أي مراكش) ولازموني بل قرأ على قضاتها كقاضي الجماعة بفاس والعلامة أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني، وهو كبير ينيف على ستين، وكذا قاضي مكناسة...وغيرهم واشتهر اسمى في البلاد من سوس الأقصى إلى بجاية والجزائر وغيرها، وقد قال لي بعض طلبة الجزائر وقد قدم علينا مراكش لانسمع في بلادنا باسمك فقط**".

وهكذا أصبح الشيخ أحمد بابا التنبكتي أستاذ المغرب ومعلمها الأول بلا منازع وقد تخرج على يده عشرات العلماء في الفترة التي كان قد قضاها بمراكش والتي ناهزت العشر سنوات، ولاشك أن نبوغه بهذا المستوى وانبهار علماء المغرب وطلابه به هؤلاء الذين أشادوا به من وخلدوه في كتاباتهم اعترافا منهم بفضله دليل كافي على مدى قوة شخصيته وغزارته في العلم.[2]

[1] علي يعقوب: "**جهود العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الاسلامية والعربية**"، مجلة قراءات إفريقية، ع 3، ذو الحجة 1429م، ديسمبر، 2008، ص17

[2] عبد الباقي محمد كبير: "**الدور الثقافي للشيخ أسد بابا التنبكتي**"، مجلة دراسات افوٍيقية، ع8، جمادى الثاني 1412هــ سبتمبر 1991، ص ص 148/147.

2-محمد بن بدر بن حمود الفزاني (ت:1037ه/1628م):

ويعد هذا الفقيه من ضمن العلماء الطرابلسيين الذين رحلوا من بلادهم واتجهوا صوب بلاد السودان الغربي وعاشوا هناك، حيث كان هذا الفقيه قد استقر بمدينة تنبكت، وقد وصل إلى خطوة ربطته بأبرز مشاهير العلماء[1]، حيث ذكره عبد الرحمان السعدي في كتابه بقوله "**وفي يوم الأربعاء وقت العصر السابع والعشرين من رمضان منه توفي الأخ المحب.**

المحب الفاضل النافع الفقيه محمد بن بدر بن محمود الفراني..."[2]

3-أحمد بن الشيخ محمد الرقادي الكنتي (ت: 1063ه/ 1653م):

وهو العالم والفقيه أحمد بن الشيخ محمد الشهير بالرقاد ابن الشيخ أحمد المعروف بالفيرم ابن عمر الشيخ ابن الشيخ سيدي أحمد البكاي ينهي نسبة إلى عقبة بن نافع الفهري، ولدنة 968 ه/ 1561م جواد نون جنوب المغرب نشأ وترعرع بين كنف والديه اللذان سهرا على تربيته إلى أن بلغ أشده، حفظ القرآن الكريم في سن مبرة[3] وقد أسس الشيخ الزاوية الكتبية بتوات، كما كان له أيضا نشاط علمي ببلاد السودان الغربي حيث تذكر المصادر التاريخية أنه بعدما شاهد الاقبال الكبير عليه من طرف طلبة المنطقة قام بتأسيس زاوية ومدرسة بمدينة تنكيت لنشر العلم، واستمر يواصل نشاطه العلمي إلى أن توفي خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي[4].

---

[1] مقادير عبد الحميد: **المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي (مالي- سنغاي) ق 7-10ه/13-16م** أطروحة دكتوراه، إشراف: أدين نعيمة عبد المجيد، جامعة وهران 1 احمد بن بلة 2017-2018م، ص133.

[2] السعدي: المصدر السابق، ص 245.

[3] عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص 79.

[4] سالم بوتدارة: "**الرحلات العلمية التواتية نحو بلاد الساحل الافريقي وإسهاماتها العلمية**"، مجلة آفاق فكرية، مج4، ع خاص، 2018، ص 77.

4-عبد القادر بن يوسف الفاسي (ت: 1091 ه/1680م):[1]

وهو العالم الموسوعي والمتصوف المغربي الشهير، ولد سنة 1007ه- 1598م إشتهر بعلمه الغزير وذلك لأنه سليل أسرة فاسية إشتهرت بنبوغها العلمي والثقافي فهو حفيد العلامة والفقيه الشهير بأبي المحاسن يوسف الفاسي الذي كان حيا سنة 1005ه/1596 م، وقد تحدث عنه القادري في "إلتقاط الدور" واصفا إياه بأنه إمام دراك مشارك له قوة في الدين والرسوخ في العلم، وقد أخذ عنه عدد من علماء بلاد المغرب الأقصى[2]، وكغيره من علماء بلاد المغرب رحل الشيخ عبد القادر إلى بلاد السودان الغربي أين حل بمدينة تنبكت وتولي التدريس بها فترة طويلة من الزمن، وكان أثناء إقامته هناك قد منح إجازة في مجال التعليم لأحد طلبة بتنكت ويدعى أبا بكر محمد بن محمد الشهير يآت التنبكتي في صحيح البخاري وغيره[3].

5-أبي بكر بلقاسم الغدامسي (ت: 1051 ه/ 1641م):

من علماء غدامس المرموقين، رحل إلى تنبكت وإستقر بها عدة سنوات بين سنتي 1632 و1635م، عاد رفقة ابنه الشيخ عبد الله بن ابي بكر الذي ولد بمدينة تنبكت سنة 1035ه -1625م إلى غدامس وعمره لا يتجاوز العشرة سنوات، ولم يكن الشيخ أبو بكر بلقاسم الغدامسي بمسقط رأسه بغدامس حتى رجع إلى بلاد السودان الغربي أين مارس حينها التجارة إلى جانب دوره في التعليم بأجادس، حيث ظل هذا الأخير طوال إقامته الأولى بتنكت والثانية بأجادس، يؤدي دورا كبيرا في تنمية أواصر الاتصال الثقافية وذلك من خلال جلوسه بمجالسها العلمية كمعلم[4].

[1] **الفاسي:** وهذا اللقب إشتهر كثيرا ببلاد السودان الغربي، فقد وجد بجاو وتنبكت وجني وغيرها من مدن السودان الغربي لأخرى، ينظر: الهادي مبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي...، المرجع السابق، ص195.

[2] امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص 120.

[3] الهادي مبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية...، المرجع السابق، ص 151.

[4] امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص ص 135- 136.

6-أحمد الكنتي (ت: 1104ه/ 1693م):

وهو شيخ الكنتيين والزعيم المتصوف، ولم تذكر المصادر التاريخية تاريخ ولادته غير أنه ولد بالساقية الحمراء، حفظ القرآن الكريم وتبحر في مختلف العلوم، جال في مناطق مختلفة حيث رحل إلى بلاد السنغال بهدف نشر علوم الشريعة واللغة[1] وكتسب الشيخ موهبة في القضايا التجارة في الدعوة إلى الاسلام، ونشر طريقته الصوفية، وقد إستقر بولاته ومات ودفن بها بعد أن كسب مكانة وشهرة كبيرة بتوات[2]

7-أحمد بن عبد العزيز القوراري (كان حيا خلال القرن 17م):

من علماء القرن السابع عشر الميلادي، لا يعرف عنه الكثير، تلقى تعليمه الأولى بمسقط رأسه بتوات، ثم شد الرحال بعدها نحو تنبكت أين إستقربها وقد أصبحت له مكانة مرموقة، ومما يذكر في التأكيد على مكانته أن حاكم تنيكت إستنجد به وبصديقه الشيخ أحمد بابا التنبكتي عندما تتكيف منه خصمه القائد القولاني بن عيسى البريوني فغلبت شفاعتهما وأطلق سراحه [3].

- إن مما يجدر الحديث عنه حول حركة العلماء المغاربية بين المنطقتين خلال هذه الفترة والممتدة من بداية القرن السابع عشر الميلادي، وحتى القرن الثامن عشر، أننا لاحظنا نوعًا من التراجع حول عمليات التواصل الثقافي بين المنطقتين، وإن أهم ما يمكن التنويه إليه أن عملية التواصل هذه لم تنقطع نهائيا، وإنما تراجعت مقارنة بالفترة الزمنيو السابقة، وربما يعود ذلك إلى وجود أسباب معنية نذكر منها:

- الدور الكبير الذي لعبته حركات التبشير والتنصير والمتمثل في وضع حد لعمليات التواصل بين البلدان المغاربية وبلاد السودان الغربي فمنذ القرن الخامس عشر الميلادي بدأت هذه الحركات تظهر في ربوع إفريقيا معتمدة في ذلك على عدة وسائل وأساليب

---

[1] عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري، المرجع السابق 75.

[2] بول مارتي: **كنتة الشرقيون**، ترجمة: محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ص 147.

[3] نفسه: ص ص 86- 87.

لتحقيق أهدافها والمتمثلة في نقل المسلمين من الإسلام إلى المسيحية، أما الهدف الثاني الذي كانت تسعى حركة التنصير في تحقيقه هو إفساد المسلمين وزعزعت القيم الإسلامية ومن أجل تحقيق هذه الأهداف وغيرها أقامت هذه الحركات على طول البلاد وعرضها شبكة واسعة من المؤسسات التعليمية والمراكز الصحية والاجتماعية والمشروعات الاقتصادية التي تدر لها ملايين الفرنكات متسترين تحت شعار خدمة المجتمع موقف الدولة من التنصير، ونستطيع أن نؤكد أن حركة التنصير ما كانت لتحقق مختلف أهدافها في المنطقة لولا الامتيازات الكبيرة التى كانت تتمتع بها كافة مؤسساتها من قبل الدولة والقوى العالمية كل هذا كان هدفه إظهار المسيحي بأنه الأقرب إلى الإفريقي من أخيه المسلم، لذا فقد سعو بكل الوسائل لقطع عملية التواصل التى تربط بين البلدان المغاربية، وبلاد السودان الغربي[1].

- مع منتصف القرن السادس عشر شهدت بلاد السودان الغربي جملة من التطورات السياسية داخلية وخارجية كان لها أثر عميق على طبيعة التواصل مع مختلف حواضر البلدان المغاربية:

-**العوامل الداخلية:** بدأت أوضاع سنغاي في تدهور سريع ككيان سياسي بعد الازدهار الذي شهدته على يد الأسقيا محمد الكبير، ودخلت في نزاعات حول السلطة فتعاقب على الحكم بعده ثمانية ملوك في ظرف سنوات قليلة وبدأت تعرف تدهورا سريعا بعد عهد الأسقيا داوود (33سنة)، 1549-1582م وبصفة خاصة على عهد الأسقيا إسحاق الثاني الذي لم يثمر في الحكم سوى ثلاث سنوات (1591-1588م)، ولعل أهمية تنبكت الاقتصادية وموقعها في ملتقى الطرق، جعلها تكون مركزا للمنافسة[2].

---

[1] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريديّة: **المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة**، ط1، دار اكتب العلمية، بيروت –لبنان،2007، ص ص 180-181.

[2] بهيجة الشاذلي: المرجع السابق، ص 106

- **العوامل الخارجية:** وتتمثل أساسا في الحملة المغربية[1] التي شهدها السودان الغربي نهاية القرن السادس عشر الميلادي تحديد سنة 1591م كما أشرنا إليها سابقا وما تبعها من صراع بين حكم العسكريين، ومن سار في ركبهم من السياسيين من جهة، وبين العلماء والطبقة المثقفة من جهة أخرى مما أدى إلى حدوث إنتكاسة علمية بعد نكبة علماء تنكبت على يد الجيش المغربي.

والجدير بالذكر أن هذه الحملة لم تكن مجرد إيذانا بانتهاء حكم الأسقيين فحسب، بل يعني أيضا بداية مرحلة جديدة حيث كانت ملامحها قد برزت منذ بداية القرن 17م.

- **العوامل الطبيعية:** بالإضافة إلى العوامل السالفة الذكر، يضاف عامل ثالث، لطالما تم إهماله من طرف الباحثين، ويتمثل في العامل الطبيعي، فقد عرفت المدينة مجاعة خطيرة بسبب سنوات الجفاف التي توالت، إلى درجة أن السكان لجأوا إلى أكل الجيفة كما عرفت مرض الطاعون سنة 1618. وقد سببت هذه الأحداث في هجرة السكان عن المدينة، كما رحل من كان بها من التجار. وأصبحت المدينة عرضة لهجمات الطوارق المستمرة بعد ضعف حكم الرماة، حوالي سنة 1770. وقد اجتمعت هذه العوامل لتجعل من تنبكت لقمة سائغة في يد المستعمر الفرنسي الذي كان يتربص بها منذ وقت طويل.[2]

---

[1] كان أحمد المنصور(1578–1603م) قائد هذه الحملة قد أعد قوات مهمة تحسبا لهجوم العثمانيين على بلاده، وعقب تراجع تهديدهم للمغرب عمل هذا الأخير على إستعمالها للتوسع في بلاد السودان، وأقدم على هذه الخطوة بعد أن ضاقت به حدود بلاده من جهتي الشمال والشرق"ونحن اليوم قد عنا باب الأندلس بإستلاء العدوا الكافر عليه جملة، وانقطعت عنا حروب تلمسان ونواحيها من الجزائر بإستلاء الترك عليها" وإستغل الوضع الدولي بين (1589–1591) لتحقيق غاياته تلك، ويندرج غزو السودان في ايطار مسعى المنظور لإستكمال مشروع ضم الأقاليم الجنوبية الذي بدأه سنة 1582م بغزو منطقتي توات وتييكورارين والاستفادة مما توفره من موارد وعائدات، وأتحت له الفرصة حين قدم على فاسي سنة 1582 سفير مملكة برنو يحمل خطابا من ملكها إدريس ألوما الثالث. ينظر: زهراء النظام: **العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية ثقافية خلال القرن 10ه/16م**، ط1 منشورات دار الأمان، الرباط، 1436ه/2015م ص ص 332–333، دانييل ريفيه: **تاريخ المغربي من مولاي إدريس إلى محمد السادس**، ترجمة: المهندس أحمد ابن الصديق، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البضاء، المغرب، 2020، ص 179

[2] بهيجة الشاذلي: المرجع السابق، ص ص106–107.

وعلى الرغم من هذه الظروف التى شكلت عائقا ساهم في تراجع عملية التواصل بين المنطقتين وهو ما توقفت عنده جل الدراسات والأبحاث عند الحديث عن تدخل المنصور في سنغاي، وسقوط تنبكت وأغفلت بشكل ملفت للنظر الفترات الموالية، حتى يخيل للمرء أن علاقة المغرب بالسودان الغربي محدودة بهذا الحدث، وأن تاريخ إفريقيا قد توقف عند ذلك العصر، وهذا ما حاولت الكتابات الاستعمارية جاهدة الترويج، له، وسار على منوالها للأسف عدد من الباحثين الأفارقة. ويقتضي الحديث عن الفترات اللاحقة الرجوع بالأساس إلى المصادر المحلية[1]، إلا أنها لم تمنع استمرار حركة تنقل العلماء بين المنطقتين فقد كان لمجئ العلامة أحمد بابا التنبكتي إلى بلاد المغرب الأقصى وتحديدا سنة 1002ه/ 1594م واستقراره بمدينة مراكش إلى حين رجوعه إلى بلدته 1016ه/ 1607م إيذانا بفتح صفحة جديدة من العلاقات المتينة بين البلدان المغاربية وبلاد السودان الغربي، وخاصة في المجالات العلمية والفكرية والدينية، ولم تكن إقامة هذا العالم في المغرب الأقصى فقط من أجل طلب المزيد وإنما تعتبر بمثابة قيمة مضافة أغنت التراث المغربي الإفريقي المشترك[2]

3- نماذج لحركة العلماء المغاربة من القرن 18م إلى القرن 19م:

1-أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الغدامسي (تـ: 1118ه/1706م):

وهو الابن الثالث لشيخ عبد الله الغدامسي سنة 1063ه/1652م بغدامس، تلقى تعليمه الأول على يد والده، ثم شد الرحال بعدها لمواصلة دراسته على السودان الغربي، وفي هذا الصدد تحدث عنه صاحب مخطوطة "تذكير الناس" بقوله:"**...ودخل بلاد السودان واستقر بأقنر فأخذ من علمائها البراكة وغيرهم، منهم الشيخ الامام القدوة العلامة الولي الصالح سيدي أحمد بن الأمين البركولي الأوزاكاغي،والفقيه الحافظ الامام الرباني سيدي**

[1] نفسه، ص107.

[2] لحسن تاوشيخت: "**علماء من تنبكت في المغرب الأقصى**"، مجلة كان التاريخية، ع15، ربيع الثاني 1433ه- مارس 2012م، ص78.

والدرفر بن محمد شارح الألفية وغيرها والشيخ الامام العابد الزاهد المجتهد الورع سيدي أحمد بن صالح عرف أحمد البركولي والشيخ الامام العارف الفقيه سعيد بن أجيحة وغيرهم من علماء السودان وتنبكت..."[1].

2-علي بن أحمد محمد الرقاد (تـ:1120ه/1708م):

وهو من أعلام الزاوية الكنتية، ولد سنة 1008ه/1599م [2]،نشأ وتربي حجر والده، وارتوى من علوم مشاربه، وكانت نشأته آية وأمرا خارقا للعادة، منقطعاً للعلم منذ نعومة أظافره، حفظ القرآن الكريم وعمره 11 سنة، كانت له رحلات إلى بلاد السودان العربي مع سيدي علي ابن احنيني، حيث وصلا إلى "نياني" و"النيجر" وقاما حينها بنشر الدعوة، وتدريس أمور الدين، وبعد أن مكثا مدة من الزمن عاد الشيخ علي إلى وطنه غانمًا بغنائم كثيرة، فأخذ الشيخ منها واشترى بها البساتين والمياه التي حبسها على الزاوية للضيوف وهي إلى الآن موجودة يتوارثها أبناؤه.

ولهذا العالم الفقيه رحلة مشهورة إلى بلاد المغرب الأقصى في طلب العلم فقد نزل إلى فاس وأخذ عن كبار علمائها، ثم عاد بعدها إلى الزاوية الكنتية يحمل شهادات عالية من مشايخ "المدرسة الدلالية"، ولقد أجازه هناك الشيخان: أبو عبد الله محمد بن أحمد المنساوي الدّلائي، وأجازه أبو علي بن رحال المعداني المكناسي.

ولقد كان الشيخ علي بن محمد الرقاد قد أذن له والده بالانتقال إلى بلاد التكرور، حيث نزل بتنبكت عند البرابيش أين قام فيها بفتح مدرسة فأقبل عليه الطلبة من كل مكان، وقد كان أكثر تلاميذه من النيجر، ومن مدينة باماكو "بمالي"، وإلى جانب هذا الدور أسلم خلق كبير من الهوسا، والبمبارة وغيرهم من باقي أجناس الزنوج، كما أسلم على يده أيضا جماعة من "فلان" وكان والده قد اشترط عليه أن يبقى معهم، فمكث بتنبكت حوالي عشر

---

[1] امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص136.

[2] مبارك جعفري: العلاقات الثقافية...، المرجع السابق، ص 152.

سنوات إلى أن عاد إلى الزاوية بدعوة أبيه، وفي يوم الخميس من سؤال سنة 1128ه/1715م توفي الشيخ علي الرقاد رحمه الله.[1]

3-محمد الزاهد بن عبد الله بن أبي بكر (ت:1127ه/1715م):

ويعد الابن السابع للشيخ عبد الله بن أبي بكر بلقاسم الغدامسي، ولد سنة 1076ه/1665م بغدامس، لا يعرف عنه الكثير، سوى أنه رحل إلى تنبكت واستقر بها مدرساً وإماماً إلى أن وافته المنية هناك[2].

4-الأمين الرقادي الكنتي:(تــ: 1717م):

يلقب بذي النقاب أي صاحب اللثام[3]، يعدّ هذا الشيخ من علماء توات، تلقى تعليمه الأول بها على يد مشايخها، وانتقل يعدها نحو بلاد السودان الغربي أين حل بتنبكت، وتشير الروايات أن وفداً من حاضرة أروان جاء إلى زاوية كنتة وطلب من شيخها سي علي بن الشيخ أحمد الرقادي أن يرسل معهم مرشدا ومعلماً، فقام حينها الشيخ بتكليف الشيخ سيدي الأمين الرقادي بالذهاب معهم، فنزل عند قبيلة أولاد أحمد أقاده يدرس ويرشد حتى توفى.[4]

5-عبد الرحمان بن عبد الله بن أبي بكر (تــ:1132ه/1720م):

ويعتبر كذلك من أفراد الأسرة الغدامسية التي كانت لها صلة واسعة مع بلاد السودان الغربي خلال القرن 18م، حيث يعد هذا الشيخ الابن الثامن للشيخ عبد الله الغدامسي والذي اتجه هو الآخر نحو مدينة تنبكت واستقر بها يتولى التدريس كغيره من علماء غدامس وكان قد عرف بصلاحه وتقاه.[5]

[1] محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق، ص132

[2] امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص 137.

[3]بول مارتي: المرجع السابق، ص147.

[4]- عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص105.

[5] امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص137.

6-أحمد بن محمد بن عمر التواتي (ت:1138ه/1726م):

وهو من العلماء التواتيين الذين تنقلوا إلى بلاد السودان الغربي خلال القرن الثامن عشر، وقد قال عنه البرتلي أنه من بني علي بن عبد الله، وأنه كان أحد الأولياء العارفين منشغلاً بالأوراد من أهل التصوف، له خزائن مليئة بالكتب، كثير التأليف، توفي سنة 1138ه/1726م وقبل عام 1188ه/1774م[1].

7-أبو بكر بن الحاج عيسى أبي هريرة الغلاوي (تـ:1146ه/ 1733م):

كان رحمه الله من علماء بلاد السودان الغربي الذين زاروا توات، ولد سنة 1075م، كان الشيخ قد ذهب إلى الحج سنة 1021ه/1709م رفقة الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي وأخذ عنه الورد، وقد كان يشرب التبغ فأمره الشيخ بتركه، وكان هو من يصلي بالشيخ طيلة رحلته الحجية.[2]

8-عمر بن المصطفى الرقادي الكنتي (تـ:1157ه/1744م):

وصفته المصادر بأنه الفقيه العالم، العلامة الوجيه، الفاضل الجليل القدر الأصيل المتواضع، الأديب والشاعر، درس الشيخ على يد محمد الصالح بن المقداد، وقد كان يدرس في زاوية كنتة، تنقل إلى بلاد التكرور العديد من المرات لوجود قبيلته هناك. أخذ عنه الشيخ محمد بن أب، والفقيهان محمد بن عبد الله المؤمن، والشيخ أحمد بن حماد، وفي 10 جوان 1739م توفي الشيخ وهو في طريقه إلى الحج بفزان، بقرية يقال لها (زلة) ليلة الجمعة 23 ربيع الثاني سنة 1157ه 05 جوان 1744م من مؤلفاته "**رحلة في طلب العلم بسجلماسة وفاس**".[3]

---

[1]عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص92.

[2] البرتلي: المصدر السابق، ص75-76، سالم بوتدارة: المرجع السابق، ص 76.

[3] محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق، ص ص342 -343، مبارك جعفري: المرجع السابق، ص159.

9-أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي (تـ: 1157ه/1744م):

لقب بالتواتي لأنه كان كثير التردد عليها، أصله من التكرور، كان من كبار العلماء والصالحين، درس على يد الشيخ سيدي مصطفى الغلاوي، وأدى دوراً مهما في ربط...بين توات، وبلاد السودان العربي، وقد حج عدة مرات [1]ولقد قال عنه صاحب فتح الشكور أنه كان: "**الركب من أرضنا حتى يصل إلى توات فيكون الأمر لأبي نعامة رحمهما الله تعالى**".[2]

عرف الشيخ بكرمه وزهده وهمته حيث وصفه أحد تلاميذه بقوله:" كان رحمه الله عالماً، عاملا، فاضلاً، جوداً، شجاعا، مهابا، متواضعا، حسن الخلق، ذا معرفة وحفظ لفروع الفقه، مستحضرا لها لاسيما ما اشتمل عليه المختصر ومتأخروا شروحه مشاركا في غيره جماعة الكتب..."[3].

ولقد كان له صيت، وذكر في بلاد التكرور وقصده الناس للأخذ عنه وليس هذا فحسب فقد تاب على يده كثير من الأعراب، وظهرت على يده الكرامات من إجابة الدعاء وغيره.[4]

وفي سنة 1157ه توفي الشيخ بفزان ودفن فيها، أين كان حينها راجعا من المشرق.[5]

10-محمد بن أب المزمري (تـ:1160ه/1747م):

وهو أبو عبد الله محمد بن أب بن أحميد بن عثمان بن أبي بكر المزمري نسبة إلى زمورة من أرض البرابر، المخزومي القرشي، التواتي منشأ وموطناً، ولد في العقد الأخير من القرن الحادي عشر بآولف في قرية أولاد الحاج بلدية يتمقطن دائرة أولف ولاية أدرار.

---

[1] البرتلي: المصدر السابق، ص 48.

[2] عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص78.

[3]عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص78.

[4] نفسه، ص78-79.

[5] البرتلي: المصدر السابق، ص50.

أورد أبو القاسم بن عبد الرحمان البدرياني أن محمد المزمري قد عاش ما يزيد عن 100سنة تقريبا مما يجعل تاريخ ولادته قبل سنة 1060ه/1650م.[1]

تلقى الشيخ محمد المزمري تعليمه الأول بمسقط رأسه، ثم واصل تعليمه بعدها في زاوية كنتة وتمنطيط، ومن مشايخه محمد الصالح بن المقداد أخذ عنه الفقيه، والشيخ عمر بن محمد المصطفى الرقادي، والشيخ أحمد التوجي وغيرهم، تطلع في مختلف العلوم، وتميز في اللغة والأدب، أما عن صفاته وأخلاقه في التعليم فيقول عنه أحد تلاميذه: كان متقنا مجيدا، مفطنا، عارفا، يباحث الشراح في مجلسه بأحسن بحث، إلا أنه كان قليل الأقراء، منجورا على الطلبة، وكان رحمه الله ورعا في الفتوى لا يكاد يجيب في نازلة علم غيره ولو كان أدنى منه، وكان متقنا في الضبط فيه، ومن تلاميذه الذين أخذوا عنه العلم [2] ابنه ضيف الله.[3]

عرف الشيخ محمد بن أب المزمري بكثرة تنقلاته وهذا منذ أيامه الأولى، حيث زار بعض الحواضر العلمية بالمغرب الأقصى، واستفاد من أعلامها، ثم بعدها إلى بلاد الأزواد، ثم زار بعدها الكثير من الحواضر الواقعة ببلاد السودان الغربي خاصة مدينة تنبكت وأروان بهدف العلم وللاستزادة.[4]

توفي رحمه الله سنة 1160ه/1747م بـــ"تيميمون" من ولايته أدرار، وقبره هناك مشهور بمقبرة سيدي عثمان.[5]

---

[1] محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق، ص398.

[2] عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص 318.

[3] **ضيف الله:** وهو الشيخ العلامة ضيف الله بن محمد بن أب بن أحمد المزمري ولد سنة 1122ه- 1710م، كان قد دعى له والده منذ ولادته بقوله " اصلحه الله وجعله من حملة القرآن" فقبل الله دعاءه...ولم يكتب ذلك لأحد من أولاده، من مؤلفاته، ألغاز نحوية، توفي في أواخر القرن الثاني عشر ينظر: أحمد أبا الصافي جعفري: **الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7هـ حتى نهاية 13هـ**، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ص42، محفوظ ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق، ص ص 410-411.عبد الله كروم: المرجع السابق، ص61.

[4] محمد الزين: المرجع السابق، ص 260.

[5] محفوظ ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق، ص ص 409.

11-عبد الله بن أحمد الفلاني:(المتوفي بعد: 1161ه/1747م):

وهو عبد الله بن أحمد الفلاني ولد سنة 1113ه/1691م[1]، لما بلغ سن السابعة من عمره دخل الكتاب، وختم القرآن في سن الثامنة من عمره، ولما بلغ سن التاسعة حفظ الروايات، والآجرومية، والألفية، وعندما بلغ تحديداً الخامس عشر من عمره تمكن من حفظ خليل والرسالة وغيرها.

طلب من والده التوجه نحو توات لطلب العلم، حيث نزل بـ"زاجلو" ودرس عند علمائها، ثم توجه إلى تيمي أين درس على يد أبي زيد بن الرحمان بن عمر، ثم رحل الشيخ عبد الله الفلاني إلى الحج حيث انطلق برحلته من توات ومنها إلى عين صالح، ثم فزان ثم القاهرة ومنها إلى مكة المكرمة.

وفي سنة 1161ه/1748م توفي الشيخ وهي نفس السنة التي كان قد طلب من شيوخه الإجازة فأجازوه.

12-محمد بن عبد الرحمان القبلاوي (ت: 1163ه / 1749م):

وهو سيدي محمد بن عبد الله الرحمان الملقب بأبي نعامة القبلاوي، المعروف بشيخ الركب، ولد سنة 1060ه- 1650م بسجلماسة، كان من الأولياء الصالحين المتقين الناسكين، أسس زاوية ب"أقبلي" وهي الزاوية المعروفة بزاوية الشيخ أبي النعامة، واختط بها المسجد الجامع، وخلف خزانة علمية بزاويته المذكورة وهي تزال إلى الآن موجودة بيد أحفاده هذا وقد كان الشيخ هو أول من هيأ المراكب للحج، وأحيا سنة الوقوف إليه في توات والتكرور بعد أن اندثرت سنين كثيرة وكانت زاويته محل انطلاق الحجي.[2] توفي بزاويته بـ "أقبلي" وقبره بها، وذلك بتاريخ 19رمضان 1163ه/ 22 أوت 1750م.[3]

---

[1] محفوظ ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق، ص 263.

[2] محفوظ ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق: ص264.

[3] عبد الله المقلاني ومبارك جعفري: المرجع السابق ص 339.

13-أبو أنوار بن عبد الكريم التنيلاني (ت: 1168ه/ 1755م): [1]

وهو الشيخ سيدي ابي الأنوار بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التنلاني ولد بقصر تينيلان، درس على يد الشيخ محمد والشيخ علي بن حنيني، ثم رحل نحو بلاد التكرور، حيث أقام مدة طويلة اشتغل أثناءها بالتدريس والافتاء[2]، وإليه يعود الفصل في تأسيس حاضرة المبروك بشمال الأزواد سنة 1125ه- 1713م وذلك رفقة شيوخ كنته بالأزواد كالسيد الحاج أحمد بن أبي بكر، والسيد المحجوبي.[3]

ولقد أدى نفس الدور ولدُ ابنته الشيخ مولاي هيبة مولاي محمد (ت1238ه-1822م) الذي رحل نحو بلاد التكرور اين زار منطقة والن وأقام بها مسجدا وقصبة كان يقصدها التجار وعابري السبيل من مختلف المناطق بوصفها منطقة التقاء تجاري بين الأزواد إلى توات قام بشراء العديد من الكتب والمخطوطات بغرض اثراء مكتبته بالرواية الأم في يتدكلت.[4]

14-عبد الرحمان بن عمر التنلاني (ت 1189ه/ 1765م): [5]

يكنى بأبي زيد، وهو من أشهر علماء توات خلال القرن 12ه، ولد سنة 1121ه-1709م بتنلان من عائلة اشتهر أهلها بالعلم والمعرفة، كان الشيخ قد تلقى تعليمه الاول بمسقط رأسه، حيث دخل الكتاب في سن مبكؤة فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني وذلك عقب رجوعه من مدينة فاس التي كان يعمل بها مدرسا سنة 1129ه/1717م[6]. ومن أجل تحصيل العلم ولطلبه شد الرحال من تنلان إلى

---

[1] عبد الله مقلاتي ورحوم محفوظ: المرجع السابق، ص 141.

[2] أحمد أبا الصافي جعفري: **الحركة الأدبية...**، المرجع السابق، ص 32.

[3] محمد الصالح حوثية: **توات والأزواد**، دار الكتاب العربي، الجزائر ،2007،ج1، ص 238.

[4] مبارك جعفري: العلاقات الثقافية...، المرجع السابق، ص 259.

[5] نفسه: ص 256.

[6] عبد الرحمان بعثمان: "**صورة التواصل العلمي بين توات والمجالين المغاربي والسوداني من خلال مخطوط فهرسته عبد الرحمان بن عمر التنلاني التواتي المتوفي 1169ه**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع8، جامعة بن بلة، وهران1، ص204.

جنتور عند شيخه أبي زيد عبد الرحمان الجنتوري[1] أين مكث بها أربعة أشهر، ثم عاد بعدها إلى تنلان ومنها رحل إلى بلاد التكرور وطاف بمدنها[2] وأغلب الظن أنها كانت في منتصف القرن الثاني عشر دامت شهر كاملاً، ولقد وصف لنا هذا الأخير جزءاً منها في فهرسته، حيث يذكر أنه زار اثناءها عدة مناطق منها، تاودني والتي أقام بها مدة عند عشيرة الكنتي، ثم تنقل بعدها لمدينة أروان، ولقي بها المشايخ من بينهم الشيخ أبو العباس أحمد بن صالح السوفني التكروري وكان قد أثنى عليه وبين مدى اجتهاده وحرصه في تحصيل العلم والمعرفة قائلا بأنه كان عالما ملازماَ للتدريس أغلب أوقاته وذلك لكثرة طلبته، وقد كان الشيخ قد قرأ عليه "الخررجية" في علم العروض ويصف لنا التنلاني طريقته في التدريس فيقول: "أنه كان يستمر في تعليم الطلبة طول النهار ولا يعود لمنزله إلا بعد العشاء بساعات، وكان يدرس بأربع لغات وهي العربية الدارجة ولغة الخوارق، ولغة التكرورية.

ومن أروان اتجه الشيخ نحو قرية المبروك، غير أنه لم يلبث فيها مدة طويلة حتى عاد لمدينة أروان ثانية ليعود منها إلى توات[3]، وفي ليلة الأحد الأخيرة من صفر سنة

---

[1] **عبد الرحمان الجنتوري:** وهو عبد الرحمان بن أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الرحمان بن محمد بن علي الأنصاري، ولد بين سنتي 1189ه/1699م بقصر اجنتور من عائلة اشتهرت بالعلم والمعرفة ،كان رحمه الله عالما فقيهاً، أحد المجتهدين في عصره من أعيان العلماء ومشاهيؤ الفضلاء انتفع به خلق كثير، كان الشيخ قد تلقى تعليمه الأول على يد والده الشيخ أبو إسحاق بن عبد الرحمان، حيث حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ،ثم رحل إلى تنلان طالباً للعلم أين التقى حينها بالشيخ أبي حفص عمر بن عبد القادر التنلاني وأقام عنده نحو سنة ونصف وأخذ عنه خلالها دروسا في مختصر خليل وجمع الجوامع، وأجازه الكثير من أهل العلم وأسانيده موصولة ببعض أصحاب المصنفات والمثون، وإن أهم وقفاته العلمية في حياته أنه يعد أول من ألف في النوازل بالقطر التواتي، وهذا وقد كان الشيخ قد انتهت إليه الرياسة في العلم بالديار التواتية، وناب في الحكم بسيرة حميدة وعفة ونزاهة وكان جامعا للعلوم الشرعية والعقلية واللغوية.ينظر: محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق ،ص 453–456، أحمد بوسعيد: **الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12ه /18م**، مذكرة ماجستير في التاريخ.إشراف: محمد حوتية، جامعة أدرار، 2011/2012م، أحمد أبا الصافي جعفري: الحركة الأدبية...، المرجع السابق، ص 47.

[2] أحمد بوسعيد: المرجع السابق، ص137.

[3] مبارك جعفري: المرجع السابق، ص ص256–257.

1189ه/1775م توفي الشيخ وعمره نيف وسبعون سنة بمصر وذلك عندما كان قافلاً من أداء فريضة الحج، وقد دفن بالقراعة الصغرى نواحي القاهرة وقبره قريبا من قبر الشيخ عبد الله المنوفي.[1]

15-الطالب سيدي أحمد التواتي بن محمد (ت:1188ه/1774):[2]

وهو الطالب سيدي أحمد التواتي بن محمد بن عمر اشتهر بالثواني، كان رحمه الله صالحا متعبدا مواضبًا على العبادات معمر الأوقات، مداوما على الأوراد، يعد من الشخصيات العلمية بتوات الذين انتقلوا إلى بلاد السودان الغربي لنشر الإسلام واللغة العربية، توفي رحمه الله عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف هجرية.[3]

16-أبو عبد الله الفلاني (ت:1194ه/1780م):

وهو الشيخ سيدي عبد الله بن أحمد الفلاني، ولد سنة 113ه بتدكلت، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة[4]. ثم رحل من بلاد التكرور إلى تنلان بتوات لطلب العلم، واستقر بها، ودرس على يد الشيخ عبد الرحمان حيث مكث بها شهرين وست ليالي، وأجازه سيدي الشيخ عبد الله الفلاني[5] قد كتب رحلة إلى الديار والتواتية صور فيها بعضها من الأجواء الثقافية والاقتصادية السائدة في توات توفي بمسقط رأسه بتدكلت وذلك سنة أربعة وتسعون مائة وألف هجرية.[6]

---

[1] محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق، ص 181.

[2] محمد الزين: المرجع السابق، ص 260.

[3] البرتلي: المصدر السابق، ص 43.

[4] أبا الصافي أحمد جعفري: الحركة الأدبية...، المرجع السابق، ج1، ص 52.

[5] سالم بوتدارة: المرجع السابق، ص 76.

[6] عبد الله المقلاني، مبارك جعفري: المرجع السابق، ص 67، أبا الصافي أحمد جعفري: الحركة الأدبية...، المرجع السابق، ص52.

17-علي بن أحمد بن علي بن أحمد الرقادي (تــ:1194ه/1780م):

من علماء القرن الثامن عشر التواتيين الذين شدوا الرحال نحو حواضر بلاد السودان الغربي، قال عنه صاحب فتح الشكور أنه كان من الصالحين وأهل العلم، صاحب نفح وبركة، ولفتكان رحمه الله كثير التنقل بين زاوية أجداده في توات وبلاد السودان الغربي، هذا وقد تأثر به عدد كبير من التكروريين.[1]

18-محمد بن المبروك البداوي (تــ:1198ه/1784م): [2]

وهو ابن سيدي أحمد عبد الله بن محمد دين الله بن علي بن راشد بن موسى بن علي بن إسماعيل بن إدريس بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو من علماء توات الذين رحلوا إلى بلاد التكرور، أخذ عن الشيخ أمحمد الونقالي، وكذلك عن الشيخ سيدي عمر بن عبد القادر التنلاني.[3]

19-محمد الأداوعلي (تــ:1198ه/1784م): [4]

ويعد من علماء بلاد السودان الغربي الذين قدموا لتوات واستقروا بها، ينسب الشيخ الأداوعلي لقبيلة " ادوعل" [5] الشنقيطية، تلقى الشيخ تعليمه الأول ببلاد شنقيط مسقط رأسه، ثم نزل بعدها بزاوية الركب النبوي بأقبلي أين استقبله هناك شيخها أبو نعامة وطلب منه البقاء معه غير أن الشيخ محمد الأدواعلي فضل الانتقال لتوات تحديدا لتمنطيط عند الشيخ

---

[1] البرتلي: المصدر السابق، ص200، مبارك جعفري: العلاقات الثقافية...، المرجع السابق، ص261.

[2] نفسه ص261

[3] أبا الصافي أحمد جعفري: الحركة الأدبية...، المرجع السابق، ص ص64 -65.

[4] عبد الله المقلاني ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص 263

[5] **ادوغل:** وتعد من اول القبائل التي أسست مدينة شنقيط وعمرتها إلى جانب شريكتها قبيلة الأغلال، هذه والأخيرة التي كانت معها في صراع انتهى بانتقال البعض منهم إلى هضبة تكالت التي اسسوا فيها قرية تجكجة سنة 1070 ه/1660م، وبقيت فروع ادوعلي اخرى في شنقيط وقسم كان قد انتقل إلى بلاد التوازرة إلى جنوب الغربي، ومن هذه القبيلة انتقل إلى توات الشيخ محمد الاودعلي في القرن 12ه، ينظر: محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار الوافي: "**الرسالة الغلاوية**"، تحقيق: حماه الله ولد سالم، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007،ص176، بوندارة: المرجع السابق، ص 83.

البكري بن عبد الكريم، هذا الأخير الذي استقبله وبقي عنده دراسا ومدرسا، فذاع صيته في توات، وطلبه عدد من أعيان القصور، فاختار قصر أعياني بفنوغيل، استقر هناك وبنى زاوية ومدرسة قرآنية، وفي نهاية عمره شده الحنين لبلاده حيث انتقل إلى تنبكت، وبها توفي في أواخر القرن الثاني عشر وصلى عليه جمع غفير وفي مقدمتهم الشيخ سيدي محمد بن مبروك البداوي المتوفى سنة 1198ه.[1]

20-مولاي زيدان بن محمد بن مولاي بن أحمد بن سيدي حم (ت: 1202ه/ 1788م):

يتصل نسبه بسيدي حم المعروف بابن الحاج [2]، قال عنه صاحب فتح الشكور أنه كان نجيبا من النجباء، وتقيا من الأتقياء، مشهورا بالفضل والصلاح، وحسن الخلق والسخاء، له كرامات كثيرة تتلمذ على يد شيخه مولاي عبد المالك الرقاني[3]،وكان من ينقل أو راده وطريقته إلى بلاد التكرور، حيث زار التكرور اربع مرات حسب ما ذكره البرتلي في ترجمته له، ولقد كان رسوله الشيخ مولاي عبد المالك الرقاني لتلك المناطق، وعمل على نشر طريقته هناك، ومن الأماكن التي حل بها هي ولاته، أين كان حينها يقصده الناس صباحا ومساءا لتبرك به والانتفاع به، ولقد قال عنه البرتلي أيضا انه أثر في الناس أيما تأثير، واعطى قدرة في الكلام، فلا يناظره أحد أفحمه وقد قصده في سبعين حاجة بين الدنيا والآخرة، فقضى الله له جميع حوائج الدنيا، وهو يرجوه قضاء حوائج الآخرة.[4]

---

[1] مبارك جعفري: العلاقات الثقافية...، المرجع السابق، ص ص262-263. أبا الصافي أحمد جعفري: الحركة الأدبية...، المرجع السابق، ص57.

[2] عبد الله المقلاني ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص158.

[3] **مولاي عبد الرقاني:** وهو عبد المالك بن عبد الله بن علي الرقاني ولد سنة 1138ه /1725م كان كبير القدر ووافر الحرمة، وله وكرامات وعجائب كان صالحا متعبدا، اخذ عن والده عبد الله الأوراد، والطريقة بلغ الشيخ رتبة لم يزاحم عليها، عظم صيته في البلاد، واشتهر ف..... فيها وسار في الأقاليم ذكره بالحملة فهو في الصلاح والولاية فوق ما يذكر وتجليته في التحقيق أعلى مما يشتهر ذو كد واجتهاد ولزوم اذكار وادعية وأوراد، ينظر: محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق، ص371.

[4] مبارك جعفري: العلاقات الثقافية...، المرجع السابق، ص259، البرتلي: المصدر السابق، ص200

21-محمد بن أمحمد بن حميد المعروف بمفتي الأنام الانصاري الزجلاوي (ت:1212ه/ 1797م):

وهو من آل سيدي علي حنيني الانصاري نسبا التواتي منشأ ودارا، عاش في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر ولد ب" راحلو" أين قرأ بها اولا، ثم انتقل بعدها إلى تنلان ليتم دراسته على يد الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني.[1]

كان رحمه الله مدرسة يقصدها كل من يطلب العلم، حيث كان يدرس التلاميذ الذين يتوافدون عليه من كل صوب وفج يلقنهم مختلف العلوم مت التوحيد والفقه والنحو والفلك وغيرها وكان مشهورا بفتواه المحققة وحنكته العظيمة.

نبغ الشيخ في علوم كثيرة، وتصدر للتدريس، وكان من الأربعة الذين اعتمدهم القاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكري في مجلس شوراه[2]. تنقل إلى بلاد التكرور معلما ومفتيا، وبعد عودته توفي بمسقط رأسه.[3]

22-احمد بن عبد الله (ت: ق 13ه/ 19م):

وهو احمد بن عبد الله اشتهر بالشريف مولاي الأخضر، ويعد من علماء توات الذين انتقلوا إلى بلاد السودان الغربي حيث حل بتنبكت واستقر بها، وأخذ يدرس التيجانية، ومن تلاميذه الشيخ حمى الله مؤسس الطريقة الحمالية التاجنية.[4]

23-الحاج بن محمد مصطفى (كان حيا خلال النصف الثاني من القرن 18م):

وهو من علماء الأسرة الرقادية، لم تذكر المصادر التاريخية تاريخ ميلاده ووفاته، غير انه ولد بزاوية كنته وبها نشأ وتعلم، انتقل إلى بلاد السودان الغربي لنشر العلم

[1] محفوظ بن ساعد بوكراع السّطيفي: المرجع السابق، ص ص 205-206.

[2] نفسه: ص ص209-210.

[3] أبا الصافي حمد جعفري: الحركة الأدبية...، المرجع السابق، ص 58.

[4] عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص 87.

والطريقة الكنتية حيث نزل بأرض التكرور وذلك سنة 1203ه ولم يعد إلى توات استقر بها مدرسا واماما إلى أن وافته المنية.[1]

– يتضح لنا من خلال ما تم عرضه دائما في حدود ما توصلنا إليه بأن الحركة العلمية التي ربطت بين المنطقتين وذلك من بداية القرن الثامن عشر،وحتي القرن التاسع عشر الميلادي كانت مزدهرة وبشكل بارز مقارنة بالقرنيين السابقين، فلا تزال عشرات المخطوطات حبيسة في الخزائن والرفوف شاهدة على ذلك، وإن أهم ما جذب انتباهنا أن الحركة العلمية خلال هذه الفترة لم تعد تقصر فقط على توافد العلماء المغاربة نحو مختلف الحواضر المغربية، بل لاحظنا أيضا توافد عدد كبير من علماء وطلبة العلم من حواضر بلاد السودان الغربي نحو حواضر البلدان المغاربية[2]، لا سيما "توات" هذه الأخيرة التي كانت تشهد حينها نهضة علمية وثقافية باعتبارها تمثل مركزا علميا وحضاريا ذا أبعاد ثقافية – فقد عرفت المراكز التواتية نشاطا علميا كبيرا وأصبحت مقصدا للعلماء وطلبة العلم من كل مكان وصوب ومنها " **مركز تنلان**"[3] الذي كان بمثابة حاضرة علمية لها ثقل ديني وثقافي في عموم البلاد التواتية، ونتيجة للمستوى العلمي الرفيع الذي بلغه شيوخ حاضرة توات خلال هذه الفترة فقد حل بتنلان طلبة العلم وغيرهم لأخذ الإجازة من علمائها منهم عبد الرحمان بن عمر التنلاني التواتي.

---

[1] عبد الله مقلاتي ومبارك جعفري: المرجع السابق، ص 144.

[2] مبارك جعفري: العقات الثقافية...، المرجع السابق، ص 279.

[3] **تنلان**: وتقع شمال مدينة أدرار، تبعد عن مقر الولاية ب 2كلم، وتشير الوثائق التاريخية التواتية أن تنلان القديمة ليست هي تنلان المعروفة حاليا، فبالنسبة لتنلان القديمة كانت موجودة في القرن 6ه/627م وقد نزل بها مولاي سيلمان بن علي، وكانت تضم عدة قبائل وهي الآن مندثرة باستثناء بعض الأطلال الشاهدة على ذلك أن تنلان المعروفة الآن فقد تأسست سنة 1078ه/1667م بعد أن رحل إليها مؤسسها أحمد بن يوسف، ولم تتبوأ تنلان المركز العلمي إلا مع منتصف القرن 11ه، وتحديدا سنة 1158ه/1745م بعد أن أسس بها الشيخ أحمد بن يوسف زاويته وسماها " رزق الله الواسع والنور الساطع" ويرجع الفضل في سطوع نجم تنلان في القرن 11ه إلى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف، ينظر: محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: المرجع السابق، ص147.

ومن بين المراكز التواتية الأخرى " **مركز زاوية الرقاديين**" ويعد هو الأخر مركزا علميا نشطا بفضل جهود شيخه عمر الرقادي، والبرنامج الذي أعده لطلبته، والمصنفات التي كان الشيخ يدير بها دروسه[1] وإلى جانب حاضرة توات التي شكلت مركزا علميا وحضاريا خلال هذه الفترة كانت حاضرة فاس بالمغرب الأقصى هي الأخرى لها صلات فكرية وثقافية مع حواضر السودان الغربي، وبحكم العلاقات التي ربطت بينها انتقلت إلى البلدان المغاربية مؤلفات علماء السودان الغربي والعكس صحيح، ومن مظاهر الجاذبية أيضا أن مجموعة من العلماء المغاربة لم يجدوا غصاصة في الاستقرار بأهم الحواضر السودانية وخاصة تنبكت التي حظيت بمكانة خاصة بين المدن الكبرى بالمنطقة، ولقد كان أهل السودان الغربي بدورهم يتوافدون على فاس لقضاء مآربهم كتجار وفقهاء وعلماء وغيرهم[2].

ومن المراكز الحضارية المغاربية التي لعبت هي الأخرى دورا رئيسيا في ربطها علاقات ثقافية مع حواضر بلاد السودان الغربي خلال هذه الفترة وهي مدينة غدامس[3]، وتشير الكتابات التاريخية أن الغدامسية هي أول مدينة تعاملت مع السودان الغربي بصفة عامة ومن ثم فهم الأوائل الذين تعاملوا مع مملكة مالي الإسلامية لا سيما في الجانب التجاري أما بالنسبة للجانب الثقافي فيذكر أنه مع نهاية القرن السابع عشر وطيلة القرن

---

[1]عبد الرحمان بعثمان: صورة التواصل...، المرجع السابق، ص ص 213- 214.

[2] الحسين عماري: "فاس حلقة للتفاعل الحضاري بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث وبداية المعاصر"، مجلة كان التاريخية، ع 17، سبتمبر2012م، ص ص 108-109.

[3] **غدامس:** مدينة عريقة تقع إلى الجنوب الغربي من طرابلس وللمدينة تاريخ حضاري عريق، قال عنها صاحب الاستبصار " مدينة لطيفة قديمة أزلية "، وذكرها الحسن الوزان بأنها " منطقة كبيرة مسكونة بها قصور وقرى مأهول بالسكان، وأهلها أغنياء لهم بساتين وأموال كثيرة" نظرا لأنهم يتاجرون مع بلاد السودان والمدينة شهدت حركة علمية نشطة، فقد برز فيها مهندسون أمثال عبدالله الكومي الغدامسي، وفياض مدينة لغدامسي في عهد مالي وسنغاي وابن جابر، وكان كل عالم من علمائها مكتبة متحركة في طياتها نفائس المعرفة، اشتهرت غدامس بصناعة الجلد، وكان يصدر إلى إفريقيا وأوروبا، ينظر: محمد محمود الأرواني: المصدر السابق، ص 38، الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 146، مجهول: (كان حيا أواخر القرن 6ه/12م): **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م، ص 145.

الثامن عشر شهدت غدامس حركة علمية نشطة، حيث برزت شخصية غدامسية أدت دورا هاما في الحياة الثقافية والفكرية في بلاد السودان الغربي، حيث كان هؤلاء قد شدوا الرحال نحو مختلف حواضر المنطقة فخدموا العلم ونشروه في المناطق التي دخلوها عبر الطرق التجارية المرتبطة بغدامس وغيرها من المناطق الأخرى.

والجدير بالذكر أن مدينة غدامس قد حظيت بمكانة كبيرة باعتبارها مركزا علميا وحضاريا ذا أبعاد ثقافية، ولقد ساعدها على ذلك جملة من العوامل منها: موقع المدينة في منتصف الطريق بين شاطئ البحر المتوسط، ووسط إفريقيا، والذي أدى إلى جعل مدينة غدامس حلقة وصل بين شعوب البحر المتوسط، وشعب إفريقيا منها أهالي بلاد السودان الغربي الأمر الذي ترتب عنه إقامات علاقات وطيدة في مختلف المجالات، وعبر مختلف المراحل التاريخية[1].

إن مما تجدر الإشارة إليه أن عملية التواصل الحضاري بين المنطقتين لم تستمر بنفس الوتيرة خلال الفترة التي تلت هذا القرن، حيث لم تعد مزدهرة كسابقها، ولوجود عدة عراقيل وقفت حاجزا يحول بينهما، وهو ما أدي إلى عدم تطورها إلى مستويات أفضل، ولم تكن الصحراء لصعوبة مسالكها، وانعدام الأمن والاستقرار بها خلال هذه الفترة وحدها التي شكلت حاجزا أمام هذا التواصل، بل أن الخطر الأكبر تمثل في الاستعمار الأوروبي هذا الأخير الذي وضع حدا لعمليات التواصل بين البلدان المغاربية والسودانية.[2]

4- أشهر الأسر التجارية المغاربية التي استقرت بالمنطقة ونشاطها:

من الطبيعي أن يكون تواجد التجار المغاربة ببلاد السودان الغربي كثيفا نظرا للعلاقات التجارية والروحية التي ربطت بين المنطقتين منذ فترة طويلة، فقد أَنْبَتَتْ الجالية

[1] إصلاح محمد البخاري حمودة: المرجع السابق، ص ص 189-190.

[2] عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص 195.

المغاربية بالمنطقة إلى جانب الجاليات الأخرى، وخاصة المصرية منها، وأدت دورا كبيرا في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والروحي للسودان الغربي.

ومن هذه الأسر **عائلة آل المقري**[1] الذي كان تاجرا أو مالكا لإحدى المحطات التجارية وله أربعة إخوة تجار: اثنين في تلمسان والآخرين في مدينة ولاتة[2]، وفي هذا الصدد يذكر البكري أنابا بكر أحمد ابن خلوف الفاسي استقر بغانة، ونعلم أن أخوي المقري (عبد الواحد وعلي) كانا يمثلان شركتهما العائلية بولاتة، يذكر العمري أيضا أن أبا عثمان سعيد الدكالي "**سكن مدينة بيتي (عاصمة امبراطورية مالي) خمسا وثلاثين سنة**".

أما ابن بطوطة فبالإضافة إلى كلامه عن المغاربة او عن البيضان وعن التجار بصفة الجمع، فإنه يذكر أسماء عدد من التجار المقيمين في مختلف مدن السودان الغربي، إلا أن تلك الأسماء لا تترجم في الواقع إلا جزئيا حقيقة الوجود التجاري المغاربي بالمنطقة وكثافة هذا الوجود.[3]

أما عن نشاط هذه الأسرة فيتمثل في تأسيسها للوكالة التجارية والتي تعود إلى فترة سابقة وذلك خلال القرن (7ه/13م) عندما استقر آل المقري بتلمسان حينما شهدت هذه الأخيرة حركة تجارية كبيرة، وكذا تنظيم وتناسق تجاري محكم، حتى أنها أصبحت حافلة بعدد كبير من التجار الذين شكلوا مقومات السوق من دكاكين ومحلات، وكنتيجة لهذا الازدهار وفي كنف هذه الظروف تأسست الوكالة التجارية الخاصة بآل المقري المتكونة

---

[1]**المقري:** وهو محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يحي بنعبد الرحمان بن أبي بكر بن علي القرشي المقري التلمساني، ويطلق عليه اسم أبو عبد الله، يرجح نسبه إلى قبيلة قريش العربية التي تقع بشبه الجزيرة العربية والتي ميزها الله تعالى بإخراج رسوله صلى الله عليه وسلم من صلبها ولقد صرح بهذا النسب مجموعة من المؤرخين والنسابين أما عن تسمية بالمقري فيرجع ذلك إلى قرية من القرى الزاب بإفريقية تسمى "مقرة" وفيما يخص التلمساني فإن مسقط رأسه كان بمدينة تلمسان. ينظر: فاقة بكوش: "**أبو عبد الله محمد المقري التلمساني- السيرة والإنتاج الفكري**"، مجلة كان التاريخية، ع33، سبتمبر 2017، ص121.

[2]الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية...، المرجع السابق، ص138.

[3]**محمد الشريف:** المرجع السابق، ص ص196 وما بعدها.

من خمسة إخوة كما أشرنا إلى ذلك من قبل[1]حيث أنشأوا لها ثلاثة وكلات متواجدة في كل من تلمسان وولاته وسجلماسة اضافة إلى أنهم قد أوكلوا لكل واحد منهم مهنة تختص في اتجاه جلب السلع التي ستتوجه في نهاية المطاف نحو السودان الغربي، فالمقيم بسجلماسة كانت مهمته إبرام الصفقات التجارية، واستقبال السلع الواردة من كل بلاد المغرب الإسلامي وأوروبا والتي قد أرسلت إليه من طرف شركاته في كل من تلمسان وهو بدوره يقوم بتوجيهها نحو ولاته، أي تقوم باقي الشركات بتجميع جميع المنتوجات والسلع السودانية من رقيق وذهب وعاج وغيرها من السلع التجارية وإرسالها نحو سجلماسة ليتم تسويقها فيما بعد باتجاه أوروبا عن طريق بلاد المغرب[2]، والجدير بالذكر أن هذه العملية تتم بشكل مستمر طيلة السنة متخذة القوافل التجارية أهم وسيلة نقل لذلك[3].

مما يلاحظ من خلال هذا التنظيم المحكم لمثل هذه الوكالة وعلى الأرجح أنها قد حققت نجاحًا تجاريًا كان حصيلة جني ثروة هائلة من الأموال وهو ما أشادت به بعض المراجع التاريخية رغم ندرة المعطيات التاريخية وسكوت المصادر التاريخية عن كمية المال التي من شأنها أن تجنيه هذه الشركة لمدة سنة مما يسمح لنا بتقديم تحليل دقيق لهكذامعلومات وإبراز مدى حقيقتها، وعلى كلٍ فيبدو أن شركة "آل المقري" قد حققت ثروة كبيرة مكنتهم من تسهيل الطرق وتأمينها إلى جانب أنها مكنت الشركاء من خلق علاقات ودية مع الحكام والملوك في المناطق التي قد وصلت إليها قوافلهم، والدليل على ذلك ما يشير إليه صاحب كتاب نفح الطيب بقوله: "**... ثم اتصل بملهم فأكرم مثواه ومكنه من التجارة بجميع بلاده وخاطبه بالصديق الأحب... ثم صار يكاتب من تلمسان ليستعصي منهم مآربه، فيخاطب بمثل ذلك المخاطبة وعندي من كتبه وكتب ملوك المغرب ما ينبئ**

---

[1]- هوارية بكاري: "**شركة آل المقري التجارية ودورها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي**"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة بكر بلقايد، تلمسان، ع4، ص 169.

[2]- امطير غيث: التأثير العربي... المرجع السابق، ص 154.

[3]- الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية...، المرجع السابق، ص 138.

عن ذلك... فلما استوثقوا من ملوك تذللت لهم الأرض للسلوك، فخرجت أموالهم عن الحد، وكانت تفوق الحصر والعدد..."[1].

---

[1]- هوارية بكاري: المرجع السابق، 171.

الفصل الثالث:

العلمـــــاء المغاربة وأثرهم في الجانب الديني والثقافي في بلاد السودان الغربي

أولا: دورهم في الجانب الديني

ثانيا: إسهاماتهم في الجانب الثقافي والعلمي

كان للعلماء المغاربة دورٌ حضاريٌ في بلاد السودان الغربي لاسيما في المجالين الديني والثقافي والمتمثل أساسا في نشرهم للإسلام واللغة العربية، وفي هذه الإطلالة نقف على نماذج من هذه الأدوار التي ساهم بها هؤلاء العلماء في المنطقة[1].

اولا: دورهم في الجانب الديني:

1- نشر الإسلام بين صفوف الطبقات الشعبية:

لم يتوقف نشاط الدعوة إلى الإسلام على الدعاة فقط، بلى أيضا على بعض الذين اقترن وجودهم بالسودان الغربي بعملهم كالتجار- هؤلاء اللذين يرجع لهم الفضل في نشر الإسلام في المنطقة بعد فضل الله سبحانه وتعإلى – والعلماء، وطلاب العلم، أو القادمين من الحج، وبقية العناصر المغاربية الأخرى الوافدة على المنطقة، كلهم دعاة للإسلام يوصلون تعاليمهم إلى أي فرد يلتقون به، وفي هذا الصدد يقول التنبكتي: "إنّ أهل السودان أسلموا طوعًا بلا استلاء أحد عليهم، كأهل كانوا، وكنتي، وبرنو، وسنغاي، ما سمعنا قط أنَّ أحداً استولى عليهم قبل إسلامهم..."، وهكذا كان دخول شعوب بلاد السودان الغربي في الإسلام سلميا انسجامًا مع طبيعة الدين البسيطة القائمة على الفطرة فهو سهل لا تعقيد في مبادئه[2]، وفي ذلك يقول سير – توماس.و.أرنولد. نقلا عن الكاتب المسيحي هوبير ديشان: "**إنَّ انتشار دعوة الإسلام بإفريقية لم تقم على القسر وإنما قامت على الإقناع الذي كان يقوم بها عادة متفرقون لا يملكون حولا ولا طولا إلا إيمانهم العميق بدينهم، وكثيرًا ما انتشر الإسلام السلمي البطيء من قوم إلى قوم فكان إذا اعتنقه الأرستقراطية– وهي هدف الدعاة الأول – تبعتها بقية القبيلة، وقد يسر انتشار الإسلام**

[1] ـ مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص 337.

[2]– بشار أكرم الملاح: **التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي من القرن 5-9ه / 11-15م**، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2012م، ص 143.

أمر آخر هو أنه دين فطرة بطبيعته سهل التناول، لا لبس ولا تعقيد في مبادئه، سهل التكيف والتطبيق في مختلف الظروف..."[1].

نستخلص من هذه الشهادة العلمية أنَّ انتشار الدعوة الإسلامية بغرب إفريقيا عمومًا قد تمت بطرق وأساليب سلمية.

وإضافة إلى الطرق السلمية التي انتشر بها الإسلام والتي شكل فيها العلماء والدعاة أحدُ أهم هذه الوسائل، فقد كان لحركة العلماء المغاربة في تنقلاتهم بين مختلف المراكز العلمية، وأثناء رحلاتهم إلى الحج يحتكون بأهالي السودان الغربي، فيؤثرون فيهم بسلوكهم الشخصي وأمانتهم، وكثيرًا ما انتهى هذا الاحتكاك بدخول الكثير من شعوب المنطقة في الإسلام[2].

1-1- مكانة العلماء:

احتلّ العلماء والفقهاء المغاربة مكانة رفيعة في مجتمع السودان الغربي، فمنذ عهد مملكة غانة كان هؤلاء يحضون باحترام العامة والخاصة ولاسيما الملوك، وقد كان من مظاهر احترام ملك غانة للعلماء والفقهاء أن جعل لهم مسجدًا بجوار قصره ليصلي فيه من يفد عليه من المسلمين، وفي هذا العهد المرابطي زاد نفوذ هذه الطبقة باعتبارها قد شكلت شريحة اجتماعية ذات سند ديني وثقافي هائل، وكان لسمو مكانتهم انعكاس يؤكد وضعهم الاجتماعي، فأثروا في مختلف طبقات مجتمع السودان الغربي، مما ساعدهم على ذلك التكريم والتقدير اللذين حظي بهما من طرف الحكام المرابطين، ولما انتقل الحكم في المنطقة من المرابطين إلى حكم سلاطين مملكة مالي الإسلامية[3] تمتع العلماء بمكانة

---

[1]- محمد عباس عبد الرحمان المغني: "**الحركة التجارية في الإسلام، ودورها في نشر الدعوة الإسلامية) قارة إفريقيا نموذجًا)**"، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، 1433ه / 2012م،ص 449.

[2]- بشار أكرم الملاح، المرجع السابق، ص 134.

[3]- عبلة محمد سلطان لطيف: "**العناصر المغربية في السودان الغربي**"، دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنغي، ط1، الأفريقية الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م، ص 188.

اجتماعية سامية لدى ملوكها حتى في العهد الوثني تدلنا قصة إسلام أول ملوكها – المسلماني[1]–علي ذلك في تلك الفترة[2].

ولقد شهدت مملكة مالي الإسلامية وصول عدد من العلماء إلى مدنها من مختلف أنحاء البلدان المغربية وهذا يدل على احترام هؤلاء الملوك للعلماء فقد جعلوهم من الطبقات الاجتماعية الراقية وفي ذلك يقول العمري على سلطان مالي منسا سليمان: "**وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب مالك رضي الله عنه... وتفقه في الدين**"[3].

وفي عهده أيضا زار ابن بطوطة بلاد السودان الغربي وذلك أنّ عاصمة مالي الإسلامية كانت تضم حيًّا خاصًا بالبيض جلهم من العلماء، كما كان بها عدد كبير من علماء السودان الغربي[4].

ولقد كان ملوك مالي لشدة احترامهم وتقديرهم للعلماء يتواضعون لهم، ولا يسمحون لأحد لبس الطيسان في غير أيام العيد إلا للعلماء[5]. وفي عهد سنغاي كذلك حظي العلماء

---

[1]– لقد كانت هذه القصة التي انفرد بها البكري (ق 11م) في كتابه المسالك الممالك بذكره دون باقي المصادر العربية المتداولة قد وجدنا صداها أيضًا في كتاب السيرة لصاحبه الشماخي (ت 528ه / 1522م) هذا الأخير الذي نقل الحدث عن الشيخ الأباضي الشهير بأبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف المزاتي (أو المزابي) (ق 7ه – 13م) صاحب كتاب طبقات المشايخ، حيث يفيد النص أنّ إسلام ملك مالي كان على يد علي بن يخلف امزاتي الجد الأول لأبي العباس أحمد، ويعدّ أحد أقطاب المذهب، وأحد التجار الكبار المتجولين بين الجنوب التونسي حيث مسقط رأسه، وبلاد السودان ويرى أبو العباس أحمد أنه حدث في إحدى رحلات الشيخ التجارية نحو السودان الغربي وقع جفاف في البلاد أفنى العباد، وصار على الأخضر واليابس دون أن تجدي القرابين المقدمة إلى الآلهة نفعًا لوضع حد لهذا الجفاف وفي تلك الأثناء تقدم الفقيه السالف الذكر يعرض إلى الملك يدعوه إلى اعتناق الإسلام، ولم يزل يدعوه إليه ويظهر محاسنه، ويرغبه فيه حتى أسلم الملك ودوية، بحيث يقول البكري في ذلك: "**وضع إسلامه وإسلام عقبه وخاصته وأهل مملكة مشتركون فسموا ملكهم منذ ذلك بالمسلماني** "، ينظر: زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج1 ، ص 57، سحر عنتر محمد أحمد مرجان: المرجع السابق، ص ص52–53.

[2]– مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص 533.

[3]– العسيري: المرجع السابق، ص 59.

[4]– محمد عبد الله عبد الله محمد النقيرة: **التأثير الإسلامي في السودان الغربي من بداية القرن السادس حتى نهاية القرن العاشر الهجريين**، أطروحة دكتوراه إشراف: محمد حلمي محمد أحمد، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1989م / 1980م، ص 288.

[5]– عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص 196.

المغاربة بمكانة رفيعة لدى أهل المنطقة وملوكها، وما يؤكد هذه المكانة ذلك أنه في عهد سني علي وعندما اندلع الصراع بينه وبين علماء تنبكت الذي كان سني علي يهدف من خلاله لانتزاعها من يد طوارق مغشرن قام آكل حاكم تنبكت من الطوارق لما سمع بمجيئه بترحيل العلماء نحو ولاته[1]، وفي ذلك يقول السعدي عن سني علي وقضية ترحيل العلماء إلى ولاته قائلًا: "**وفي سنة ثلاثة وسبعين وثمانمائة دخل تنبكت...عمر فيها فسادًا عظيمًا جسيمًا كبيرًا فحرقها وكسرها وقتل فيها خلقًا كثيرًا ولمّا سمع آكل بمجيئه أحضر ألف جمال رحل فقهاء سنكري ومشى بهم إلى بير...**"[2]

هذا وقد أولى سلاطينهم أيضًا عناية خاصة لهم فرعوهم وشجعوهم نتيجة لسلوكهم الحسن واستقامتهم، فقد كانوا يستشارون ويستفتون في الأمور الجسام من طرف الملوك والحكام[3] ففي عهد الأسقيا محمد الكبير تحديدًا سنة 902ه/1502م اتّصل هذا الأخير بالشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وذكر له جهل بعض علماء بلاده بالأمور الدينية، واللغة العربية وهم غير مؤهلون بتولي المناصب المهمة في الدولة، فردّ الإمام المغيلي على الأسقيا ناصحًا له بقوله: "**... وجب عليك أن تطلب عالمًا من أهل الذكر فالعلماء في هذه الأمة كالأنبياء في الأمم الماضية يجب الاعتماد عليهم...**" ونتيجة هذا النصح والتوجيه والذي شكل حافزًا للأسقيا محمد الكبير فقد عمل هذا الأخير بكل قوة لرعاية العلماء واستقطابهم ودعوتهم من العديد من البلدان، حيث كان الشيخ محمد الميغلي نفسه من الوافدين إلى بلاط الاسقيا في مدينة جاو، واتخذه الأسقيا مستشارًا له[4]، حيث كتب له سبع مسائل تفسيرية حول طرق تنظيم الدولة، وإنَّ أهم ما أظهرته هذه المسائل هو حرص الأسقيا محمد الكبير على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في الوقت الذي أظهرت أجوبة

---

[1]-زوليخة بنر مضان: المرجع السابق، ج 1، ص 83.

[2]- السعدي: المصدر السابق، ص 65.

[3]- عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، المرجع السابق، ص 196.

[4]- سحر عنتر محمد أحمد مرجان: المرجع السابق، ص ص92-93.

المغيلي عن تضلعه في أمور الدين، وقد بلغ اهتمام ملوك السودان الغربي بهذه المبادئ أنهم استعملوا الأنظمة العربية الإسلامية في الحكم والإدارة، وتسيير مقاليد الأمور فهناك السلطان والحاكم والوالي والأمير والوزير...إلخ وكل هذا من مظاهر السيادة الدينية الإسلامية [1].

والجدير بالذكر أنّ الأسقيا محمد الكبير كان صديقًا للعلماء مكنًا لهم عظيم التقدير والاحترام[2]، فقد أصدر وثائق يحصُل بموجبها العلماء على بعض الامتيازات والحقوق تقديرًا لمكانتهم العلمية المرموقة في المملكة، فقد منح ها الأخير امتيازات وإعفاءات من الضرائب لأحفاد أحد العلماء وهو الشيخ صالح موري هوكار الذي شكوا إليه سوء معاملة سلفه في الحكم سني علي وطلبوا منه أن يكتب لهم وثيقة تحميهم من أي اعتداء يقع عليهم أو ظلم يحبط بهم، وأمر الأسقيا محمد الكبير بإكرامهم وإكرام أسرهم وكتب لهم كتابا بذلك الذي أملاه على كاتبه علي بن عبد الله بن عبد الجبار اليمني [3].

هذا وقد سار على نفس النهج أغلب خلفائه، حيث سار الأسقيا إسحاق على نفس الطريق فشجع العلماء وأكرمهم، وأخذ بيدهم[4]، ثم من بعده كذلك الأسقيا داوود فقد كان شديد الكرم والاحترام للفقهاء وكان أيضا كثير الاحتفاء بهم، ومن ذلك استقباله الحار وترحيبه بالقاضي محمود كعت حينما قدِم إلى جاو فأكرمه كرمًا يليق بالعلماء وكان يزورهم إذا مرضوا، ويستمرّ في عيادتهم إلى أن يتماثلوا بالشفاء[5].

ومن العلماء الذين حضوا بمكانة رفيعة لدى سلاطين مملكة سنغاي خلال النصف الثاني من القرن 16 هو الفقيه والعالم محمود محمد بن أقيت (ت 1593م) فقد وصلت

---

[1]–خير الدين شترة: **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح التأثر وفكرة الإصلاحي في توات والسودان الغربي**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2001، ص 328.

[2]– محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 125.

[3]– عمر صالح سالم الفانوسي: المرجع السابق، ص 204.

[4]– محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 125.

[5]– سحر عنتر محمد أحمد مرجان: المرجع السابق، ص ص92–93.

مكانته إلى الحد الذي يزوره فيه السلطان إلى بيته، وقد قال عنه الفقيه التنبكتي في ترجمته"... **لا يخاف في لومه لائم يهابه السلاطين فمن دونهم، فصاروا تحت أمره، يزورونه في داره، فلا يقوم لهم لا يلتفت إليهم ويهادونه بالهدايا والتحف...**".[1]

ولا شكّ أنَّ هذا النص السالف الذكر وغيره من النصوص الأخرى التي لم نسردها تؤكد انه كان للعلماء مكانة ومركز مرموق في مجتمع السودان الغربي، وأنَّ سلطة هذه الفئة من العلماء كانت تضاهي سلطة الحكام والسلاطين[2].

وإلى جانب العناية والدعم الذي تلقاها العلماء من طرف السلاطين من الدرجة الأولى، فإنَّ عامة الناس قد اهتموا بهذه الفئة من الدرجة الثانية، وأحاطوها بالتكريم والإجلال، ومما يفيد ذلك هو ما أورده السعدي بخصوص أحد أئمة مساجد تنبكت، إذ جرت العادة في المدينة أن يقدم المصلون مساعدة للإمام مقدارها خمسمائة مثقال في أول من كل شهر من رمضان، وفي إحدى شهور رمضان لم يحصل سيدي علي الجزولي إلّا على مائتي مثقال. وأبلغ الفقيه محمود بما حصل، وفي يوم الجمعة وعقب الانتهاء من الصلاة نادى الفقيه محمود المؤذن وقال له: "**قل لهؤلاء المسلمين مثل إمامكم هذا إذا ما زدتم في عادته في الخير فلا تنقصوه منها، فسارع الحاضرين على التو – ويضيف السعدي – في إعطاء الخمسمائة المعهودة وأضافوا إليه مائتين "فكان سبعمائة في ذلك العام**"[3].

مما تقدم يتضح لنا أنَّ العلماء في ممالك السودان الغربي تمتعوا بمكانة سامية لدى حكامها، وارتفعت مكانتهم وعظمتهم، وقد تولوا أعظم المناصب في تلك الممالك، ومنها منصب القضاء فضلًا عن قيامهم بأعمال الإمامة والتدريس وغيرها [4].

---

[1]التنبكتي: نيل الابتهاج...، المصدر السابق، ص 607.

[2]–السعدي: المصدر السابق، ص 38،عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص 198.

[3]– زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2، ص291.

[4]–عمر صالح سالم الفانوس: المرجع السابق، ص 208.

1-2- دورهم في نشر الإسلام في المنطقة:

أدى العلماء والفقهاء المغاربة دورًا بارزًا في نشر الإسلام داخل مجتمع السودان الغربي، فمنذ أن عرف الإسلام طريقه إلى المنطقة كان العلماء إلى جانب التجار هم الذين يقومون بنشره، فالإسلام لم يكن يصل إلى تلك البقاع ويستمر في تلك البقاع دون علماء وفقهاء وأئمة الذين كان همهم أثناء رحلتهم إلى بلاد السودان الغربي وطيلة مراحل التاريخ الإسلامي دون انقطاع هو نشر رسالة التوحيد، وثقافة الإسلام ولغة القرآن [1]، فعلى أيديهم أسلم أهل غانة منذ القرن 5 ه/11م، وفي مملكة مالي الإسلامية كذلك كان لهم دورٌ كبيرٌ في إسلام معظم شعوبها، ومما ساعدهم على أداء مهامهم هي المكانة التي حضي بها هؤلاء في المنطقة خاصة من قبل ملوكها، وقد تحدثت المصادر عن مجموعة منهم قدموا إلى بلاد الهوسا من مالي بغرض الدعوة إلى الإسلام وذلك في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، وفي القرن الخامس عشر الميلادي قام هؤلاء العلماء بإدخال الكتب الإسلامية إلى بلاد الهوسا، وكانم – برنو وحينها وفدت مجموعة أخرى من العلماء قاموا بدور توجيهي كما أشرنا سابقًا [2].

أمّا في مملكة سنغاي الإسلامية فقد برز دورهم الديني بصورة أكبر، ولم يكن هؤلاء يتهاونون في خرق المبادئ الإسلامية والأخلاق فإن كان السلطان ملتزمًا قواعد الإسلام وسلوكه يحبونه ويبادلونه الاحترام، أمّا إذا رأوا منه انحراف في تطبيق مبدأ من المبادئ الإسلامية، ولهم في هذا الجانب مواقف مشهورة تدل على الدور الكبير لهؤلاء العلماء في تمكين الإسلام في نفوس السلاطين، والتزامهم المنهج السوي، ومن هذه المواقف ما حدث بين الأسقيا محمد الكبير، والقاضي محمد بن أقيت (ت955ه / 1548م)مفادها أنَّ هذا الأخير قد رفض تنفيذ أوامر الأسقيا، وقضاء بعض حوائجه حيث كان رد فعل الأسقيا أن

---

[1]- عبد العلي الودغيري: **اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالمغرب الإفريقي وملامح من التأثير المغربي**، ط 1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1432ه / 2011م، ص 22.

[2]- مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص 537.

عاتبه عن ذلك فأجابه القاضي قائلاً: "**جئت أدخل في حرمتك واستودعك نفسي أن تحول بيني وبين جهنم فانصرني، وأمسك بيدي حتى لا أقع في جهنم وأنا وديعتك فهذا سبب رد أمرك**"، فرد الأسقيا قائلاً نسيت والله ولكن ذكرته الآن، فأنا استغفر الله وأتوب إليه[1].

ولقد كان الأسقيا محمد الكبير لا يقدم على فعل أمر إلّا باستشارة العلماء والفقهاء والأخذ برأيهم سواء في مسائل السلم أو الحرب، ومن الأحداث التي تبين الأخذ بمشورة هؤلاء الفقهاء من الملوك هو ما حدث عندما طلب الإمام المغيلي من الأسقيا محمد القبض على أفراد الجالية اليهودية التي قدمت من توات إلى سنغاي وذلك لتورطهم في مقتل ابنه أثناء رحلته نحو بلاد السودان، وكانت هذه الحادثة تحريضًا من يهود توات الذين أرادوا الانتقام من الإمام المغيلي تحامله عليهم، وحينها كاد الأسقيا أن يلبي ما طلبه المغيلي لولا تدخل القاضي محمد بن عمر (ت955ه / 1547م) بعد أن استشاره الأسقيا فاحتجّ القاضي لذلك فعمل الأسقيا على إطلاق سراحهم، وهذا أيضًا كان سبب في غضب الإمام المغيلي وعودته إلى توات التي استقرّ بها حتى وفاته [2].

وفي عهد الأسقيا إسحاق واجهه القاضي محمود بغيغ بقوله لو صدر عن أي فرد من الرعية غير العلماء لكان جزاؤه القتل، وعندما طلب الأسقيا إسحاق من الناس أن يدلوه على الظالمين سكت الكل ولم يتمكن أحد من الرد عليه سوى الفقيه محمد بغيغ الذي تكلم موجه خطابًا له[3]: "**ما عرفنا هنا أظلم منك أنت، أبو كل ظالم وسببه لا يغضب غاضب هنا مغضوبا إلا لك وبأمرك وبقوتك إن كنت تقتل الظالم فابدأ بنفسك وبادر به...**" فلما سمع الأسقيا إسحاق بذلك تحير واندهش وتنفس الصعداء وبكى وندم على قوله[4].

---

[1] مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص 559.

[2] – سحر عنتر محمد أحمد مرجان: المرجع السابق، ص ص149–150.

[3] – مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص 540.

[4] – محمود كعت: المصدر السابق، ص 149.

وحث قومه أن يتصدوا للقاضي أو حتى عندما رأى منهم رغبة في الانتقام منه، وقال الأسقيا لمحمود: "**صدقت وأنا تائب لله واستغفره ثم نهض إلى منزله باكيًا والدموع تقطر وتسيل من عينيه**" وجزاءً لما حدث بين الأسقيا والقاضي محمود بغيغ تم تعيين هذا الأخير قاضيًا على مدينة تنبكت بعد وفاة قاضيها مباشرة.

وهكذا فقد اهتمّ العلماء المغاربة بدورهم التوجيهي في كل عصر ومكان ينصحون الحكام، ويرشدونهم إلى الطريق المستقيم، وفي مملكتي البمبارا في سيغو وكارتا قام العلماء بالدور التوجيهي نفسه حيث كانوا يساعدونهم في الفصل بين النزاعات والفتن الداخلية خاصة حول العرش، وإضافة إلى هذا الدور كانوا يفتحون أبوابهم للناس لمن يريد حل مشاكله أو بهدف التعلم منهم ما يهمه في مسائل معينة[1].

وعمومًا فقد ساهم العديد من العلماء المغاربة الذين وفدوا إلى المنطقة بدور بارز في نشر الدعوة الإسلامية، وقد اشتهر بذلك خاصة علماء توات حيث ذكر أبو القاسم محمد الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف البعض من هؤلاء العلماء الذين ساهموا بشكل كبير في هذا الدور إذ استقرّ أغلبهم بمدينة تنبكت وكونوا جالية هناك قامت هي الأخرى بنفس المهام وذلك في نقل المؤثرات العربية الإسلامية إلى مختلف مناطق السودان الغربي التي لا تزال على وثنيتها وذلك بتزويدها بعدد من الدعاة والعلماء والفقهاء الذين تولوا المهام في هذا المجال [2].

---

[1]- مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص ص541-542.

[2]- خير الدين شترة: المرجع السابق، ص ص332-333.

2- دورهم في الحياة المذهبية:

يتجلى أول مظهر من مظاهر الحضور والتأثير المغاربي في الطابع المذهبي للإسلام الذي انتشر في بلاد السودان الغربي، وظلّ قائمًا على حاله إلى اليوم، فالإسلام في هذه المنطقة إسلام سني على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، أمّا انتشاره فيرجع الفضل للمرابطين وفقهائه ودعاته المغاربة الذين لعبوا دورًا أساسيًا في تثبيت هذا المذهب السني وعقيدة التوحيد الصافية في نفوس شعوب المنطقة والعلماء والفقهاء الذين توافدوا من بلاد المغرب بعد ذلك على مرِّ العصور كانوا جميعهم من أصحاب هذا المذهب وهذه العقيدة، وحتى الفرق والمذاهب الصوفية التي انتشرت وشهدتها المنطقة كانت فرق سنية كالقادرية والتجانية وغيرها، وحتى مناهج التعليم التي اعتمدت عبر كل المراحل كانت تقوم على أساس كتب الفقه المالكي بأصوله وفروعه المختلفة، وحتى مشاهير علماء السودان الغربي كانوا من المالكية لذلك نجد أسماء هؤلاء الأعلام تملأ كتب الطبقات المالكية كالديباج لابن فرحون ونيل الابتهاج وكفاية المحتاج للتنبكتي وغيرها [1].

2-1-عوامل انتشار المذهب المالكي وسيادته في السودان الغربي:

ترجع سيادة المذهب المالكي وترسيخه في السودان الغربي إضافة إلى المكانة التي حظي بها في نفوس العامة والخاصة إلى العديد من العوامل نذكر منها:

1-إنّ المرابطين الذين حملوا لواء الإسلام إلى المنطقة ابتداء أو تصحيحًا انتصروا للمذهب المالكي، وبذلك أصبح المذهب الرسمي لهؤلاء، فمن الطبيعي أن يكون من أولوياتهم تثبيته في المنطقة، وأن يتبعهم السودانيين في مذهبهم.

2-شخصية الإمام مالك بن أنس كان لها دور هام في انتشار مذهبه في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي منها بلاد السودان الغربي وغيره، إذْ يعتقد المالكية أنّ عالم المدنية المقصود من وراء الحديث الذي رُوِي عن (النبي صلى الله عليه وسلم)

---

[1]- عبد العلي الودغيري: المرجع السابق، ص9 وما بعدها.

"يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحدًا أعلم من عالم المدينة..."[1] يعني الإمام مالك، وقد ازداد هذا الأمر رسوخًا عند أتباع المذهب ما ورد عن ثناء العلماء حول هذا الأخير وشهادتهم له بالعلم والتقوى والورع[2].

3-شهرة المدينة التي عاش فيها مالك علمًا ومكانة، إذْ هي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت مهبط الوحي، ومهوى أفئدة المسلمين، وطلاب العلم والعلماء، وما يؤكد ذلك ما ذكره ابن خلدون لما علل انتشار المذهب المالكي وتحقيقه الوحدة المذهبية والانتصار على باقي الفرق الإسلامية الأخرى في المغرب الإسلامي بقوله: **"وأمّا مالك رحمه الله فاختصّ بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم إلّا أنهم لم يقلدوا غيره إلّا القليل، إما أن رحلتهم كانت غالبًا في الحجاز، وهو ومنتهى سفرهم والمدينة يومئذٍ دار العلم..."[3].**

ومن هذا يمكن اعتباره يعد من أهم العوامل التي أسهمت في ترسيخ هذا المذهب في المنطقة، لأنّ مجتمع السودان الغربي جميعه يعتبر أن كل ما جاء من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من أمور دينية وفقهية هو الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه لذا تعلق أهل المنطقة بهذا المذهب وتمسكوا به [4].

4-دعم السلطة الحاكمة للمذهب المالكي: اعتنى حكام المنطقة بالحركة العلمية بصفة عامة، والحركة الفقهية بصفة خاصة، حيث اهتمّوا بالفقهاء، وشجعوا العلماء على التحصيل والاجتهاد والإنتاج، وتظهر هذه العناية في التقرب منهم، والأخذ بآرائهم واستشهادهم في مختلف أمور الدولة [5].

---

[1] إيهاب سالم: المرجع السابق، ص ص 118-119.

[2] نفسه.

[3] عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص ص34-35.

[4] - نفسه.

[5] - نفسه: ص 61.

ومن هؤلاء الحكام نجد الأسقيا محمد الكبير – وابنه الأسقيا داوود (ت 991ه/ 1593م) اللذين عملا على تشجيع فقهاء المالكية في دولتهم حيث تذكر المصادر التاريخية أنّ الأسقيا محمد الذي كان مالكي المذهب قد مهد الطريق لفقهاء المالكية للتمكين لهذا المذهب في دولته، وقد كان لخروج هذا الأخير إلى الحج سنة 902ه / 1496م أثرها في دعم هذا المذهب في دولته، حيث كان قد التقى خلالها بمشاهير العلماء من مصر، والحجاز والمغرب، وبعد عودته من الحج زاد حماسه لنشر الدعوة وترسيخ المذهب وفي ذلك يقول عنه الوفراني: "**فرجع إلى السودان فنصر السنة، وأحيا طريق العدل، وجرى على مناهج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر أموره...**"[1].

وهكذا تعددت جهوده لنشر هذا المذهب ودعمه، ومنها قيامه بدعوة عدد من فقهاء المذهب إلى بلاده، كما امتدّت جهوده إلى بناء العديد من المساجد التي أصبحت منارات لتدريس الفقه المالكي. ولقد سار الأسقيا داوود على نهجه في تمكين وترسيخ هذا المذهب وما ساعده على ذلك حفظه للقرآن الكريم، وأنّه كان فقيهًا عالمًا بأحكام هذا المذهب له الكتب وهو ما زاد على ترسيخ المذهب وتقدمه على حساب المذاهب الأخرى[2].

وإنّ ما يبرز جهود هؤلاء الحكام في دعم هذا المذهب هو ارتفاع منزلة فقهاء المالكية هو توفيرهم لهذه الفئة واعترافهم بدورهم في حماية المملكة، وبفضل هذه المكانة أُسْندت إليهم العديد من الوظائف الدينية كخطة الكتابة، وخطة القضاء[3] والفتيا وغيرها[1].

---

[1]– سحر عنتر محمد أحمد مرجان: المرجع السابق، ص ص86–91 وما بعدها.

[2]– نفسه.

[3]– **القضاء:** وقد عرّف عند العلماء بتعريفات مختلفة، حيث علاقه فقهاء الشافعية بقولهم: "**القضاء هو فصل الخصومة بين خصمين فأكثر بحكم الله تعالى**"، وعرفه ابن رشد المالكي بأنه "**الاخبار عن حكم شرعي على سبيل الالتزام**"، ونقل هذا التعريف ابن فرحون ووافقه عليه، وعرفه أحد الحنابلة بأنه "**الالتزام بالحكم الشرعي وفصل الخصومات**"، وجميع هذه التعريفات لا تختلف في جوهرها وحقيقتها والاختلاف بينهما لفظي لانها جميعا تعني أن القضاء هو الحكم بين الخصوم بأحكام الشريعة الإسلامية بطريقة مخصومة، مثل طريقة رفع الدعوى ووسائل اثباتها، ووسائل رفع الدعوى وغيرها من الأساليب والضوابط المطلوبة في القضاء. ينظر: إيهاب سالم: المرجع السابق، ص11، أبو بكر إسماعيل

5-رحلات الملوك إلى الحج: لم يكن عامل الحج أقل تأثيرًا من العوامل الأخرى في نقل المؤثرات الإسلامية، ومما لا شكَّ فيه أنَّ فريضة الحج قد أدت إلى ازدهار العلاقات الخارجية لبلاد السودان الغربي مع بقية أنحاء العالم الإسلامي ونتيجة لهذه الرحلة اختلطوا بإخوانهم الحجيج المسلمين من بينهم حجاج مصر والبلدان المغاربية فتزوّدوا المعارف أثناء تنقلاتهم بين مدن المشرف والحجاز ولقائهم بأعلام الفقهاء والعلماء الذين ذاعت شهرتهم بالمذهب المالكي شرقًا وغربًا [2].

ومما سهل انتشار المذهب المالكي كذلك هو عدم خضوعه في الهفوات والتعقيدات والتحريفات والتأويلات، بل تمسكه بكل ما هو موجود في القرآن والسنة، لذا سهل الرجوع إليه في الفتوى، وذلك لما كان يتيحه من يسر سيّما وأنّ من مصادره عدة مرتكزات أهمها المصالح المرسلة مع قابليته لتنفيذ الأعراف المحلية من كل ما يلزم لكي لا تبتعد عن الشرع[3].

هذه هي بعض الأسباب التي أسهمت في ترسيخ هذا المذهب وتألق نجمه في سماء السودان الغربي حتى يومنا هذا، تتوارثه الأجيال جيلا بعد جيل وعلى ضوئه يتفقه الفقهاء والقضاة، ويحكم الحكام طبقات تلوا الأخرى إلى القرن الثالث هجري وما بعده[4].

2-2- جهود العلماء والفقهاء المغاربة في ترسيخ المذهب المالكي بالسودان الغربي:

برز العديد من العلماء والفقهاء في السودان الغربي أخذوا على عاتقهم نشر المذهب المالكي في المنطقة، وقد دفعهم إلى ذلك سيرة صاحبه وما ورد عنه من ثناء حول علمه وورعه، إضافة إلى ملائمة مذهبه لأهل المنطقة لسهولته ووضوحه، فهو مذهب يعتمد

محمد ميغا: "**نظام القضاء في دولة سنغاي الإسلامية في عهد ملوك آل أسكيا**"، مجلة الدارة، ع2، السعودية، أوت 1995، ص235.

[1]- نفسه: ص 157.

[2]- بشار أكرم الملاح: المرجع السابق، ص ص142-143.

[3]- سعيد حراش: المرجع السابق، ص 178.

[4]- إيهاب سالم: المرجع السابق، ص 120.

على القرآن الكريم، ومن أشهر العائلات العربية التي نزل منها العلماء والفقهاء الذين تركوا بصمات واضحة على الحركة الفقهية[1].

1- **عائلة أبو القاسم التواتي (ت935ه / 1529م)** وتعدُّ من أشهر العائلات المغربية التي سكنت مدينة تنبكت، وقد كان للفقيه أبو القاسم حلقة يدرّس فيها الصبيان بالقرب من مسجده الذي تولّى فيه الإمامة وخلفه في هذا المسجد أحد أفراد عائلة الغزالي ويدعى منصور الغزالي، ومن العائلات الأخرى أيضًا عائلة الغلالي ويأتي على رأسها الفقيه محمد أبو بكر أكداد الفلاني (ت989ه / 1581م) الذي كان قد تولّى الإمامة في الجامع الكبير[2] بتنبكت وجنى وجاو إضافة إلى عائلة البلبالي والتي يأتي على رأسها الفقيه الحافظ مخلوف بن صالح البلبالي (940ه / م1533م)[3] اشتهر بعلمه وفقهه بمدينة تنبكت حيث كان يدرس بها، وبعد رحيله منها نحو مراكش التي تولى أيضًا بها التدريس عاد هذا الأخير إلى وطنه حيث مسقط رأسه بالقرب من توات وذلك حتى وفاته.

كما وفد الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت909ه / 1503م) الذي يعدّ من أشهر المغاربة الذين وفدوا إلى المنطقة خاصة مدينة جاو حيث انتفع أهلها بفقهه وعلمه، ثم اتّجه بعدها نحو مدينة تكدا حيث اجتمع بحكامها، ونشر العلم بين أهلها، ومارس بها التدريس والوعظ ومن الفقهاء الذين شهدوا دروسه في المنطقة هو الفقيه محمد بن أحمد التازختي المعروف بأيد أحمد [4].

ومن بين الفقهاء الذين أخذوا العلم عن الإمام المغيلي هو الفقيه عبد الله الأنصمني (ت950ه / 1543م) والذي أصبح أحد أشهر فقهاء زمنه ومن أعيان مذهب الإمام مالك.

---

[1]- عبد الرحمان محمد ميغا: الحركة الفقهية...، المرجع السابق، ص253.

[2]- البرتلي: المصدر السابق، ص 108، محمود كعت: المصدر السابق، ص 192.

[3]- السعدي: المصدر السابق، ص 39.

[4]-سحر عنتر محمد أحمد مرجان: المرجع السابق، ص 123.

ولم تقتصر مهام المغيلي حول مدينة تكدا فقط، فبعد عودته إلى مدينة جاو اجتمع بسلطانهم الأسقيا محمد حيث وضع له مؤلفًا إجابة عن مسائل عرضت عليه فأزال حينها الكثير من الشوائب التي علقت بالدين، وليس هذا فحسب بل وجه الأسقيا محمد نحو العقيدة الصحيحة.

وهكذا فقد كان الكثير من فقهاء المالكية وللعائلات المغربية التي برز منها هؤلاء العلماء دورٌ كبيرٌ في تمكين وترسيخ المذهب المالكي بالسودان الغربي.

ومما لا شكَّ فيه بأنّ تأثير المالكية في السودان الغربي لم يقتصر فقط على تأثير المغاربة، بل كان هناك دورًا كبيرًا لملوك السودان الغربي الذين تولوا نفس الدور والتأثير في دعم هذا المذهب وترسيخه في المنطقة ومن هؤلاء نذكر[1].

1. **أحمد بن محمد بن سعيد (ت 976ه / 1569م)**[2]: ويعدّ من أشهر أعلام المذهب المالكي فقد جلس مدرسًا للموطأ منذ سنة (960ه / 1553م) حتى وفاته، وكان قد ازدحم عليه عدد من الطلبة، وهذا قد انتفع به كذلك الكثير من العلماء وفي مقدمتهم الفقيهان الشقيقان محمد بغيغ وأخوه أحمد حيث قرأ عليه الموطأ والمدونة، ومختصر خليل وغيرها من الكتب[3].
2. **محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (1002ه / 1593م)**[4]: وقد أسهمت جهوده في ترسيخ هذا المذهب بالسودان الغربي، ويعدّ هذا الأخير أحد أعلام المنطقة، فقد كان أستاذ وشيخ العالم احمد بابا التنبكتي (1039ه / 1627م) الذي ذكر أنه قد لازمه قرابة عشر سنوات، وأنه قرأ عليه كل كتب الفقه المالكي ومنها الموطأ [5] إذ يقول في ذلك: "**لازمته أكثر من عشر سنين فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل،**

---

[1]– سحر عنتر محمد أحمد مرجان: المرجع السابق، ص 124.

[2]– السعدي: المصدر السابق، ص 43، البرتلي: المصدر السابق، ص 28.

[3]– سحر عنتر محمد أحمد مرجان: المرجع السابق، ص 110، عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص256.

[4]– البرتلي: المصدر السابق، ص ص28–29.

[5]– سحر عنتر محمد أحمد مرجان: المرجع السابق، ص 111.

وفرعي ابن الحاجب قراءة بحث وتحقيق وتحرير ختمتها عليه... ختمت عليه الموطأ قراءة تفهم"[1].

ومن خلال هذا يتضح لنا مدى تعلق فقهاء السودان الغربي وطلابه بشخصية الإمام مالك إضافة إلى كتابه الموطأ.

2-3- جهود فقهاء المالكية في تدريس الفقه المالكي في السودان الغربي:

لقد تأثر نظام التدريس في السودان الغربي بروح المذهب المالكي الذي كان معتمدًا مشيخة وبرنامجًا دراسيًا ومكتبة مالكية.

على مستوى الشيوخ انتصب للتدريس قديمًا وحديثًا عدد كبير جدًا من العلماء ممن سجلتهم كتب التواريخ والتراجم والمناقب والرحلات والأسفار منذ القرن 15م[2] ولقد برزت عدة أسر في هذا المجال اشتهرت بالعلم والمعرفة فكان منها العلماء والفقهاء، انتقات من البلدان المغاربية واستوطنت مدن ومراكز السودان الغربي؛ حيث كان لها دورٌ كبيرٌ في نشر الإسلام في تلك المناطق ومن أبرزها:

أ. **أسرة آل الحاج:** وتعد من أهم الأسر التي هاجرت من السودان الغربي؛ حيث برزت مكانتها منذ أن تولى جدهم الأكبر الفقيه القاضي عبد الرحمان بن أبي بكر بن الحاج القضاء بتنبكت أواخر عهد مملكة مالي الإسلامية، ويعد هذا الأخير أول من أمر الناس بقراءة نصف حزب من القرآن للتعليم في مسجد سنكري بعد صلاتي العصر والعشاء، فهو من العلماء الذين هاجروا إلى السودان الغربي تحديدا إلى مدينة تنبكت للمشاركة في النهضة الثقافية التي شهدتها هذه الأخيرة أواخر القرن 15م، حيث قدم من مدينة (بير) مع أخيه السيد الفقيه إبراهيم وكانت له مواقف في صد قبائل الموشي الوثنية عن

1- التنبكتي: نيل الابتهاج...، المصدر السابق، ص 600.

2- سعيد حراش: المرجع السابق، ص 177.

هذه المنطقة، ومن نسل هذا الفقيه العالم فقهاء آخرون، تولوا مناصب القضاء والتعليم في عدة مناطق في البلاد قبل الأسقيا محمد الكبير[1].

ب. **عائلة تغلي:** وتعد من الأسر التي استقرت بمدينة جاو أواخر القرن 15م؛ حيث كان من بين أبنائها محمد بن الصديق تغلي تولى الإمامة بالمسجد الكبير تنبكت اشتهر بالتقى والورع مكث في إمامته حوالي ستة وعشرين سنة[2].

ج. **عائلة الفيلالي:** تعد هي الأخرى من أشهر الأسر العلمية التي استقرت بمدينة تنبكت أواخر القرن ومن أشهر علماء هذه الأسرة منصور الفلالي، هذا الأخير الذي اتخذه محمد الكبير مطلع القرن السادس عشر ميلادي مستشارا له[3].

وإلى جانب هذه الأسر برزت أسرتان كبيرتان في هذا المجال:

الأولى وهي أسرة آل أقيت، والثانية أسرة بغيغ[4] حيث يأتي على رأس الأسرة الأولى عمر بن محمد أقيت (ت 929ه / 1522م)[5] الذي رحل من تنبكت واستقر بولاته وتولى يدرس بها الفقه حتى وفاته، وإلى جانب هذا الدور الذي لعبته أسرة أقيت، فقد كان للأسرة بغيغ هي الأخرى جهودها الكبيرة في هذا المجال، فقد ساهمت في تحقيق سيادة المذهب المالكي في المنطقة [6].

3- الطرق الصوفية:

1_ السعدي: المصدر السابق، ص 28، زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 148.

2_ زهراء يوسف إسماعيل: المرجع نفسه، ص 151.

3_ الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي...، المرجع السابق، ص 195.

4- **أسرة بغيغ:** وتعتبر هذه الأسرة ذات الأصل الماندي، من أهم الأسر التي أثرت في الحياة السياسية والاجتماعية في السودان الغربي، ولقد اشتهرت هذه الأخيرة بالعلم والفقه، وتوارثت كرسي القضاء والتدريس خلال القرنين 16-17 الميلاديين، ومن أشهر علماء هذه الأسرة القاضي محمود بن أبي بكر بغيغ الذي كان قد تولى القضاء بجني وغيره من الفقهاء الذين تولوا مناصب الإمامة والفقه والتدريس، ينظر: زوليخة بنر مضان: المرجع السابق، ج 1، ص ص288-289، إمطير غيث: "**آل بغيغ الونكريين ودورهم الثقافي في السودان الغربي خلال القرنين 10-11ه / 16-17م**"، مجلة الزيتونة، ع 11، ليبيا، 2014م، ص ص11-12.

5-السعدي: المصدر السابق، ص 37.

6- سحر عنتر محمد أحمد مرجان: المرجع السابق، ص 97.

إذا كانت العوامل الاقتصادية قد لعبت دورًا هامًا في توثيق الصلات والروابط بين البلدان المغاربية، والسودان الغربي خلال الفترة الوسيطة ما رافق ذلك من تبليغ رسالة الإسلام إلى مختلف شعوب المنطقة فإن العوامل الثقافية والروحية، وخاصة التصوف[1] منها كان لها الأثر الأكبر والحظ الأوفر فير ترسيخ الدين الإسلامي وتعاليمه والوقوف ضدّ في السودان الغربي فقد أدت الطرق الصوفية أدوار ريادية في نشر الإسلام وتنقية عقيدة أهل المنطقة من بعض الشوائب التي علقت بها نتيجة بعض الممارسات المنافية للشريعة الإسلامية[2].

ومن العوامل التي ساعدت بشكل بارز على انتشار الطرق الصوفية هو اختلاطها بمختلف طبقات الشعوب الإفريقية وتعايشها بين العامة والفقراء فعكس ذلك صورة حسنة لها لاتّصاف دعاتها بالتقوى والورع والصلاح إضافة إلى الدور الذي لعبه هؤلاء في الإرشاد وتقديمهم خدمات اجتماعية وألوانًا من البر والإحسان والمؤاخاة مما جعل أغلب المجتمعات الوثنية في المنطقة تعتنق الدين الإسلامي.

---

[1]- **التصوف:** حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، وذلك كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري، ثم تطورت تلك المنازعات بعد ذلك حتى صارت طرق مميزة معروفة باسم الصوفية ويتوخى المتصوف تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية مثل، الهندية، والفارسية، واليونانية، وفي القرن الثاني الهجري في عهد التابعين ظهرت طائفة من العباد آثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس فشددوا على انفسهم في العبادة على نحو لم يعهد من قبل، ومن أسباب ذلك بروز بعض الفتن الداخلية وإراقة بعض الدماء الزكية، فآثروا اعتزال المجتمع تصوفا عما فيه من فتن وطلبا للسلامة في دينهم. وأول ما ظهر مصطلح التصوف والصوفية في الكوفة بسبب قربها من بلاد فارس والتأثر بالفلسفة اليونانية بعد عصر الترجمة، ثم بسلوكات رهبان أهل الكتاب. ينظر: منى محمد عادل سيد حسين: المرجع السابق، ص130.

[2]- أحمد الأزمي: **الإشعاع الصوفي المغربي في إفريقيا جنوب الصحراء خلال التاريخ الحديث والمعاصر**، فاس، 2013، ص 05.

ومن الطرق التي كان لها الأثر الأكبر في مدّ الإشعاع الثقافي والروحي المغاربي نحو بلاد السودان الغربي وفي تجديد رسالة الإسلام، ومحاربة الوثنية هي القادرية والتيجانية والسنوسية وغيرها[1].

3-1- الطريقة القادرية:

تنسب هذه الطريقة لمؤسسها الأول الشيخ عبد القادر الجيلاني[2] وتعد من أوسع الطرق انتشارًا في إقليم توات، والسودان الغربي، وقد تناول التواتيون هذه الطريقة في عدد من مخطوطاتهم، ويعتبرون أنفسهم مرابطين بعد القادر الجيلاني من ناحية الذكور والأولاد، لهذا فقد ظهر منهم عدد كبير من مشايخ حازوا على المراتب فأوكلت لهم مهمة الإشراف على هذه الطريقة وإدخالهم إلى العديد من الأقطار[3].

عُرِفت الطريقة القادرية طريقها نحو السودان الغربي في القرن التاسع الهجري / 15م بواسطة قبيلة كنته[4]، هذه الأخيرة التي لعبت دورًا مهمًا في نشر الورد في الصحراء،

---

[1]-حسن علي إبراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص ص258-259.

[2]-**عبد القادر الجيلاني:** هو محي الدين أبو محمد بن عبد القادر الجيلاني بن أبي صالح موسى الحسني الجيلاني ولد سنة 471ه / 1078م، ببلدة نايف بمقاطعة جيلان الواقعة جنوب بحر القزوين، كان عالما فقيها تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه ثم انتقل إلى بغداد عام 488ه / 1095م، ودرس مذهب الإمام أحمد بن حنبل لكنه ترك الانضمام إلى المدرسة النظامية التي كان يشرف عليها الشيخ أحمد الغزالي بعد وفاة أخيه أبو حامد الغزالي، بقي الشيخ الجيلاني حوالي عشرين سنة يتجول في بغداد، اشتهر بالورعة وعلمه، بنى مدرسة هناك سنة 528ه / 1135م والتي بدأ الناس يسيرون على نهجه بعد وفاته.ينظر: سعيد القحطاني: **الشيخ عبد القادر الجيلاني وارآءه الاعتقادية والصوفية**، فهرست مكتبة فهد الوطنية للنشر، الرياض، ص ص 27-28، إبراهيم حامد لمين: " **إسهامات قبائل كنته والفلان في التواصل الثقافي بين إقليمي توات والسودان الغربي خلال القرن 19م / 13ه** "،مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، ع 7، جامعة نواكشوط، موريتانيا، 2016م، ص 28.

[3]- إبراهيم حامد لمين: المرجع السابق، ص 22.

[4]- **قبيلة كنته:** وتعد من أهم القبائل العربية التي استوطنت الصحراء الكبرى ترجع أصولها حسب ما ذكرته الصادر والروايات الشفوية إلى عقبة بن نافع، اشتهرت بالعلم والورع والتقوى، ونشر الإسلام في المناطق الإفريقية المتاخمة لها، وتنقسم هذه القبيلة الكبيرة إلى عدة قبائل منها، قبيلة أولاد الوافي، أولاد بو سيف، أولاد بو نعامة وغيرها من القبائل والتى بدورها تنقسم إلى أفخاذ وبطون وهي موزعة على على موريتانيا والمغرب والجزائر ومالي والنيجر وحتى نيجيريا والسنغال، ولقد كان أغلب الكنتيين شيوخ طرق لهم أتبتع في السنغال ونيجيريا وسوكوتو، ينظر: محمد سعيد القتشاط: المرجع السابق، ص ص 90-91، بول مارتي: "**القبائل البيضانية في الحوض الغربي والساحل**

والسودان الغربي خلال الفترة الحديثة والمعاصرة، ولقد ارتبط اسم القبيلة بهذا الورد منذ القرن السادس عشر مع الشيخ المؤسس محمد الكنتي الكبير[1] الذي يعد اول الشخصيات الكنتية، وبعد وفاته خلفه ابنه أحمد البكاي (ت 920ه / 1540م) وقد وصفته أحد المصادر التاريخية "... **أنه مغرس شجرة كنته وصنيع بنودها ومغرس طلعها**"، وهذا الأخير بدوره كان له ثلاثة أبناء تفرعت منهم الأسرة الكنتية وهم سيدي محمد الكنتي الصغير، وسيدي الحاج أبو بكر[2]، وسيدي عمر الشيخ[3](1460 – 1553م) وهو الذي يرجع له الفضل في نشر الطريقة ومبادئها حيث كان قد تلقى مبادئ العلم والإسلام على يد الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي[4]، ولقد تحدث بول مارتي عن العلاقة التي ربطت سيدي عمر الشيخ بالمغيلي قائلًا: "**وفي الواقع لقد أخذ سيدي عمر الشيخ بدعوة المغيلي، وبفضائله ولازمه وتبعه في كل جولاته الداعية لنشر الدين والإصلاح، ويظهر أنه كان رسوله لنشر الإسلام والطريقة القادرية في الساحل السوداني، ومما لا ريب فيه هو الذي يجعل اسم سيدي عمر الشيخ واسم كنته أكثر شهرة في هذه المنطقة من اسم المغيلي كما أنَّ الفرع الناشئ عنه هو الذي سيصبح مع استقلاله الذاتي أكثر الطوائف القادرية هو الفرع البكائي من اسم سيدي عمر ولد الشيخ أحمد البكاي**" [5].

=**الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة**"، تعريب: محمود محمود ودادي، ط1، جمعية العودة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2001، ص 146.

[1]– الحسين حديدي: "قبيلة كنته ودورها في نشر الطريقة القادرية الكنتية في المغرب ودول إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين 18 و19م"، التفاعل الحضاري...، المرجع السابق، ص328.

[2]– حسن علي إبراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص 261.

[3]– **سيدي عمر الشيخ:** هو الابن الأصغر للشيخ أحمد البكاي، ولد حوالي سنة 1460م، زاول دراسته الأولى بجوار والده، ثم قام بعدها بعدة رحلات زار إثنائها عدة مدن البلاد المغاربية حتى مصر، كما مرّ أيضًا ببلاد الشام، وأدّى فريضة الحج ثم عاد بعدها إلى بلاده حيث مسقط رأسه، مالك بذلك الطريق الإفريقي التقليدي ومن ثم تابع هذا الأخير ترحاله نحو بلاد السودان الغربي وتجول في بلاد التكرور بين نهر السنغال، ونهر النيجي، ينظر: بول مارتي: كنته الشرقيون...، المرجع الابق، ص 32.

[4]–حسن علي إبراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص 261.

[5]– امطير غيث: التأثير العربي الإسلامي...، المرجع السابق، ص 181.

وبحصول عمر الكنتي على الورد القادري من شيخه المغيلي حتى صار واحد من أشهر تلاميذه الذين نشروا له بالبلاد لدرجة أن المغيلي قال لمن حضر وفاته حينما كان يحتضر مشيدًا بمكانة تلميذه "**من يريد عني بركة أو نفعًا فليطلبها من سيدي عمر الشيخ فإنه احتوى على جميع ما عندي، فأكله كما يأكل الإنسان التمر ويلقي النواة** " ويتضح من خلال هذه الشهادة مدى المكانة الروحية التي كان يحظى بها الشيخ عمر الكنتي لدى المغيلي.

أ- زعماء وأعلام الطريقة القادرية الكنتية وانتشارها:

لقد برز العديد من الزعماء والأعلام الذين حملوا لواء الطريقة القادرية الكنتية وانتدبوا أنفسهم للدفاع عنها حيث عمل هؤلاء على تأسيس زوايا وجلسوا لتلقين الورد الكنتي بها بالسودان الغربي نذكر منهم[1].

❖ **الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير (1730-1811م)**

- **مولده ونشأته:** هو العلامة الشيخ سيدي المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي، ولد سنة 1142ه / 1730م بمنطقة تدعى كثيب أدغال بالأزواد[2] موطن كنته الشرقيون، نشأ في بيئة صحراوية على الطريقة التقليدية في وسط ثقافي رفيع، حيث التحق بالكتاب وهو في سن مبكرة فحفظ القرآن الكريم على يد أخيه الأكبر، وعلى جدّه لأمه، ولما بلغ سن الثالثة عشر من عمره رحل لطلب العلم داخل صحراء أزواد، وظلّ يتنقل بين الأحياء يتعلم الفقه حتى وصل به المقام إلى الشيخ سيدي بن نجيب الذي يعدّ من أعلى الشخصيات

---

[1]- الحسين حديدي: المرجع السابق، ص ص329-332.

[2]-**الأزواد:** وهي أرض كبيرة تعني في لغة بنى حسان الوادي المنبسط، أما عن حدودها الجغرافية فتأتي أروان، تقطنها عدة قبائل منها قبيلة كنتة والفولان والبرابيش، بيوتهم بسيطة مبنية من الطين والقش سكنها الشيخ المختار الكنتي وأباءه وأجداده، ولقد عرفت الأزواد بخيراتها، ومياهها، وحركة تجارها، يمارس أهلها رعي الأغنام والإبل، ينظر، محمد محمود الأرواني: المصدر السابق، ص26.

القادرية سندًا في المنطقة فأخذ عنه الأوراد القادرية [1] ودرس عليه الفقه، مختصر الخليل ومنظومة ابن العاصم، كما تعلم منه في فن النحو وفي فن الأصول، وفي الحديث أيضًا حيث أخذ منه الصحاح الست وجامع الأصول لابن الأثير، وجامع السيوطي وشفاء القاضي عياض وغيرها.

وبعد أن أكمل الشيخ مختار الكنتي دراسته وتكوينه، وتربيته الصوفية منحه الشيخ علي نجيب إنجازات تشهد بعلو كعبه في العلوم والمعارف وبمقامه في الطريقة القادرية، وقد أمره شيخه بالرجوع إلى وطنه بالأزواد ورجع إليها فعلًا،هكذا وبعد أن استقرّ به المقام ببلاده استطاع بفعل كرامة خصه الله بها أن يعيد تنظيم أمور بلاده المتدهورة نتيجة الفساد الذي حلّ بها، وقد تزامن ذلك مع وفاة شيخه علي نجيب فأخذ عنه زمام القيادة في الطريقة القادرية في الصحراء باعتبارها يعد أقرب المرتدين إليه وأوسعهم علمًا، وأرفعهم مكانة روحية. وباشر يقوم بأنشطة مختلفة ومكثفة حتى ذاع صيته في العديد من المناطق وأقبل عليه الناس من مختلف الجهات[2].

---

[1]-محمد بن سيدي محمد مولاي: "**التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط**"، ط1، دار يوسف بن تاشفين ودار ، الجمهورية الإسلامية، الموريتانية، 1429ه / 2008م، ص 283، محمد السعيد بن سعد: "**الشيخ سيدي مختار الكنتي العقبي حياته وآثاره**"، مجلة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، ع 7، ماي 2016م، ص ص28-29، نور الدين كنتاوي: "**الشيخ المختار الكنتي الكبير حياته ومآثره**"، مجلة رفوف، ع 8، ديسمبر2015م، ص 271.

[2] قاسم جاجاني: "**جهود أعلام الزاوية المختارية الكنتية في إحياء الفكر الصوفي وبثه في المغرب وافريقيا جنوب الصحراء**"، أعمال ملقى تيزنيت الدولي للثقافات الافريقية الدورة الثالثة، تنسيق: ماء العينين النعمة علي، جمعية الشيخ ماء العينين للتنمية والثقافة، الرباط، 2016، ص 303.

- مساهمته في نشر الطريقة القادرية بالسودان الغربي:

بذل الشيخ المختار الكنتي جهودًا كبيرة في إرسال قواعد الطريقة القادرية وبناء صرفها، فقد أنشأ الشيخ زاويته المشهورة في منطقة الأزواد –قرية بلنوار – سنة 1753م لتصحيح منارة للعالم قيمًا له وقبلة للمتصوفة والمريدين في كل الجهات والأقطار في الصحراء والسودان، وبتأسيسه لهذه الزاوية انشرت أوراده القادرية في عدة مناطق خاصة بمنحى نهر النيجر والسنغال.

وقد سارت دعوته القادرية المختارية جنبًا إلى جنب مع نشاطه الدعوى لنشر الإسلام بين الشعوب الوثنية من الماندينغ والفلان والبمبارا، وكان الشيخ حينها السيد الذي وطد وأنار للمشايخ طريقة إيمانهم، والزعيم الذي بذل جهودا كبيرة في نشر الإسلام بين الشعوب الوثنية.

وإلى جانب الدور الذي لعبه الشيخ بتدريس في زاويته كان يقوم بجولات قادته إلى مناطق شاسعة في النيجر، وما وراء السنغال، وهو ما مكنه من ربط زاويته بمريدين داخل بلاد السودان الغربي سواء كانوا قد أخذوا عنه كما هو شأن الأسرة الفودية في سو كوتو[1].

هذا وقد كان الشيخ المختار الكنتي نابغة في العلم والتصوف، واشتهر شهرة كبيرة فاقت كل التصورات، وله مؤلفات عدة في مختلف فنون العلم نذكر منها: فتح الودود، شرح المقصور والممدود لابن مالك، والألفية في العربية والأجوبة المهمة لمن له بأمر الدين همة وغيرها [2].

وفي سنة 1126ه/1811م توفي الشيخ بمنطقة بولندار التي تقع حاليًا بشمال مالي ونفوذه الصوفي والديني يشمل كل بلاد السودان الغربي تقريبًا [3].

---

[1]مريم نبت عبد الله ولد باب الدين: المرجع السابق، ص 80.

[2]محمد بن سيدي محمد مولاي: المصدر السابق، ص 283.

[3]محمد الصالح حوتية: **آل كنته**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008، ص 232.

❖ **الشيخ سيدي محمد بن المختار الكنتي: (ت 1241ه / 1826م[1])**

وهو الابن الخامس لأبيه الشيخ سيدي مختار الكنتي، ويعدُّ كذلك أحد أبرز مشايخ الطريقة، ولد حوالي سنة 1179ه / 1765م بمنطقة الأزواد، تربى في كنف والده وتلقى تربية عربية إسلامية وكغيره من الكنتيين درس العلوم الشرعية، حيث كان والده الذي تتلمذ على يده من صغره بالزاوية الكنتية بالأزواد قد أعانه على مواصلة التعلم والنهل من العلوم الشرعية من المهد إلى اللحد.

ولنبوغ الشيخ محمد المختار الكنتي في عدة فنون ومنها الباطنية مكنه والده من تصدر الولاية، وإعطاء الأوراد بعدما كان قد منحه إجازة في ذلك.[2] وعلى الرغم من قصر المدة التي قضاها هذا الأخير في خلافة والده فقد سار على نفس نهجه في نشر الإسلام، والطريقة القادرية، حيث كان الشيخ محمد الكنتي الذي امتاز بالنجابة وغزارة العلم قد أولى اهتمامًا كبيرًا بمريدي القادرية من الشعوب السود، فقد كان يراسلهم ويبذل لهم النصح في أدق التفاصيل التي تطرأ على مناطقهم، وإلى جانب ذلك كان الشيخ يختار منهم الخواص يوكل لهم بعض المهام كما هو شأن مريدية نوح بن طاهر الفلاني السنقري الذي كان الشيخ قد اختاره ليكون مبعوثه إلى الأمراء في سوكوتو وماسينا[3].

إما بخصوص مساهمته العلمية فتتمثل في عدة مصنفات منها: شرحه لتحفة المدود وترجمان المقال ورافع الأشكال لشرح الأفعال وغيرها. هذا ويعد كتاب الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد من أهم مؤلفاته التي أنجزها وذلك بسبب المعلومات الغنية الذي يحتويها حول تاريخ كنته ونسبهم ومآثرهم وإنجازاتهم الروحية والفكرية،

---

[1]ـــ بول مارتي: القبائل البيضانية...، المرجع السابق، ص 156.

[2]بول مارتي، كنتة الشرقيون...، المرجع السابق، ص 79، محمد الصالح حوتية، آل كنته...، المرجع السابق، ص 232.

[3]الحسين حديدي: المرجع السابق، ص 363، مريم بنت عبد الله ولد باب الدين: المرجع السابق، ص 82.

والذي يناول كذلك معلومات تتعلق بمختلف العلوم العربية والإسلامية وهذا ما يدل على سعة اطلاع الشيخ وتبحره في مختلف الفنون العلمية[1].

❖ الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي (1281ه/1865م)

يعدّ الشيخ أحمد بكاي نجل الشيخ محمد بن المختار الكنتي الكبير المولود حوالي 1803 بالأزواد شمال شرق تنبكت أحد أبرز الشخصيات الكنتية خلال القرن 19م في السودان الغربي، تربى هذا الشيخ في كنف أسرة صوفية عرفت بدفاعها عن الورد القادري في المنطقة، وقد تعلم مبادئ التصوف القادري عليها حتى صار هذا الأخير من أهم رُوَّاد الطريقة وأبرز الخلفاء في الزاوية الكنتية، ومن المهتمين أيضًا بمستقبل الطريقة والمدافعين عن نفوذها الروحي، حيث عمل على إشعاع الورد القادري الكنتي ونشر العالمية على نطاق واسع مستفيدًا من المكانة، والخطوة المهمة التي حظي بها في أسرته ومجتمعه [2].

وهكذا فقد لعبت قبيلة كنته وشيوخها دورًا مهمًا في نشر الورد القادري خاصة الشيخ المختار الكنتي المجدد خلال القرن 18م هذا الأخير الذي انتشر معه إشعاع تعاليم الطريقة التي امتدّت نفوذها في مجال واسع انطلاقًا من الزاوية الكنتية بالأزواد نحو مناطق غرب أفريقيا وحواضر المغرب الأقصى شمالًا خلال القرن 19م [3].

ب- اهتمام زعماء القادرية بنشر أوراد الطريقة في الحواضر:

- جهود زعماء قبيلة كنتة في نشر الطريقة القادرية الكنتية بالبلدان المغاربية باشعاع الطريقة القادرية الكنتية في مجال البيضان وصلت أصداؤها إلى المغرب الأقصى خلال القرن 13 ه/19م على يد ثلة من العلماء المغاربة الذين اخذوها عن الشيخ المختار

---

[1] محمد الصالح حوتية: آل كنته...، المرجع السابق، ص 99.

[2]بول مارتي: كنتة الشرقيون...، المرجع السابق، ص 99، الحسين حديدي: المرجع السابق، ص337.

[3]الحسين حديدي: المرجع السابق، ص 362.

الكنتي، أمثال العالم الجراري يحي بن عبد الله بن مسعود البكري المتوفي حوالي 1260ه/1844م[1].

وعمومًا فقد كانت الطريقة القادرية من أوسع الطرق وأعمقها في السودان الغربي سيما بعد انتشار الإسلام بين مختلف صفوف الشعوب الزنجية، فقد أصبح الإسلام دين الأغلبية بعد أن اعتنقه الملوك الوثنيين على طول الطرق التجارية وصارت مدينة كانو في المنطقة مركزًا لنشاط الدعاة على نطاق واسع في أقصى الجنوب والغرب.

إضافة لذلك فقد امتدت الطريقة حتى وصلت بلاد الهوسا وكانم، وبرنو، إلى جوبير وإلى باقي الأجزاء الأخرى من السودان الغربي محاولة القضاء على الخرافات والتخلص من بعض العادات المحلية المنافية للشريعة الإسلامية، وبفضل الجهود المخلصة لمشايخ الطريقة في نشرهم لتعاليم هذا الورد وتلقينه لشعوب المنطقة دخلت أغلب الشعوب الوثنية في الدين الإسلامي الحنيف[2].

وقد ظلت الطريقة القادرية التي عملت على الإرشاد واستخدام كل وسائل الترغيب في نشر الإسلام وتعاليمه مسيطرة على الحياة الروحية والسياسية في السودان الغربي حتى القرن 19م، حيث قدمت البلاد عددًا من أكبر رجاله الذين رفعوا راية الجهاد من أمثال الشيخ عثمان بن فودي، والشيخ أحمد لوبو[3] غير أنَّ صفوف الطريقة بدأ في التراجع عندما دبت الصراعات بين أقطابها في كل من ماسيا (الشيخ أحمد الثاني الذي

---

[1] الحسين حديدي: المرجع السابق، ص ص 339-340.

[2] حسن علاء ابراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص ص 262-263.

[3] **أحمد لوبو:** وهو أحمد لوبو باري بن أحمد حمدو لوبو ولد في قرية يوغونسيرو بماسينا سنة 1189ه-1775م، تتلمذ في صغره على يد معلمين علماء من مشايخ الطريقة القادرية من أسرته بمسقط رأسه ، ثم سافر بعدها نحوى مدينة جني التي كانت تعد احدى ـــأهم مراكز الثقافة العربية وآدابها على يد كبار ومشاهير العلماء الذين كانوا، يتزاحمون على منابر العلم وكرسي التدريس، وبمجرد عودته شرع هذا الاخير في أداء رسالته التثقيفية، معلما وداعيا إلى الاسلام، ونشر فضائله، كما عمل أيضا على تنقية العقيدة الاسلامية بما علق بها من شوائب المنافية للدين الحنيف، ينظر: أحمد بوعتروس: **الحركات الاصلاحية في أفريقيا جنوب الصحراء ، ابان القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر ميلادي**، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص ص 200-201.

أعلن الجهاد، واسس عاصمته حمد لله)، وتنبكت (الشيخ أحمد البكاي ت 1865م)، على الرغم من هذا كله فإنّ أكبر تحدّي واجهته القادرية هو بروز وتعاظم نفوذ عصبية جديدة ومنافسة تمثلت في الطريقة التجانية [1].

3-2- الطريقة التجانية:

وتعدّ هذه الطريقة من أوسع الطرق انتشارًا في بلاد السودان الغربي، حيث لا نبالغ إذا قلنا إنها أشد إشعاعًا وتوهجًا من كل الطرق الأخرى التي شهدتها البلاد منذ الربع الأول من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا.

تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الشيخ سيدي أحمد بن محمد سالم التيجاني المولود سنة 1150ه / 1737م بواحة عين ماضي عند سفوح جبال أمور وإلى الجنوب من مدينة الأغواط، تلقى تعاليمه الأولى بمسقط رأسه، ثم رحل بعد ذلك نحو المدن الإسلامية وظل ينتقل بينها حتى وصل سنة 1171ه/1537م بفاس حيث أقام بها قصد استكمال دراسته التي قطع فيها أشواطا مهمة بعين ماضي، وقد كان لحضوره بالمدينة فرصة مواتية بالنسبة له من أجل التعرف على مختلف الطرق الصوفية السائدة فيها.

وعلى هذا الأساس فقد أخذ العلم على كبار فقهاء وشيوخ جامعة القرويين كما تعرف الشيخ أيضا على أوراد العديد من الزوايا كالناصرية والقادرية والخلواتية، وفي سنة 1176ه/1762م شدّ الرحال نحو مدينة تلمسان ومكث فيها مدة طويلة تفرغ خلالها لتدريس القرآن الكريم، والحديث ثم أتجه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وذلك سنة 1773م مرورا بتونس والقاهرة.

وفي سنة 1215ه/1800م وبعد أن استقر الشيخ أحمد التجاني بفاس قام الأخير بتأسيس زاوية ثانية بحومة "الدرداس" المعروفة اليوم بحومة البليدة بعد الزاوية الأم لعين ماضي فصار على عدد كبير من الاعيان والمريدين، وقد بقي الشيخ يدرس ويربي حتى

---

[1] الحاج موسى أحمد كامره: المرجع السابق، ص 51.

وفاته سنة 1230ه/1815م[1] وبوفاته انتشرت طريقته حتى وصلت موريتانيا وإلى أعظم مناطق السودان الغربي.

- امتداد تعاليم الطريقة التيجانية بالسودان الغربي

يرجع الفضل في نشر تعاليم التجانية في السودان الغربي إلى قبيلة "**اداوعلي**" التي لعبت الوصل الرئيسية بين فرعي التجانية بالمغرب، وما وراء الصحراء حيث يعد اول من انخرط في الطريقة بالصحراء الكبرى شيوخها الذين اتجهوا نحو فاس بهدف مواصلة دراستهم هم أول من انخرط في هذه الطريقة ونشروا تعاليمها، وتلقوا مختلف العلوم الإسلامية مباشرة من الشيخ سيدي التجاني نذكر منهم:[2]

❖ **الشيخ محمد الحافظ العلوي الشنقيطي:**

وهو الشيخ محمد الحفيظ بن المختار بن الحبيب المدعو باجي، ولد حوالي سنة 1173ه/1760م بشنقيط[3] ويعد من أبرز الشخصيات السودانية البارزة، ويتفق أغلب المؤرخون أنه أول من أدخل تعاليم التيجانية إلى غرب افريقيا بعد رحلة طويلة قادته إلى مكة حيث قرر الانضمام لعدد من الحجاج المغاربة العائدين من فاس لزيارة الشيخ أحمد والأخذ عنه فالتقى به وأخذ عنه ورد الطريقة وأجازه الشيخ التجاني في تلقين الطريقة

---

[1]-احمد الازمي: المرجع السابق، ص 53-54

[2]-غزلان بوحنيفة: "**دور الزوايا والطرق الصوفية في تمتين العلاقات المغربية الافريقية، الطريقة التجانية نموذجا**"، التصوف...، المرجع السابق ،ص213

[3]-**شنقيط:** وتكتب بالقاف والجيم ،وتفسير كلمة شنقيط معناها "عيون الخيل" تم تأسيس هذه المدينة سنة 660ه ونشروا تعاليمها1262م على انقاض قصر آبير المتأسس سنة 160ه/772م من طرف قبيلة ادوعلي ولقلال ،لكن المدينة لم تشهد ازدهارها الحقيقي إلا في القرن 12م ،بعدما اصبحت مركز لانطلاق الحجيج من غرب الصحراء كما اشار إلى ذلك الخليل النحوي "وما عرف هذا الاسم إلا بعد بروز مدينة شنقيط كعاصمة للعلم ومنطلق للحجيج" ،هذا وقد اعطى الشنقيطي احمد الامين في كتابه الوسيط حدودا وضحة المعالم لما يعرف عنده ببلاد شنقيط فذكر انها تمتد من الساقية الحمراء وهي تابعة له وجنوبا قاع ابن هيبة وهو تابع له ايضا وشرق ولاته والنعمة وهما تابعان له ايضا وغربا بلاد سنكال المعروفة عند اهل شنقيط باندر **ينظر:** السعدي، المصدر السابق، ص 127. مريم بنت عبد الله ولد باب الدين: المرجع السابق ،ص 13 ،الخليل النحوي: **بلاد شنقيط المنارة.. والرباط**، مكتبة المنتدى الاسلامي، تونس،1987 م، ص 72.

لأهل موريتانيا والسودان[1]، وبعد عودة الشيخ محمد الحفيظ إلى بلاده شرع هذا الخير في نشر أفكار الزاوية حيث نجح في ذلك إلى حد كبير، وانتشر خبره وهرع إليه المريدون من كل الجهات من علماء وغيرهم، ولعل أبرز شخصية علمية أخذت عن الشيخ محمد الحافظ العلوي وكان لها دور كبير وفعال في انتشار الطريقة في بلاد السودان الغربي هي شخصية سيدي مولود[2] فال اليعقوبي وإلى السيد فال وشيخه الشيخ محمد الحافظ ترجع الأسانيد الحافظية في السودان الغربي.

أما عن النشاط التجاني الحافظي فعلى الرغم أن الطريقة التجانية قد تأخرت في الظهور، الثلث الأول من القرن 19م بالمقارنة مع الطرق الصوفية الأخرى إلا أن هذه الأخيرة قد تمكنت في ظرفٍ وجيزٍ أن تكتسح المجالات التي وصلت إليها بسرعة فائقة، وأن تثبت أقدامها. فقد وصلت الطريقة التجانية إلى السودان الغربي أولا على يد أقطاب الاتجاه الحافظي كسيدي مولود فال وشيخها الشيخ محمد الحافظ العلوي، وإذا كان هذا الأخير لم يؤثر عنه الوصول إلى مناطق السودان الغربي إلا أن مريديه سيدي مولود فال قام بجولات كثيرة قادته إلى مناطق مختلفة داخل السودان الغربي خلف فيها العديد من المريدين والاتباع الطريقة التجانية.

وتنتسب للسند زوايا كبيرة في السنغال ومالي، ومن هذه الزوايا التي أسسها شيوخ كبار للتجانية الحافظية انتشرت الطريقة التجانية إلى الداخل وتعمقت في نفوس السودانيين بلى ويرى بعض الباحثين أنها سحبت البساط من طرق أخرى كانت متصدرة في السودان

---

[1]-بن يوسف تلمساني: **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني – الأمير عبد القادر – الادارة الاستعمارية)** "**1782–1900**"، مذكرة ماجستير، اشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1997/1998م، ص113، غزلان بوحنيفة، المرجع السابق، ص 213–214.

[2]-**سيدي مولود:** وهو سيدي مولود فال بن محمد فال بن الامين بن المختار بن ألفغ موسى اليعقوبي نسبا العلوي وطنا (1773–1850)، أخذ الطريقة التجانية على يد شيخه الشيخ محمد الحافظ العلوي، وحبا في الشيخ التجاني سافر إلى فاس إلا انه لم يلقي بالشيخ التجاني، وفي اثناء رحلته الثانية لفاس التقى بشيوخ كبار كمحمد الغالي، استقر في قبيلة ادواعلي، وساهم إلى حد كبير في إنتشار الطريقة في السودان الغربي ينظر: مريم بنت عبد الله ولد باب الدين: المرجع السابق، ص 102

الغربي، إذ يرى خديم سعيد امباركي انه في النصف الثاني من القرن 19م تراجع نفوذ الطريقة القادرية عن مناطق السنغال على كل حال ظل تقلص النفوذ القادري في السنغال مستمرًا منذ بداية النصف الثاني من القرن 19م وانحصر في الفوتاتورو انحصارًا كاد يكون كليًا بسبب حركة الحاج عمر الفوتي.

***الحاج عمر الفوتي ودوره في نشر تعاليم الطريقة التجانية بالسودان الغربي:** لقد عرفت الطريقة التجانية انتشارًا واسعًا في المنطقة، وذلك بفضل الجهود الجبارة التي بذلها هذا الشيخ لخدمة هذه الطريقة في المنطقة فهو الفقيه الصوفي المجاهد الذي زاوج بين القيام بالدعوة للطريقة التي انخرط فيها، وبين الجهاد ضد الوثنية وذلك بهدف تمكين العقيدة الإسلامية بين مختف شعوب المنطقة[1].

كان الشيخ عمر الفوتي قد أخذ عن الشيخ عبد الكريم بن أحمد – وهو من علماء فوتا جاو البرازين – الأوراد اللازمة للطريقة، ثمّ ذهب الشيخ عمر الفوتي للحج وذلك سنة 1830م، وقضى مدة يتنقل بين مكة والمدينة، وتعرف حينها تحديدًا بمكة على أحد زعماء التجانية، فالتحق بهذه الطريقة وتحمس لها، وأقام أتباع خلفية على السودان وفي أثناء عودته من رحلة الحج التي دامت 15 سنة أمضى فترة يتعلم بحلقات الأزهر، ثمّ عام نحو برنو سنة 1833م واتجه نحو بلاد الهوس أين شرع هذا الأخير في نشر تعاليم الطريقة، ثمّ مضى بعدما نحو بلاد الفوتاجالون، وإلى مختلف مناطق البمبارا أركن واجه حينها بعض الصعوبات وهو يدعى للإسلام [2].

وعلى الرغم من الظروف التي واجهته إلّا أنّ النصر حالفه، وكثر أتباعه ومؤيديه حيث قال عنه في ذلك سير توماس.و.أرنولد: "**إنه كان رجلًا كريم السجايا، ذا نفوذ شخصي ومظهر يوحي بالسيطرة والقوة، اشتهر بعلمه وورعه حتى عدّ مهديا جديدًا**"، وبفضل الانتصارات والنجاحات الدينية والسياسية التي حققها الحاج عمر الفوتي أصبح

[1]–أحمد الأزمي: المرجع السابق، ص 56.

[2]– أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 215.

يحكم إمبراطورية واسعة الأرجاء تمتد من تنبكت إلى المحيط الأطلسي ظلّت تدين له بالولاء طيلة أربعين سنة، وكانت فيها الطريقة التجانية هي الطريقة الرسمية في كل أنحاء المملكة[1].

3-3- الطريقة السنوسية:

وتعد من الطرق التي كان لها الأثر البعيد في نشر الإسلام في السودان الغربي وتنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الشيخ سيدي محمد بن على السنوسي ولد في مستغانم (بالجزائر) وتلقى بها مبادئ الدراسة ثمّ رحل بعهدها نحو فاس حيث تعلم هذا الأخير وتصوف على يد الشيخ عبد الوهاب التازي، ورجال الصحراء إلى الجنوب من الجزائر يعظ الناس ثمّ زار تونس وطرابلس وبرقة[2]، ثمّ رحل بعد ذلك إلى الأزهر فتعلم به وعلم، ثمّ سافر إلى الحجاز أين التقى حينها بكبار المشايخ واستفاد بعلمهم، وأعجب بالكثير منهم، وأدرك السنوس حاجة الدعوة الإسلامية إلى الإصلاح فراح يعمل لذلك بحزم وإصرار فأنشأ زاوية في جبل "أبي قبيس" بالقرب من مكة المكرمة ثم تبعها بزاوية أخرى بالقرب من الطائف والمدينة المنورة وبدر وجدة.

ثمّ أحسّ مؤسس السنوسية أنّ إفريقية أولى بحركته فغادر الحجاز إلى مصر، ثمّ إلى طرابلس، وفي سنة 1843م أنشأ الزاوية البيضاء بالجبل الأخضر، وكثر تلاميذه، وانتشرت طريقته فارتابت الحكومة العثمانية في أمره فانتقل نحو مدينة (الجغبوب) التي جعل منها مركزًا لنشر الإسلام بين الزنوج الوثنيين، وتغلغلت الطريقة في عدة مناطق مختلفة حيث ضمت الزوايا آلافا من الشخصيات من مختلف الأقطار والجنسيات يجمعها كلها دين واحد، وهو الدين الإسلامي، وبذلك انتقلت الطريقة السنوسية من حركة إصلاح داخلية في الإسلام نفسه لتنظم إلى ذلك حركة تعاليم الدعوة، وأصبحت عدة قبائل إفريقية

---

[1]- عطية عبد الكامل: **دراسة في التاريخ والتراث**، مطبعة الرمال، 2019م، ص ص85-86.

[2]-دريسا تراوري: **التصوف وتطوراته في مالي**، أعمال ملتقى تزينيت الدولي للثقافات الافريقية الدورة الثالثة...، المرجع السابق، ص 277.

كانت من قبل وثنية أو مسلمة إسلامًا اسميًا أصبحت من أتباع الإسلام المتحمسين له من أن حلّ فيهم دعاة السنوسية [1].

وقد تمكن السنوسية كغيرها من الطرق الأخرى من بسط نفوذها على مناطق مختلفة منها بلاد واداي حيث عهد السنوسي إلى وسيلة مباشرة بهدف بسط نفوذه عليها، فقد اشترى قافلة من عبيد البرقو كان البدو قد تمكنوا من الاستلاء عليها عند حدود مصر، وجاء بأفرادها إلى "جغبوب" حيث تعرفوا على تعاليم السنوسية، ثم أعتقوه وعادوا إلى بلادهم مبشرين، وراح شعب الواداي منذ ذلك الحين يفدون إلى جغنوب لهدف طلب العلم.

وما زاد من انتشار الطريقة في المنطقة هو السنوسي الأكبر كان أثناء إقامته بمكة قد التقى بالأمير محمد الشريف الذي أصبح سلطان على واداي منذ سنة 1252ه / 1835م، وقبل أن يدخل الطريقة في سلطته وظلّ من أكبر مؤيديه حتى وافته المنية سنة 1859م [2].

ثانيا: اسهاماتهم في الجانب الثقافي والعلمي:

1- نشر اللغة العربية:

والحديث عن الثقافة في بلاد السودان الغربي يقودنا إلى التوقف على مظهر آخر من مظاهر التأثير المغاربي والمتمثل في نشر اللغة العربية، حيث عرفت هذه الأخيرة طريقها إلى المنطقة مع التجار المهاجرين الذين ساهموا في الدين الإسلامي، وزيادة عدد المسلمين الموجودين في المنطقة، لذا فإنّنا نتحدث أيضًا عن دورهم في نشر العربية كما هو معلوم مرتبط بتعلم القرآن الكريم والسنة وأمور الدين وبما يتعلق بها من آداب وفنون [3].

---

[1]-أحمد شلبي: المرجع السابق، ص ص216-217.

[2]-مهدي زرق الله أحمد: أحمد المرجع السابق، ص ص113-114.

[3]-عبد العلي الودغيري: المرجع السابق، ص 35.

1-1- عوامل انتشار اللغة العربية في السودان الغربي:

لقد ساعد على فهم وانتشار اللغة العربية في مختلف المجتمعات السودان الغربي عدة عوامل نذكر منها:

أ. **العامل الديني:** فحينما انتشر الإسلام ورسخت مبادئه وتعاليمه انتشرت اللغة العربية، حيث سارت تنتشر وتستقر حيث يستقر، وربما ساعد على ذلك ما أفتى به أغلب العلماء المسلمين من عدم جواز ترجمة القرآن الكريم إلى غير اللغة العربية، ووجوب القراءة بها في الصلاة، وهو ما دفع أغلب الشعوب إلى تعلمها واتقانها، وبذلك فقد وجدت اللغة العربية في ربوع هذه المنطقة تربة خصبة طرية فيها بجذورها، هذا وتحث الرحال الجغرافي كادومستو بعد زيارته للمنطقة بأنها يوجد بها عدد من رجال الدين من الشعب الذي يسمى الصنهاجة، أو العرب الذين كانوا مستشارين لملوك السودان في تنفيذ أحكام الشرع[1].

ب. **دور التجار:** لقد كان للتجار دورٌ كبيرٌ في نشر اللغة العربية في بلاد السودان الغربي خاصة بعد انتشار الإسلام في المنطقة أين كثروا عددهم وأقاموا مراكز استقرار لهم. فقد كان هؤلاء التجار هم الوسيلة في نشر الإسلام، واللغة العربية، فكانوا ينتقلون عبر مختلف المدن الداخلية للمنطقة إلتماسًا للتجارة، ويستقرون بها مدة من الزمن، وفي أثناء إقامتهم كان هؤلاء التجار يخالطون الناس، ويتعاملون معهم، وينشرون الإسلام من خلال المعلومات، مما كان له الأثر في نشر اللغة العربية من مختلف شعوب المنطقة إذا ما اعتنقوا الإسلام صار واجبًا الإلمام ولو بشكل قليل باللغة العربية.

[1]- امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص 177.

وإلى جانب الدور التجاري الذي كان يقوم به هؤلاء التجار كان الكثير منهم خاصة الأثرياء يقوم بإنشاء كتاتيب وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية[1].

ج. ومن العوامل التي ساعدت أيضًا على نشر اللغة العربية وفهمها، هو انصهار المغاربة في مجتمع السودان الغربي نتيجة الزواج والمصاهرة، كما أنَّ أغلب أهالي المنطقة كانوا حريصين على تعلم لغة القرآن من أجل حفظه وفهمه، وإلى جانب أيضًا فقد حرص سلاطين مالي وسنغاي على الإكثار من بناء المساجد التي كانت تتخذ بجانب العبادة مكانًا للتعليم والتدريس، وكان أئمة المساجد وخطبائها من أصحاب اللسان العربي، وكانت الخطبة تلقى بالعربية، ويكون بالمسجد مترجم يبين للناس بلسانهم كلام الخطيب[2].

فخلال عهد مملكة سنغاي الإسلامية عنى الأساقي أنفسهم بقراءة القرآن بلغة جيدة، لذا فقد عملوا على فهم ألفاظه وحروفه حتى بعضهم كالأسقيا داوود اتّخذ شيخًا حافظ يعلمه القرآن وحفظه، فكثر بذلك عدد القراء في المنطقة ممن يقومون بتعليم القرآن الكريم واللغة العربية، وهو ما أدّى إلى سهولة التخاطب والتعامل بين عناصر المجتمع بين المغاربة وبين مختلف شعوب المنطقة.

د. العامل الحضاري: ويعدّ كذلك من العوامل التي ساهمت في نشر اللغة العربية في المنطقة، فقد قرر علماء اللغة العربية أنه إذا التقت لغتان أحدهما ذات تراث حضاري متفوق بلغة أخرى حظها من ذلك التراث قليل، فإنَّ الأمر ينتهي بتغلب اللغة الأولى وسيطرتها، وقد حدث هذا مع اللغة العربية في السودان الغربي، فالمنطقة كان بها عدد كبير من اللغات المحلية ذات التراث الحضاري المتواضع، ولأنّ شعوب المنطقة لم يكن لهم حظ كبير من اللغات بما يؤثر على اللغة العربية، فقد أقبلت هذه الشعوب على

---

[1]–عبله محمد سلطان لطيف: **اللغة والثقافة العربية في غرب إفريقيا في العصر الإسلامي**، أعمال المؤتمر الدولي للغة والثقافة في إفريقيا، المنعقد يومي 27–28 أكتوبر، 2001م، ص 25.

[2]–نفسه: ص24.

تعلم اللغة العربية التي كانت في تلك الفترة لغة الحضارة العربية الإسلامية، وهو ما أدّى إلى انتشار اللغة العربية وسيطرتها على المنطقة [1].

1-2- مرحلة ازدهارها:

لقد شهدت اللغة العربية مرحلة من الازدهار الكبير في ضل الممالك الإسلامية السودانية كمملكة مالي، وسنغاي وكانم برنو، وبلاد الهوسا وغيرها، وفي المرحلة التي بلغ فيها الإسلام أوج انتشاره.

ورغم أنَّ اللغة العربية لم تكن لغة التخاطب اليومي إلّا أنها كانت تستخدم في أداء الوظائف الثقافية والعلمية والإدارية وغيرها[2]، فقد كانت كل الممالك والدول الإسلامية الإفريقية قد جعلت من اللغة العربية لغتها الثقافية والتعليمية والدينية، ومعاملتها التجارية ومراسلاتها ومكاتباتها الرسمية وأدت دورًا بارزًا في نشرها وتعلمها، وفي ظلها وبتشجيع منها نبغ كبار العلماء والمؤرخون الذين أغنوا التراث الإسلامي ومكتبته بجيل أعمالهم ومؤلفاتهم[3].

وتذكر الكتابات التاريخية أنه خلال القرن 10ه / 15م كانت اللغة العربية قد عرفت مرحلة من الازدهار وارتبط ذلك بالنهضة العلمية التي شهدتها مملكة مالي الإسلامية، وهي الفترة التي اشتهر فيها أهم المراكز الثقافية، وظهرت فيها مؤلفات كبار العلماء[4]، هذا وقد شهدت أيضًا مرحلة أخرى من الازدهار خلال القرن 16م وذلك بسبب دخول المعارف إلى سنغاي وقياهما بدور فعال في ميدان الثقافة العربية الإسلامية[5] فقد برزت الحركة الفكرية بصورة أكبر في عهد الأسقيا داوود الذي شجع على تعلم اللغة العربية،

---

[1]-محمد عبد الله عبد الله محمد النقيرة: المرجع السابق، ص 146.

[2]-عبد العلي الودغيري: المرجع السابق، ص 36.

[3]-نفسه، ص 100.

[4]-جعفر الله محمد شبو: **الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في دولة مالي الإسلامية في العصور الوسطى بين 5-ه /12-15م**، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2008م، ص ص129-130.

[5]-محمد فاضل علي باري: وسعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص ص125-126.

والعلوم الإسلامية فقد كان من الملوك الذين أجادوا العربيية حيث كان حافظًا للقرآن الكريم، وله خزائن كتب ونسّاخ ينسخون له، وكان يهادي العلماء من خزائنه، حيث قال عنه في هذا الصدد محمود كعت: "**وكان الأسقيا داوود سلطانًا مهيبًا فصيحًا خليقًا بالرياسة...وهو أول من اتّخذ خزائن المال حتى خزائن الكتب، وله نسّاخ ينسخون له كتبًا، وربما يهادي بها العلماء، وأخبرني كبير دُنّك...أنّه حافظ للقرآن، قرأ الرسالة فأتمّها، وله شيخ يعلمه، ويأتيه الشيخ بعد الزوال ويقرئه إلى الظهر**"[1].

1-3- مظاهر انتشار اللغة العربية في السودان الغربي:

لا شك في أن اللغة العربية لعبت دورا أساسيا في السودان الغربي، فخلال العصور الوسطى ساهمت الممالك الإسلامية بالمنطقة مساهمة فعالة في ترسيخها بين السكان بل وفي نقل الحضارة والفكر الإسلاميين إلى هذه المناطق، وارتبطت الدعوة الإسلامية باللغة العربية، وسار نشر الإسلام بالسودان الغربي واللغة العربية جنبا إلى حنب فضلا عن الدور الذي لعبته في تاريخ المنطقة اقتصاديا، سياسيا واجتماعيا، وقد كان المسلم في بلاد السودان الغربي يحترم ويقدر اللغة العربية لأنها لغة القرآن بالدرجة الأولى، لقد كان القلم العربي معروفا في المنطقة منذ القدم عن طريق القوافل التجارية التي كانت تنتقل من البلدان المغاربية متجهة إلى ما كان يسمى السودان الوسط والغربي، فتصل إلى أهم المراكز التجارية مثل تنبكتو والهوسا وكانم – برنو وغيرها، ولقد لعب المغاربة في توجيه القوافل التجارية العابرة للصحراء[2].

لانتشار اللغة العربية في بلاد السودان الغربي مظاهر عدة نذكر منها:

---

[1]-عبد العلي الودغيري: المرجع السابق، ص 79.

[2]-علي هدهودي: "**المدارس القرآنية بافريقيا الغربية ودور المغرب في نشر اللغة العربية**"، **العلاقات المغربية الافريقية**...، المرجع السابق، ص113.

أ- اللغة العربية لغة تواصل:

مع تدفق الإسلام بين مختلف شعوب المنطقة أصبحت اللغة العربية هي اللغة الأولى بين المجالات، حيث صارت لغة التجارة[1]، ولغة الفقه أي المعاملات والعبادات ثم ما لبثت أن صارت لغة الشارع نفسه، فانقرضت اللهجات التي كانت تسهل التبادل التجاري وقربت المدن وأحوازها بالكامل[2] ولكي تكون التجارة ذات مفعول كان لا بد لها من لغة التخاطب بين التجار وعملية البيع والشراء من خلال العلاقات التجارية توطدت الصلة بين الأفراد، وبما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية فكان طبيعيا أن يتعلمها ويلتقطها التجار والأهالي بشتى الوسائل وبالتالي تكون هي المستعملة في ذلك الوقت[3].

ففي مملكة مالي الإسلامية استخدم سكانها اللغة العربية كلغة مشتركة حية في مختلف مجالات حياتهم، الأمر الذي مكن هذه الأخيرة من التأثير الفعال في لغاتهم المحلية من خلال دخول الكلمات ذات الأصل العربي في تلك اللغات المحلية، ومما أكّده سير توماس.و.أرنولد حيث قال منصفاً: "**بلغت اللغة العربية وهي لغة القرآن درجة عظيمة من الذيوع والانتشار، حتى غدت لغت تخاطب بين قبائل نصف القارة السوداء**"، ويضيف أيضًا بقوله: "**وهذا تقدم كبير في الحضارة الإفريقية**" وبهذا ساعدت اللغة العربية أهالي السودان الغربي في الانفتاح على العالم الإسلامي الذي أصبح مفتوحًا أمامهم[4].

ب- البعثات العلمية:

لم يكتف علماء السودان بتدريس طلابهم في مراكزهم الثقافية فقط، بل كان الحكام في عهد مالي وسنغاي يبعثون بطلاب العلم إل المغرب الأقصى لقيموا ويدرسوا على يد علمائها، بينما حرص ملوك سنغاي، وملوك كانم ـ برنو على استقبال العلماء المغاربة،

---

[1]-موسى كمُرا: المصدر السابق، ص66.

[2] -جعفر خلف الله شبو: المرجع السابق، ص146.

[3]- علي هدهودي: المرجع السابق، ص ص113-114.

[4]-سحر عنتر محمد أحمد مرجان: المرجع السابق، ص 79.

واستقبال الوفود العلمية، وقد كان للعلماء والفقهاء دورٌ كبيرٌ في إنجاز حركة البعثات، إذ كانوا يقتنون لهذه المهمة بعض النجباء من طلابهم، هذا وقد ظهرت الحاجة إلى البعثات العلمية التي تعدّ هي الأخرى كأحد نتائج انتشار اللغة العربية في السودان الغربي[1].

ج- كتابة مؤلفات علماء السودان الغربي باللغة العربية:

تعدّ معظم المؤلفات التي أنتجها علماء السودان الغربي صورة مغربية، فالفقيه أحمد بابا التنبكتي الذي ألف الكثير، فقد اشتهرت المنطقة بكثرة مؤلفاته، وذيل لابن فرحون في كتابه لنيل الابتهاج، ومن العلماء المشهورين أيضًا الذين وضعوا العديد من المؤلفات باللغة العربية عبد الرحمان السعدي هذا الأخير الذي وصل إلى المغرب، ثمّ عاد وألّف كتابه المشهور "تاريخ السودان" الذي ذكر فيه تراجم لأكثر من مائة مؤرخ وفقيه وشاعر جميعهم عبّروا عن فكرهم باللغة العربية منهم المؤرخ محمد بن أبي بكر الونكري الذي كان أستاذًا للسعدي، ومنهم الشاعر محمد بن محمود المتوفي سنة 1565م وغيرهم.

وإلى جانب هذا ظهر عدد من المؤلفين خلال القرن 13ه / 19م عبّروا عن أفكارهم باللغة العربية، وألّفوا عدة كتب بنفس هذه اللغة منهم الشيخ عثمان بن فودي، وابنه محمد بيلو[2] منها على سبيل المثال كتاب "نجم الإخوان وتشبيه الأذهان" للشيخ عثمان بن فودي، وكتاب "اتّفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" لابنه محمد بيلو[3].

---

[1]-عبلة محمد سلطان لطيف: أعمال المؤتمر الدولي للغة والثقافة...، المرجع السابق، ص 26.

[2]-**محمد بيلو**: وهو محمد بيلو بن ابن عثمان بن فودي، تلقى تعليمه الأول على يد والده، ثمّ درس بعدها على عدد من مشايخ بلده، عرف هذا الأخير بسعة الاطلاع على علوم عصره خاصة الفقهية واللغوية، وفي سنوات الجهاد الذي قام به والده كان محمد بيلو بمثابة الساعد الأيمن له، فخاض المعارك وقام بكتابة بعض الرسائل ردًا على محمد الأمين الكانمي، = وعن غيره ممن أنكروا على آل ابن فودي قيامهم بالجهاد ودعوتهم الناس له واعتبروهم مجرد ساعين للسلطة مختلفين وراء الجهاد الذي لا تتوفر لديهم شروطه ولقد كان لمحمد بيلو عدة مؤلفات من أهمها كتابه "اتقان الميسور في تاريخ بلاد التكرور" وهو كتاب جامع اشتمل كل الرسائل تبادلها المؤلف مع محمد الأمين الكانمي أثناء سيطرة آل ابن فودي على أجزاء من برنو، واستنكار محمد الأمين لأعمالهم واعتباره لهم مجرد طالبين لملك وليسوا مجاهدين، ينظر: زبادية: دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء...، المرجع السبق، ص 86.

[3]-جعفر خلف الله شبو: المرجع السابق، ص 146.

د- كتابة اللغات المحلية السائدة في المنطقة بالحرف العربي:

تعد اللغة العربية احدى اللغات الافريقية وأكثرها انتشارا بين سكان القارة شمالها وجنوبها، وهي لغة الكتابة والعلم والدين والحضارة وحتى اللغات واللهجات المحلية في افريقيا قد تأثرت بمفردات اللغة العربية وحروفها إذ أن هناك أكثر من ثلاثين لغة افريقية تستخدم الحرف العربي في كتابتها[1].

مما لاشكّ فيه أنّ اللغة العربية قد تركت بصمات واضحة ومؤثرة في كثير من اللغات المنتشرة في العالم، وحتّى لا نكون مبالغين في القول فإنّه لا يوجد لغة من اللغات المنتشرة حاليًا إلّا واللغة العربية لها نصيب بين كلماتها، ومن بين اللغات التي تأثرت إلى حد كبير باللغة العربية، واستخدمت الحرف العربي[2] في كتابة لغتها منها لغة السنغاي، ولغة الهوسا واللغة الفولانية[3].

-**لغة السنغاي:** وتعد من أقدم اللغات التي عرفت في بلاد السودان الغربي وهي منتشرة حاليا في جمهورية مالي والنيجر وبوركينا ونيجيريا فقد تحدثوا بها بطلاقة إلى جانب لغتهم الأصلية، وقد تأثرت هذه اللغة بالعربية بصفتها لغة الاسلام حيث ذكر اللغويون أن الكلمات العربية في لغة السنغاي كثيرة جدا تصل فيها ما يزيد على (270) كلمة، ويمكن إرجاع سبب هذا التأثير البالغ إلى قدم الصلات بين مملكة سنغاي والعرب لكنها أقرب إليهم من غيرها.

---

[1]-اصلاح محمد البخاري حمودة: المرجع السابق، ص106.

[2]-محمد علي نوفل: **تأثير اللغة العربية في لغة الهوسا**، أعمال المؤتمر الدولي اللغة والثقافة...، المرجع السابق، ص 228.

[3]-خلف الله شبو: المرجع السابق، ص146.

الكلمة العربية	الكلمة السنغية المستعارة
-السبت	-الشبتو
-الأحد	-الهدو
-رمضان	-المدن
-الوضوء	-الولاء
-الاسلام	-التلامتري
-القاضي	-الكالو
-العمر	-الومر
-العافية	-اللافي

الأعلام بالعربية	الأعلام باللغة السنغاي
-فاطمة	-فاتو
-عبد الرحمان	-دما
-أبوبكر	-أبوبكار
-محمد	-دودو
-عائشة	-ايشاتو

-لغة الهوسا:[1]

وتعد لغة الهوسا من اللغات التي تأثرت كثيرا باللغة العربية وخصوصا بعد انتشار الاسلام في السودان الغربي والأوسط، فقد اخذ الشعب الهوساوي يتعلم اللغة العربية ويقوم بتعليمها لأفراده لكونها لغة القرآن ولا يصلح الدين الا بها، مما أدى به إلى بذل جهدٍ كثيرٍ في تعلمه للغة العربية، وبعد انتشار هذه الأخيرة فكر الهوسايون في كتابه لغتهم بالحرف

[1]- إصلاح محمد البخاري حمودة: المرجع السابق، ص ص 108 -109

العربي[1] ولقد وجدت كلمات كثيرة من لغتهم باللغة العربية، وخاصة أسماء تلك البضائع التي كانت تصدر إليها البلدان المغاربية، فنجد في لغة الهوسا أسماء تلك البضائع العربية، فكلمات مثل : السرج، والحرير، والزعفران والقلم، وأمثالها قد وفدت على لغة الهوسا، وتنطق بتحريف بسيط،ساعد على انتشار اللغة العربية والتمسك بها، فضلا عن الجانب الديني أن الكثير من الشعوب في بلاد السودان الأوسط والغربي قد إدعت الأصول الشرقية، فمثلا إدعى ملوك الهوسا وغيرهم أن أصولهم عربية، فأصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية السائدة فيها، واستخدمت عدة أغراض حيث كان منها مجال الحكم والإدارة وغيرها.

كذلك يرجع ظهور بعض الكلمات العربية في لغة الهوسا إلى ظهور الاسلام في السودان الغربي، وتأسيس المدارس القرآنية، فقامت هذه المدارس بإدخال الاصلاحات الدينية والسياسية والتجارية في لغة الهوسا، وبذك قامت جميع لغات إفريقيا العربية ك(الفولاني) و(الولوف) و(الماندنجو) وغيرها من الشعوب السودانية الأخرى، فالاسلام وبعده اللغة لعربية كان لهما الفضل الأكبر في ظهور ما يعرف بلغة الهوسا والفولاني، هاتين اللغتين قد نقلتا عن العربية الفضحى مباشرة[2].

اللغة الفولانية:

ولها صلة وثيقة بالدين الإسلامي حيث كانت وسيلة لنشر الدين في المنطقة، فقد كتبوا بالخط العربي وما زالت آثاره باقية إلى الآن، وإنّ التشابه كبير بين اللغة الفولانية واللغة العربية، وإنّ اشتقاقات الفولانية تشبه اشتقاقات العربية، ومثال ذلك هو ما ورد في رسالة عبد الله بن فودي الذي يقول: "على أنّ لغتنا اللغة الفولانية كثيرة التوافق باللغة العربية" هذا وقد اقترضت اللغات الإفريقية كثيرًا من العربية وخصوصًا في مفاهيم الزمن

[1] –أحمد إبراهيم دياب: "**علاقة اللغة العربية باللغات الإفريقية**"، أعمال المؤتمر الدولي اللغة والثقافة...، المرجع السابق، ص 13.

[2] –منى محمد عادل سيد حسن: المرجع السابق، ص ص 120–121.

بأسمائها العربية كمصطلح الزمن نفسه، وكذلك الوقت والساعة والمدة فتنطق هذه الكلمات في اللغات الفولانية، والفولانية بغرب إفريقية، مع هي الحال مع تحريف بسيط في النطق[1].

ولطريف أن بعض الافتراضات من العربية جعلت الناس تنسى الأسماء الافريقية المحلية لهذه المفاهيم ونوضح ذلك لبعض منها في الجدول الآتي:

الكلمات الفولانية بالحرف العربي	الكلمات العربية
محمد	ممدو
موسى	موسى
أحمد	آمدو
خالد	كاليدو
عمر	آمر
عبد العزيز	أبد العزيز
عبد الفتاح	أبد الفتاح
عئشة	أيسه
حواء	هواء –هوا
نوح	نوة
إسماعيل	اسمايل
سليمان	سليمان
سعد	سادا
طاهر	طاهير
خليل	كليل
عيسى	ايسى
الحسن	السن

[1]–إصلاح محمد البخاري حمودة: المرجع السابق، ص ص111–112.

والجدير بالذكر أن تأثير اللغة العربية ليس فقط في اللغات الإفريقية بل تركت آثارها في اللغات الأوربية أيضا[1] أما عن تأثير العربي في اللغات السودانية المحلية، فهو واضح بارز لأنها متمسكة بالدين الاسلامية ومظاهر الحضارة العربية الاسلامية حتى اليوم، ولا تزال العديد من الكلمات العربية مستخدمة في بلاد السودان الغربي وفي نواحي شتى من مظاهر الحياة الدينية والعلمية في هذه المنطقة لغة تخاطب بين الجماعات المختلفة اللسان كالطوارق والهوسا وذلك إلى جانب لغاتهم الأصلية[2].

2- التعليم:

أمّا المظهر الثاني من مظاهر التأثير الثقافي للعلماء المغاربة في السودان الغربي فيتجلّى في التعليم ومراحله المنهجية، فقد كانت مدارس الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي تكون مدارس مغربية بحته كأننا في فاس أو مراكش أو القيروان نفس طريقة التدريس، ونفس المواد الدراسية تأثرت بالطابع المغاربي[3].

كان التعليم في بداية الأمر يعتمد على المدارس[4] التي كانت تلحق بالمساجد، وإلى جانب كل مسجد تلحق به غرفة أو غرفتان مخصصة لتعليم الصبيان كما كانت توجد أماكن أخرى مخصصة بالطلبة القادمين من مناطق بعيدة، ولقد كانت أغلب المساجد في البداية مقرًا للتعليم فتعقد فيها حلقات الدرس، وبازدياد انتشار الإسلام في المنطقة ألحقت

---

[1] – صلاح محمد حمودة البخاري: المرجع السابق، ص 110-111.

[2] – نفسه.

[3]– عبد الرحمان جنيدي: "المدارس ونظام التعليم في مدينة تنبكت (تمبكتو) في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي"، مجلة كان التاريخية، العدد 19، مارس، 2013، ص 91.

[4]– وردت كلمة مدرسة في الكثير من المصادر التاريخية التي تتعلق بتاريخ المنطقة، لكن يبدو أنّ المدرسة لا تعني مؤسسة مستقلة كما هو الشأن في العصر الحديث، بل أنها تعني أي مكان للتدريس في المسجد أو خارجه، ويظهر هذا الأمر واضحًا فيما ذكره السعدي في ترجمة الفقيه عبد الرحمان "**...وروي أنّ الفقيه عبد الرحمان بن الفقيه محمود حكى هذه القضية في مدرسته في المسجد...**" ومن خلال هذا النص يظهر أنّ المدرسة في مفهوم السعدي تعني أي مكان للتدريس سواء كان حلقة علم أو غيره داخل المسجد أو خارجه أيضًا، ولكن بعد أن تطور أمرها وزاد عددها نتيجة تطور الحركة العلمية أصبحت تعد بالمآت أصبح على كل مؤسسة، ينظر: عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص ص154-155.

المدارس بالرباط وأصبح يوجد إلى جانب كل زاوية من زوايا الفرق المذهبية والدينية مدرسة لتعليم الصبيان، أمّا في القرى الصغيرة التي كانت لا تحتوي على مساجد فقد يتولّى بها تعليم الصبيان أحد الدعاة في مكان صغير أو حي أو أحد الحوانيت[1].

أمّا بخصوص المدرسين الذين يتولون مهام التدريس والتثقيف فقد كان أول أمرهم محصورًا بالأساتذة القادمين من البلدان المغاربية، وبعد مرور مدة من الزمن تكون طبقة من السودانيين تولت مهمة التدريس بعد أن تلقت تعليمها وتخرجت من المدارس العربية في البلاد المغاربية ومصر، وقد كان أغلب المعلمين السودانيين من رجال الدين الذين تعلموا اللغة العربية، ومارسوا التعليم بها لأنها كانت لغة الدين والثقافة والتجارة خلال ثمانية قرون[2].

2-1- مراحل التعليم ومناهجه:

كان التعليم في بلاد السودان الغربي خلال القرن 10ه / 16م ينقسم إلى مرحلتين أساسيتين هما: مرحلة التعليم الابتدائي، ومرحلة التعليم الثانوي والعالي.

أ- مرحلة التعليم الابتدائي:

وتعرف هذه المرحلة في السودان الغربي بمرحلة التعليم الأولى أو الكتاتيب[3] وهي مرحلة أساسية باعتبارها البوابة الأولى التي تنفذ منها إلى مدراج العلم، فعندما يصل

1- نعيم قداح: **إفريقيا العربية في ظل الإسلام**، مراجعة: عمر الحكيم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ص 141.

2- جعفر خلف الله محمد شبو: المرجع السابق، ص 134.

3- **الكتاتيب**: والمفرد كُتاب، وهي تشبه الآن ما يمكن أن نسميه حاليًا المدارس الابتدائية، ويتعلم فيها الصبيان مبادئ القراءة والكتبة، والحساب وحفظ القرآن وأصول الدين، وكانت الكتاتيب تسمى في المشرق العربي (جامع) وفي السودان الشرقي (الخلوة)، وفي ليبيا (الكُتاب)، وفي بلاد المغرب (جامع)، لأنَّ التعليم منذ الأيام الأولى لانتشار الإسلام بتلك الأنحاء كان يمارس بالجوامع، والكتاتيب في السودان الغربي كانت من بين المؤسسات التي كانت تمثل المرحلة الأساسية من التعليم، والتي كما يبدو كانت منتشرة في جميع القرى والمدن، ولذى حرص الحكام السودانيين على الاهتمام بهذه الكتاتيب وإحيائها، أمّا الدراسة فقد كانت تتم في إحدى الغرف الكتاتيب وإحيائها، أمّا الدراسة فقد كانت تتم في إحدى الغرف المجاورة للمسجد، وعادة ما تتم تحت ظلال الأشجار، وتتم الدراسة في هذه الكتاتيب باللغة العربية، أمّا عن عملية التدريس فيها فقد كان يتولى ذلك القضاة والفقهاء والعلماء وأطلق على هؤلاء اسم المعلم أو الفقيه المدرس أما المتعلمون فسموا بالصبيان، ولقد كثرت الكتاتيب في مدينة تنبكت وجني، وهو ما يدل على حرص الكبير الذي أبداه

الصبيّ سن السادسة من عمره يعهده والده إلى معلمو الكتاتيب بهدف تحفيظه القرآن الكريم، ومبادئ القراءة والكتابة[1].

وقد أفاد صاحب فتح الشكور صورة للطريقة التي تعلم بها عبد الله بن الفقيه الطالب أحمد بن الحاج مصطفى الغلاوي الأحمدي الشنقيطي رحمهم الله تعإلى قائلًا: "**...وكان رحمه الله تعإلى نجيبًا مشى به والده رحمه الله تعإلى إلى شيخ الحقيقة والطريقة محمد بن عبد الرحمان الغلاوي والمساوي يبدأ له لوحده، ولم يكن كتب التهجي، فكتب له لوحة الفاتحة حتى كتب آمين، فقالت أمه رحمها الله تعلى اِمح هذا حتّى يعرف الحروف والتهجي**"[2].

ومن خلال ما ورده البرتلي في هذا النص يتّضح لنا مدى حرص الآباء على تعليم أبنائهم، كما يؤكد النص أيضًا المكانة العلمية التي كانت تحضىى بها المرأة في تلك الفترة، وبين كذلك أنّ هذه المرحلة من التعليم تبدأ بتعليم الصبيان حروف الهجاء قبل القرآن الكريم[3].

أمّا عن طريقة التدريس خلال هذه المرحلة من التعليم فكان يطبق فيها أسلوب التلقين والترديد، فالتلاميذ لا يجيدون القراءة ولا يستطيعون الكتابة بأنفسهم لهذا يقوم المعلم بقراءة الدرس وتلقينه لتلاميذه، ويظلّ يكرر الدرس حتى يتأكد أنهم حفظوه[4].

=أهالي المنطقة بتربية الأطفال تربية دينية إسلامية صحيحة.ينظر: منى محمد عادل سيد حسين: المرجع السبق، ص 111، عمر صالح سالم الفانوسي، المرجع السابق، ص ص227-228، عبد الرحمان ميغا: المرجع السابق، ص 152-153.

[1]-حسين علي ابراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص 303.

[2]-البرتلي: المصدر السابق، ص 170.

[3]-الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص 164.

[4]-عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص 166.

أمّا عن فترات التدريس فقد كانت المدارس تفتح صباحًا نحو ثلاث ساعات بعد الضهر، وفي المساء نحو تسع ساعات، وكان الصبيان يتجهون باستمرار وبالتناوب إلى أماكن التعليم، ويعدّ الصبيّ الذي حفظ القرآن الكريم قد أنهى دراسته[1].

عمومًا فقد كانت مرحلة الكُتاب ضرورية لكل طالب، ولأنّه بدونها لا يتأهل لمواصلة بقية مراحل دراسته، ولقد شهدت مملكة سنغاي بروز عدد كبير من الكتاتيب، وكان أغلبها يشمل على عدد كبير من الصبيان ولقد ذكر الشيخ محمد بن أحمد أنه حضر مكتب المعلم على تكريا يوم الأربعاء بعد صلاة الظهر، وجعل صبيانه يأتونه بخمس ودعات وبعضهم عشر ودعات على عادتهم المسماة الأربع حتى تحصّل قدامه ألف وسبعمائة وعشرون ودعة، وقال الشيخ محمد بن أحمد أسرجت نظري إلى ألواح الصبيان المتخذة في عرصة داره وعددت منها مائة وثلاثة وعشرون لوحًا، وظننت أن تكون جملة القرآن محصلة في تلكم الألواح، ومن خلال هذا يتّضح لنا مدى العدد الكبير من التلاميذ الذين كانوا يرتادون كل الكتاب[2].

ب- مرحلة التعليم الثانوي والعالي:

وتعدّ هذه المرحلة امتدادًا للمرحلة السابقة، فبعدما ينتهي الطالب من مرحلة التعليم الابتدائي يدخل مرحلتا التعليم الثانوي والعالي، ولم يكن لهاتين المرحلتين عرف معين، كما أنّ الفوارق بينهما لم تكن واضحة، ولعلّ مردّ ذلك إلى أنّ كلا المرحلتين كان التعليم فيهما حرّ بالنسبة لانخراط الطلبة[3].

أمّا بخصوص طريقة التدريس وما يميز المرحلة الثانية عن سابقها أنّ المدرس يقدم الكتاب إلى طلبته، ويشرح ما فيه من غموض، كما يقوم أيضًا بالتعليق على المواضيع

---

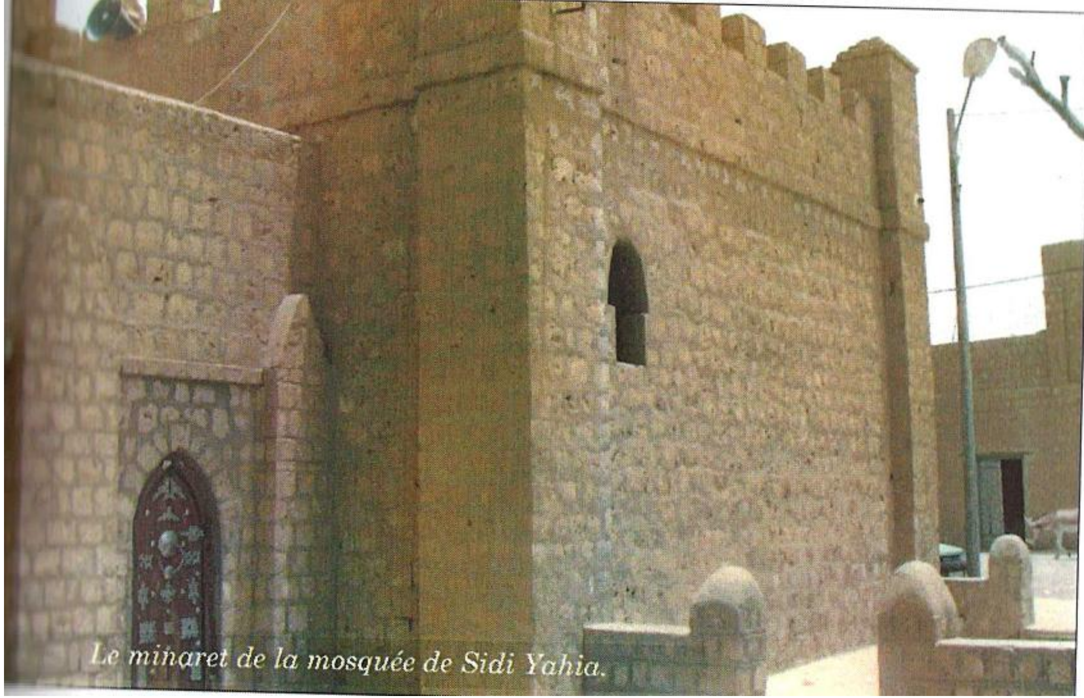
[1]- عبد الحميد جنيدي: المدارس ونظام التعليم في تنبكت...، المرجع السابق، ص 90.

[2]- زيادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 143.

[3]- زيادية: "**حركة التعليم في تنبكتو في بلاد التكرور خلال القرن 16م ودور الأوقاف في ازدهارها**"، مجلة دعوة الحق، ع230، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، أوت، 1983م، ص 44.

التي تحتاج إلى ذلك ويشير إلى مواضع الخلاف، ويورد آراء العلماء فيها، وما توصل إليه نتيجة دراسته وأبحاثه، أمّا الطالب فيقوم بقراءة الكتاب أو ما كتبه على اللوح كلمة كلمة، ثم يقوم المدرس بشرحها.

أمَّا عن مكان التدريس فقد احتضن مسجد سيدي[1]



Le minaret de la mosquée de Sidi Yahia.

الشكل رقم 08: صورة تبين مسجد سيدي يحي بمدينة تنبكت.

نقلا عن: chirfi Moulaye Haidara: op, cit, p 44.

هذا النوع من التعليم، حيث كان يتنقل إليه الطلاب مباشرة بعد أن يكون قد أنهى تعلمه بالكتاب، أمَّا التعليم العالي فتتميز الدراسة بالعمق حيث تدرّس فيه المواد في شكل اختصاص، وتتناول بتفصيلات واسعة، تناقش المسائل فيها على مستوى أمّهات المؤلفات الكبيرة التي عرفها المسلمون حتى ذلك العهد، وكان لا يتولى التدريس من هذا النوع من

[1] – **مسجد سيدي يحي:** ويعد من اقدم المساجد التي عرفتها مدينة تنبكت تم بناؤه حسب ما أورده بعض المؤرخين على يدي ملك مقشرة وذلك في القرن 5ه/11م، ومع بداية القرن 15م تم تجديده، ولقد كان لهذا المسجد دور كبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية في تنبكت. ينظر:

Chirfi Moulaye Haidara: Op،cit، p44.

التعليم إلا أساتذة متضلعون قد أحاطوا بكل جزئيات المواضيع التي يدرسها، وقد كان من بين هؤلاء الكثير من المغاربة.

ومما يدل على تضلعهم أنَّ أمّهات الكتب التي كانت تدرس في البلاد المغاربية كانت تدرس أيضًا في بلاد السودان الغربي خلال هذه الفترة، وقد ذكر الحسن الوزان أنّ العلماء المتضلّعون في مختلف الفروع العلمية التي كانت سائدة في ذلك الحين أنهم كثيرون خلال العهد الأساكي وقد ساهموا بدور كبير في التدريس والتأليف، كما أقبلوا على اقتناء الكتب بأثمان عالية حيث يجمعونها في مكتباتهم التي كانت تشبه في ضخامتها حوانيت كبار التجار.

هكذا وقد اضطلع علماء السودان الغربي خلال عهد الأساكي، وهكذا كانت سعة اطّلاعهم، وبهذا التضلّع وهذه الفسحة في المعرفة كانوا يباشرون مهمة التعليم طول النهار وسط العدد الهائل من الطلاب، وفي هذا الصدد أشار التنبكتي عن عمل أحدهم اليومي وهو محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري فقال: "**يقرئ من صلاة الصبح أول وقته، إلى الضحى الكبير...ثم يقوم لبيته ويصلِّي الضحى...ثم يقرئ في بيته وقت الزوال، ثمّ يصلي الظهر...ويدرس إلى العصر، ثمّ يصليها ويذهب إلى موضع آخر يدرس فيه إلى الاصفرار أو قربه إلى أن صلى المغرب ثم درس في الجامع إلى العاشر ثم رجع إلى بيته...**".[1]

أمّا عن مكان التدريس الخاص بهذا النوع من التعليم العالي فقد احتضنته جامعة سنكري[2] وكان يدرس بها صفوة من العلماء، ونظام الدراسة هو عبارة عن حلقة على هيئة نصف دائرة يجلس المدرس في وسط الحلقة ويجلس أمامه أنجب الطلبة، ومهمته سرد النص فقرة بعد فقرة، ويقوم المدرس حينها بالشرح والتعليق عليه، ويطلق على ذلك

1- زيادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص ص144-145، عمر صالح سالم الفانوس: المرجع السابق، ص 239.

2- نفسه.

الطالب المسرد، ولا يختصّ بالسرد الطالب فقط بل بتطوع عالم أو فقيه لقيام بهذه المهمة[1]، ولقد أفاد السعدي في هذا الصدد بقوله: "...**أبو عبد الله أنذغ محمد بن المختار النحوي بن أنذغ محمد...وهو عالم تقي ورع متواضع واثق بالله شهير في علم العربية مادح لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسرد لكتاب الشفاء للقاضي عياض رحمة الله تعالى في رمضان في مسجد سنكري رحمة الله تعالى ومنهم أبو عبد الله محمد بن الإمام أنذغ...المسرد لكتاب الشفاء للقاضي عياض بعد موت أبيه في مسجد سنكري...**"[2].

أمّا فيما يتعلق بأوقات الدراسة فقد كانت ساعات التدريس تستغرق تقريبًا طول اليوم، ولا يتوقف الطلبة والمدرسين إلا أوقات الصلاة، وقد كان بعض الأساتذة يقومون بالتدريس حتى جزء من الليل وكان الطلبة يجتمعون حول الأستاذ الذي يشرح النصوص ويناقشها معهم[3].

أمّا عن فترة الدراسة التي يقضيها الطالب خلال هذه المرحلة فلم تكن محددة بزمن معين (فصل أو سنة) بل كانت مشروطة بانتهاء الطالب من استيعابه لعدد من العلوم والكتب الفقه والحديث والمنطق والنحو، كان الطالب خلال هذه المرحلة يستمر أكثر من ثلاث سنوات في قراءة موطأ مالك وغيره من كتب المذهب المالكي[4].

وقد ذكر موسى بن أحمد السعدي في هذا قائلا: "ولازمته أكثر من عشر سنين وختمت عليه مختصر الخليل بقراءته وقراءة غيره نحو ثماني مرات، وخدمت عليه الموطأ فهمًا وتسهيل ابن مالك قراءة بحث وتحقيق مدة ثلاث سنين، وقد أفادني كثيرًا "[5].

---

[1]– الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص 166.

[2]– السعدي: المصدر السابق، ص 29.

[3]– عبد الرحمان جنيدي: المدارس ونظام التعليم...، المرجع السابق، ص 90.

[4]– عصمت عبد اللطيف دندش: **دور المرابطين في نشر الإسلام، 430–515ه– 1038–1121م**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408ه–1988م، 166.

[5]– الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص 168.

2-2-مناهجه:

أمّا عن مناهج التعليم ومصادره التي كانت سائدة في بلاد السودان الغربي فهي في أغلبها مغربية روحًا وجسدًا، والمنهج المغربي يبرز منذ الدخول إلى الكتاب والبَدءِ في حفظ القرآن الكريم برواية ورش إلى تعلم الكتابة بخط المغربي المعروف والمتميز بشكله ونقطه وترتيب حروفه، وحفظ المتون الفقهية واللغوية[1] حيث يبدأ الطلب يكتسب الفقه بالأخضري والعشماوي الذي يتعلم فيه ما يساعده على معرفة طريقة الوضوء والصلاة والصوم، ثم يدرس الطالب الأحاديث المختارة بداية بقراءة الأربعين حديثًا النبوية، ومن ثمّ البردة وغيرها من الكتب العربية ثمّ يدرس علم التجويد ويقتصر على هذه العلوم فقط، ولا يدرس القواعد إلا في المدرسة الأخيرة.

أمّا في المرحلة الثانية فقد كانت مناهج التعليم تضاهي مناهج الدراسة العليا في القيروان وفاس، فكان يتضمن التوحيد والتفسير والحديث والفقه والعلوم العقلية وغيرها من المعارف، وقد اشتهرت الجامعات التنبكتية بتدريس الفقه المالكي الذي كان يقوم بتعليمه علماء متضلعون في مادته سواء كانوا من السودان الغربي، أو الوافدين من أساتذة فاس والقيروان والقاهرة الذين كانوا يقومون بإلقاء الدروس على الطلاب الذين وفدوا على مدينة تنبكت من كل صوب بهدف الدراسة أمّا عن نماذج الكتب التي كانت تدرس خلال هذه المرحلة [2] فقد أورد المرحوم الأستاذ إبراهيم الكتاني في مقدمته تحقيق كتاب الشكور للبرتلي الولاتي قائمة طويلة تحمل أسماء الكتب المغربية التي كانت تدرس في مراكز التعليم في السودان الغربي نذكر منها[3] أنّ من جملة الكتب التي استعملت في المقررات

---

[1]- عبد العلي الودغيري: المرجع السابق، ص ص20-21.

[2]- إصلاح محمد البخاري حمودة: المرجع السابق، ص ص201-202.

[3] -Louis Brenner: **Du Kuttàb A La Madrasah Considérations historiques à propos de l'enseignement islamique au Mali**، Publications de l'ititut d Etude Africaine-Rabat، Royaume du Maroc، 1995،pp 39-40.

عبد العلي الودغيري: المرجع السابق، ص 21.

الدراسية بالسودان الغربي تلك التي ألفها الإمام مالك أو تلك التي ألفها أصحابه أو تلك الكتب التي خدمت المالكية واعتمدت عليها وتشمل: كتاب الموطأ للإمام مالك، وكتاب المدونة للإمام مالك نفسه ومدونة سحنون، ورسالة أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل ودلائل الخيرات، وشفا القاضي عياض، وترتيب المدارك للقاضي عياض نفسه وتحفة بن عاصم الغرناطي، وأشهر الممالك وقطر الندى...

والإشارة أيضًا إلى أنَّ المكتبات في المنطقة كانت تعجّ بالكتب المبوبة بالفقه المالكي ومنها مكتبة الحاج إبراهيم نياس، ومكتبة الشيخ كونيافو في سيغو بمالي، ومكتبة عبد الله سيسي في مدينة جنى[1].

[1]–سعيد حراش: المرجع السابق، ص 177.

2-3-نماذج من العلماء الذين جلسوا للتدريس بالسودان الغربي:

مما لا شكّ فيه أنَّ وصول الثقافة العربية الإسلامية إلى المنطقة قد ساهم في مختلف الكثير من العلماء الذين اهتموا بمجال التعليم والحركة العلمية عامة، ففي البداية كان الدعاة وسط القبائل هم من تولّى مهام التدريس في المساجد والمدن واستمرت حتى النصف الثاني من القرن عاشر الميلادي، وقد نتج عنها تعليم أغلبية الناس العبادات والسلوك الديني، وبعد أن توثقت الصلات المغربية مع بلاد السودان الغربي انتقل العديد من العلماء الذين تعمقوا وتبحروا في مختلف العلوم إلى السودان الغربي، وأدّت جهودهم إلى إدخال الثقافة العربية الإسلامية وفنونها، وتكون مساجد ومدارس إسلامية سودانية، ولقد برزت مؤثرات الثقافة المغربية بشكل واضح بعد وصول المغاربة بقيادة جوذر باشا إلى السودان الغربي، فقد توسعت المجالات السابقة وأضافت إلى أغراضها الفكرية مجالات وآفاق تمثلت في الفنون الأدبية والفكرية أكثر عمقًا وأبداعًا كالفلسفة والتاريخ، وأدب الرحلات وغيرها.

ومن بين هؤلاء العلماء الذين تولوا مهام التدريس بالمنطقة خلال القرنين 16 و17 الميلاديين نذكر:[1]

- الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي:

لقد دخل بعض العلماء المغاربة إلى بلاد السودان منذ فجر الإسلام وعملوا فيها على نشر العلم والثقافة، حتّى كثر فيها العلماء وفي هذا السياق يقول السعدي: "إنّ ملك مدينة جني قد جمع في إسلامه أربعة الآلاف ومائتين (4200) من العلماء والفقهاء ليعلن إسلامه أمامهم سنة 400 ه".

ولم يخلد التاريخ أثرا لعالم عربي شرقي أو غربي مثل ما خلده المغيلي في السودان الغربي.

1- الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص211.

ولقد كان الإمام المغيلي من العلماء الذين أسهموا إسهامًا فعالًا في نشر الثقافة العربية الإسلامية فبعد أن هاجر إلى بلاد السودان الغربي أخذ يدرس هناك، حيث درس نواحي أغاديس[1]، ثمّ انتقل من هناك إلى منطقة الهوس مستقرًا في كانو التي مكث فيها عشرين سنة وقد أشرنا إلى ذلك سابقًا، وأنشأ مدرسة في كاتسينا[2]، وقد تتلمذ على يده كثيرون، ومن أشهر طلابه الذين برزوا وأسهموا في نشر الثقافة العربية الإسلامية الشيخ العاقب بن عبد الله الأنسمني الأغدسي[3].

عمومًا فقد كان الإمام المغيلي أنموذجًا من نماذج الإسهام العلمي في السودان الغربي حيث سكن المنطقة وخلف بها ذريته في مدينة كانو لذا يعده أهل كانو واحدًا منهم، فقد كان من كبار العلماء الذين حظيت بهم بلاد السودان الغربي، حيث كان الشيخ بن فودي محبًا له وتأثر به في الكثير من الأمور، فقد كان يستشهد بكتبه ويعتمد عليها في الإجابة عن الأسئلة المطروحة عليه فتجده يقول: سئل شيخنا عن كذا وكذا، ثمّ يسرد الجواب، فهذا قمة الاحترام والأمانة العلمية [4].

فكان يحق أبرز العلماء الذين عرفهم السودان الغربي خلال القرن 15 م وبداية القرن 16 م، اتفق عليه جميع الباحثين الذين تناولوا شخصية الإمام المغيلي من القدامى والمحدثين، أنّ هذا الشيخ قد كان له تأثير قوي وملموس صداه يتردد بعده بقرون طويلة **"تستطيع أن نؤكد من النصوص السابقة أنّ الدور الذي قام به العالم الجليل المغيلي لا**

---

[1]-**أغاديس:** وتعدّ إحدى أهم المراكز الصحراوية، وتقع في الشمال النيجر حاليًا، تسكنها صنهاجة البربرية، وقد كانت تمثل ملتقى محطة للقوافل بين طرابلس، وواحاتها، ومملكة كانم – برنو، ولقد وصفها الحسن الوزان بأن "جميع سكانها تقريبًا من التجار الأجانب، ومن أهل البلاد فيها قليلون جدًا يعملون صناعًا أو جنودًا لملك المدينة ".ينظر: الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص ص171–172، مرمول كربخال: المصدر السابق، ج3، ص ص206–207، فاطمة علي امحمد أحويلات: المرجع السابق، ص ص166–167.

[2]-عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص 179.

[3]-علي يعقوب: المرجع السابق، ص 18.

[4]- عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص 180.

يدانيه أي دور قام به أي عالم مغربي في السودان الغربي، فقد ترك أثرًا إسلاميا كبيرًا، وقام بتصحيح مفاهيم كثيرة كانت مغلوطة في أذهان العامة والسلاطين".

ويقول الأستاذ الألوري في كتابه المشار إليه شهادته في حق المغيلي قائلًا: "لقد استفادت البلاد منه كثيرًا، وأثاره كثيرة في ميادين عديدة واضحة ملموسة لكل صغير وكبير في الحكم والسياسة والعلم والأدب...ولقد تعلم منه الكثيرون والكثيرون من علماء هذه البلاد..."[1]

– الشيخ أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت بن عمر بن علي بن يحيّ:

ويعدّ من العلماء الذين تولوا مهام التدريس بالسودان الغربي، فقد اشتغل بالتدريس حيث درس الفقيهين محمد وأخاه أحمد ابني الفقيه محمود بغيع، قرأ عليه الأصول والبنيان والمنطق، كما درس على يده أيضًا الأخوان عبد الله وعبد الرحمان ابنا الفقيه محمد وغيرهم، وقد درس عليه أيضًا ابنه أحمد بابا عدة علوم، وأجازه جميع ما يجوز له، وسمح له بقراءة الصحيحين والموطأ والشفاء[2].

2-4-الإجازات[3] العلمية:

تعد الإجازة درجة علمية يصل إليها طالب العلم بعد اجتياز فترة من الدرس والتحصيل تؤهله لرواية العلم عن شيخه أو شيوخه وتلقينه للآخرين، والاجازة هي اعتراف من شيخ لطالب العلم بهذا التفوق وهي نوعان: إجازات خاصة وتتعلق بالعلم أو

---

[1]– عبد الله سيسي: المرجع السابق، ص ص181–182.

[2]– الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا، المرجع السابق، ص 213.

[3]– **الإجازة:** وقد عرفها الزبيدي في اللغة بأنها من المجار (استجار) رحل رجلا (طلب الإجازة) أي الأذن في مروياته وأجازه فهو مجاز، والمجازان المرويات، والإجازة أحد أقسام المأخذ والتحمل وارفع أنواعها إجازة معين لمعين، كما يقول: أجزت لفلان وإن رأى فلان أن يجيز لفلان جميع مسموعاته من مشايخه وإجازته عن مشايخه وأجابه إلى ذلك جاز للمستجيب أن يروي، وأنّ بعض العلماء لم يكن يجيز أحدًا إلّا إذا استخبره واستمهره.ينظر: عمر صالح سالم الفانوس: المرجع السابق، ص ص142–143.

علوم معينة يرويها المجاز عن المجيز، وإجازات عامة يحصل عليها الطالب عادة بعد نهاية دراسته وتشمل جميع علوم المجيز.[1]

والإجازة بمثابة شهادة علمية في عصرنا الحالي لذا كان الطلبة والعلماء يسعون إلى الحصول عليها من العلماء المتضلعين الذين اعترف لهم عصرهم بعلو الكعب في العلم والمعرفة، ويقدر تظلع العالم المتحيز وتبحره في شتّى العلوم التي يدرسها بقدر ما تعظم قيمة إجازته لدى أهل العلم لهذا فقد اشترط العلماء أن يكون المجيز علمًا لما يجيزه ثقة في دينه وروايته معرفًا بالعلم، وأنَّ يكون المجاز من أهل العلم متسمًا به[2].

ويبدوا أنّ نظام الإجازة كان معروفًا في المؤسسات التعليمية في السودان الغربي حيث يفيدنا السعدي وهو يتحدث عن أشياخه الذي تلقى العلم على يده بقوله: "وأجازني بخطه جميع ما يجوز له"[3].

ومن الإجازات التي حظي واستفاد بها علماء السودان الغربي أيضًا إجازة الإمام يحيّ بن محمد بن عبد الرحمان الخطاب نزيل مكة المكرمة لأحمد بابا التنبكتي ولقد أشار هذا الأخير عن هذه الإجازة بقوله: "وأجازني مكاتبة ثم عمم وكتب إلى بخطبه "[4]

ولقد ذكر السعدي إحدى الإجازات العلمية التي منحت للعالم محمد بابا بن محمد الأمين التنبكتي حيث قال عنه: "كان رحمه الله تعإلى مشاركًا في الفنون، له فيه محاولة جيدة وعبادة محررة، برع في العلم ودرس وألف، أخذ عن الفقيه عبد الرحمان بن الفقيه محمود بن عمر، وحضر مجالس الفقيه محمد الونكري فقهًا ونحوًا وكلامًا، ولم يباشر القراءة عليه، وكتابه بالأسئلة وقرنه مع والده الفقيه الأمين في الإجازة...وسع المدونة

---

[1]- زهراء نظام: المرجع السابق، ص 406.

[2]- عمر عبد الرحمان محمد ميغا: المرجع السابق، ص ص 172-173.

[3]-عمر صالح سالم الفانوسي: المرجع السابق، ص 124.

[4]- التنبكتي: نيل الابتهاج...، المصدر السابق، ص 639.

والمطأ من الفقيه عبد الرحمان وأجازه عبد الله ابن الفقيه بالشفاء للقاضي عياض وصحيح البخاري"[1].

ومن علماء السودان الغربي الذين تحصلوا على إجازات من العلماء المغاربة هو الفقيه أبو بكر بن محمد الشهير بئات التنبكتي الذي منحه له العالم عبد القادر بن يوسف الفاسي في الصحيحين، وإلى جانب ذلك فقد أجاز في السودان الغربي بعض الطلبة المغاربة الفقيه أحمد بابا النبكتي الذي اضطلع بمكانة مرموقة في المجتمع المغربي عقب نقله مع أسرته إلى مراكش مع نهاية القرن 16 م، وهو ما أكّده محمد بن الطيب القادري بقوله: "...**تصدر للتدريس وتنافس كبار الطلبة على الأخذ منه وكثيرًا منهم ما تصدر للاقراء**".

ومن الإجازات التي منحها لتلاميذه من البلدان المغاربية هي الإجازة التي منحها لأبي العباس أحمد بن محمد المقري[2].

يقوم العلماء بمنح الإجازات لتلاميذهم عن طريق المراسلة من الأمثلة على ذلك تلك التي منحها بابا – بالمراسلة – لتلميذه (عبد الرحمان التمنريتي) الذي سبق لأحمد بابا أن سمع بأخباره وعلمه أثناء إقامته بمراكش، وكان عبد الرحمان التمنرتي قد تولّى القضاء، واشتهر بالإفتاء والاجتهاد مما جعل أخباره العلمية معروفة لدى أساتذته السالف ذكرهم[3].

2-5-المكتبات:

شهدت بلاد السودان الغربي المكتبات التي تقوم عليها أية نهضة علمية أو فكرية، حيث حرص علماء المنطقة على إنشاء مكتبات قامت بدور فعال في نشر العلم والثقافة

---

[1]-البرتلي: المصدر السابق، ص 111.

[2]-حسن علي إبراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص ص316-317.

[3]-منى محمد عادل سيد حسين: المرجع السابق، ص 12.

العربية الاسلامية في المنطقة لا يقل دورها على الدور الذي تلعبه المساجد في هذا المجال.[1]

وفي مطلع القرن 16م، ازدهرت مدن السودان الغربي بالكثير من المكتبات الخاصة التي كانت تضم نفائس كتب لاسيما مدينة تنبكت، ولقد أورد الحسن الوزان الذي قال: بأن الذين وجدت لهم كتبا قيمة أحمد بن أبي عقيق الفقيه العالم خلف ستمائة مجلد، ولقد زاد بعض العلماء الذين كان لهم مكاتب خاصة محمد الونغري وكان يملك فيها نفائس الكتب وكان يأتيه الطالب ويطلب منه استمارة كتب منه أو كتابا ويعطي، وربما لا يعرف الطالب ولكن يحسب عمله لوجه الله لمساعدة طلاب العلم.

ولعل العلوم والمعارض ووفرة الكتب في المكتبات يرجع إلى تبادل العلوم والمعارض مع القاهرة والحجاز والبلدان المغاربية إذ أن رحلات الحج التي كان يقوم بها السلاطين كانت موردا هاما للحصول على الكتب المخطوطة في أماكن متعددة.[2]

3- العلماء وظهور حركة التأليف في المنطقة:

لم يقتصر مظهر التفاعل في عناية السودانيين في شرح الكتب المغاربية وكتابة التعاليق عليها وشرائها وإقرائها فحسب، بل ظهر مجال العناية بها والتفاعل معها، أيضا فيما قام به علماء في وسط إفريقيا وغربها من خدمة تذييل الكتب والتأليف المغاربية بالشروح والتعاليق وكتابة الحواشي في مجالات المعرفة المختلفة مثل النحو والفقه والعقائد والتصوف وغيرها من العلوم الأخرى[3].

وإلى جانب هذا الدور ساهم العلماء السودانيون في تطور الحركة العلمية وإزدهارها، حيث أعطوا وكتبوا في كثير من موضوعات، خاصة التراجم والسير مما

[1] -زهراء يوسف اسماعيل: المرجع السابق، ص225.

[2] - أحلام محمد البخاري حمودة: المرجع السابق، ص- ص: 216-217.

[3] ــ محمد مسعود جبران: " **التفاعل العلمي والمعرفي بين العرب والإسلامي والسودان الأوسط والغربي**"، مجلة مجمع اللغة العربية، ع 4، طرابلس، 1374ه/2006م، ص 175.

جعلهم في مسار الحضارة العربية الإسلامية، ولقد كانت مؤلفاتهم مرغوبة يتهافت عليها الطلاب والعلماء، وفي أواخر القرن 16م وأوائل القرن 17م ظهر مؤرخون سودانيون– نتيجة التفاعل الثقافي بين البلدان المغاربية وبلاد السودان الغربي الذي كان قويا وعميقا – اهتموا بكتابة التاريخ وتدوينه بجانب العلماء الذين اكتفوا فقط بالكتابة في العلوم الدينية والمنطق، وعلى هؤلاء العلماء المؤرخون اعتمدت كل الكتب التي ألفت عن عرب افريقيا ومنهم صاحب كتاب تاريخ السودان لسعدي، والفتاش لمحمود كعت، ونيل الابتهاج لتنبكتي الذي يعتبر من أهم وأشهر كتب التراجم وقد أعطى هؤلاء دفعا جديدا للحركة العلمية كما أسهم هؤلاء في اغناء الحضارة العربية الإسلامية وقد أضحى الكثيرا من مؤلفات علماء بلاد السودان الغربي تدرس في مختلف المراكز العلمية الكبرى في البلدان المغاربية وسائر البلدان الإسلامية ومن أشهر العلماء السودانيون الذين ساهموا بعلمهم في الحضارة العربية الإسلامية وكانت لهم عدة مؤلفات محل الدراسة نذكر[1].

أ– الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي[2]: كان الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي عالما متعدد التخصصات متبحرا في شتى العلوم، فقد ألف هذا الأخير كتبا بالغة الأهمية، ففي مجال علم الكلام والمنطق يعد كتاب: (رجز المغيلي في كتاب المنطق) " ومنح الوهاب في رد الفكر والصواب" وثلاث شروح عليها أبرز مؤلفاته في هذا المجال، ولقد نالت حظا معتبرا من الشروح والتعليق[3].

[1]– شعيب حاج وبن شهيدة محمد: "**حركة التفاعل الثقافي في نشر المخطوطات بين دول المغرب وغرب افريقيا**"، مجلة الصورة والاتصال، ع4، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2015، ص283.

[2]ــــــــ محمد بن عسكر الحسني الشفشاوي: **لوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر، الرباط، 1397ه/1977م، ص130، محمد بن عبد الكريم المغيني: تاج الديم في ما يجب على الملوك والسلاطين، محمد خير رمضامن يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر، لبنان، 1994، ص130.

[3]– امطير غيث: الثقافة العربية...، المرجع السابق، ص 236.

ب- أحمد بابا التنبكتي (1556-1627م): وقد عرفته المصادر التي ترجمت له منهم الرتلي الولاتي في كتابه فتح الشكور بقوله " وهو أحمد بابا الفقيه بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت بن علي بن يحي بن كدالة بن بكي بن لف بن يحي بن نيق بن تنفر بن جيراي بن أكنيم بن أنص بن أبي بكر بن الصنهاجي الماسي رحمهم الله تعالي"،[1] أما عن تاريخ مولده فيذكر الحفناوي أنه ولد في الحادي والعشرين من ذي الحجة عام ستين وتسعمائة[2] بمدينة تنبكت، وينحدر هذا الأخير من أسرة صنهاجية بربرية عرفت بالعلم والصلاح، وهي أسرة أقيت الشهيرة، حيث نشأ أحمد بابا التنبكتي في وسط علمي، فاهتم بالدرس والتحصيل منذ نعومة أظافره.

بدأ الشيخ دراسته فالتحق بمعهد والده فتعلم منه مبادئ القراءة والكتابة، ثم صار يتلقى دروسه في النحو على يد عمه أبي بكر بن أقيت وبعد انتهائه من المرحلة الأولية ومنهاجها انتقل الشيخ إلى المرحلة الثانية، وهي أشبه بالمرحلة العليا فدرسها مع شيخه العلامة محمد بغيغ الذي كان له الأثر الأكبر في حياته العلمية[3]

ويعد الشيخ من أشهر علماء عصره حيث لم يحظ عالم في المدينة بمثل سعة علمه وشهرته، فقد كان مؤرخا، عالما بالشريعة، ومن المتبحرين في اللغة العربية وآدابها، جلس للتدريس في معاهد تنبكت العليا، حيث اشتهر بين أهل العلم بسعة صدره، وغزارة علمه، وقد برز كأحد علماء المنطقة الكبار على الرغم من صغر سنه فكان لا يناظر في العلم إلا أساتذته، واستمر في التدريس والبحث في مساجد تنبكت حتى سنة 999ه/1590م عندما غزا المغاربة السودان الغربي، ودخلوا تنبكت ونهبوا وقبضوا على العلماء، حيث

---

[1]- البرتلي: المصدر السابق: ص 31

[2]- الحفناوي: المصدر السابق، ص16.

[3]- عبد الباقي محمد أحمد الكبير: "**الدور الثقافي للشيخ أحمد بابا التنبكتي**"، مجلة دراسات إفريقية، ع 8، ديسمبر 1991م، ص 144.

كان الشيخ أحمد بابا التنبكتي ضمن المقبوض عليهم، وقد كان عمره صغيرا لم يتجاوز ستة وثلاثين سنة.

أما عن مؤلفاته فقد ترك مؤلفات عديدة تهتم بمختلف العلوم الدينية تتوزع على عدة خزائن ومكتبات[1] وقد قال عنه أبو عبد الله محمد بن يعقوب الأديب المراكشي في فهرسته: " كان أخونا أحمد بابا من أهل العلم والفهم والادراك التام... مطبوعا على التأليف ألف تأليف مفيدة..." [2]

ومن أبرز مؤلفاته:

- نيل الابتهاج بتطريز الديباج: المخطوط بمثابة تكملة لكتاب الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (المالكي) الذي ألفه قاضي المدينة المنورة أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن فرحون اليعمري الأندلسي (ت 799ه/ 1396م) في هذا المصنف حاول أحمد بابا التنبكتي كما أورد في الديباجة استدراك ما غفل عنه ابن فرحون من الأعيان ومضيفا إليه تفصيلا وتبسيطا مناقب وتراجم من جاؤا بعده من العلماء المغاربة من مختلف المدن الكبرى، من مختلف المدن الكبرى، وهذا يورد المؤلف أحمد بابا التراجم مرتبة حسب الأبجدي مبتدئا بترجمة ابن فرحون صاحب الديباج ثم من اسمه أحمد إلى أخره.
- تحفة الفضلاء: والذي أوجز فيه الشيخ فضل العلماء في العلم ورجاله، كما ألف أيضا شرح الصغرى في أربعة كراريس.
- جلب النعمة ودفع النقمة: تناول فيه علاقته برجال السلطة[3].

ج-عبد الرحمان السعدي(1596-1655م): وهو عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعيدي ولد ليلة الإربعاء ليلة عيد الفطر سنة أربعة وألف[4] بمدينة

---

[1] - عبد الباقي محمد أحمد الكبير: "الدور الثقافي للشيخ أحمد بابا التنبكتي، ص ص 145-146.
[2] - الحفناوي: المصدر السابق، ص18.
[3] - زبادية: دراسة عن إفريقيا...، المرجع السابق، ص 127، البرتلي: المصدر السابق، ص ص 35-36.
[4] - البرتلي : المصدر السابق، ص 176.

تنبكت، وقد أشار إلي ذلك السعدي بذاته عند حديثه حول حول مدينة تنبكت " **وتوجهت إلى تنبكت لرسم السفر... ووصلت المقصد الذي هو مسقط رأسي...**"[1].

حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، وتتلمذ على يد عدد من كبار علماء المدينة وعلى رأسهم العالم الشهير أحمد بابا التنبكتي، ومن العلماء الذين أخذ عنهم وتأثر بهم الواتلوري هذا الأخير الذي أفرده السعدي بالذكر قائلا: " **ولقد تعلمت من الكثير، وأجاز لي كتب قرأتها عليه بخط يده**".

وبعدما أتم السعدي تعليمه جلس للتدريس والوعظ والارشاد، حيث قصد حينها العديد من البلدان في المنطقة بهدف التعليم والتثقيف، وفي سنة 1626م عين السعدي إماما وخطيبا للمسجد الكبير بمدينة جني واشتهر بها حوالي عشرين سنة، وفي سنة 1646م عين السعدي من طرف الباشا المغربي محمد بن عثمان حاكم تنبكت وجني ليعطيه وظيفة (ناظر الخارجية) لديه، حيث أفاد السعدي من القيام بهذه الوظيفة لعدد من السنين، واستفاد من تجاربه فيها[2].

أما عن آثاره العلمية فلم يترك السعدي سوى كتاب واحد وهو كتابه الشهير (تاريخ السودان) ويعد من أهم الكتب التي تناولت عهد الأساكي والباشوات المغاربة معا، فمن خلاله وفر السعدي للباحثين مادة مصدرية هامة حول الأوضاع الثقافية الإسلامية في بلاد السودان الغربي خاصة خلال النصف الأول من القرن 17م[3].

د- عثمان بن فودي (1754-1817م): وهو عثمان بن محمد بن صالح بن هارون بن محمد بن جب الملقب ابن فودي الفقيه، ولد بقرية ماراتا على نهر النيجر بمناطق غوبر(جوبير) وقد نشأ الشيخ عثمان بن فودي في بيئة علمية توارثت العلم جيلا عن جيل منذ القرن الخامس عشر ميلادي، وتحصل الشيخ على ثقافة دينية ولغوية على يد العديد

[1] - السعدي: المصدر السابق، ص 259.

[2] زبادية: دراسة عن إفريقيا...، المرجع السابق، ص ص 114-115.

[3] امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص ص 303-305.

من العلماء منهم عبد الرحمان بن حمده، وعثمان بدور وأحمد بن الأمين، ومحمد بن عال، أخذ بالطريقة القادرية على الشيخ جبريل بمدرسة أغاديس، وتأثر بالدعوة الوهابية عندما أدى بن فودي فريضة الحج، عرف بصلاحه ودعوته للتوحيد والرجوع إلى الكتاب والسنة وإحياء سنة الجهاد ضد الوثنيين 1795م، فتجمع حوله الاتباع بغوبر، وأعلن الجهاد ضد ملكها الوثني سنة 1804م، وسيطر خلالها ابن فودي على كامل شمال نيجيريا بعد استيلائه على كانو سنة 1809م، فامتدت بذلك دولته من نهر بنوي في الجنوب الشرقي إلى بحيرة تشاد في الشمال وإلى تنبكت في الغرب، وعرفت بسلطنة سوكوتو، وحمل الشيخ لقب قائد الأمة وهو ساركن بلغة الهوسا بعد أن ترك ابن فودي الحكم لابنه محمد بيلو سنة 1811م قضى السنوات الأخيرة من حياته حتي توفي سنة 1817م بعيدا عن مشاكل الدنيا ومتفرغا للعبادة والذكر والتعليم والتأليف تتلمذ على يده العديد من رجال الاصلاح منهم: أحمد لوبو حاكم ماسيينا[1].

أما عن آثاره العلمية فقد خلف الشيخ عثمان فودي العديد من المؤلفات وفي مجالات مختلفة، وهو ما يدل على غزارة علمه في الثقافة الإسلامية، ومن أبرز مؤلفاته:

- كتاب إحياء السنة واخماد البدع: ويعد من أشهر كتبه، وقد قامت لجنة من جامعة الأزهر بالإشراف على إخراجه وطبعه.
- نصائح الأمة المحمدية: وهو عبارة عن مخطوط مكون من 30 ورقة، ويتضمن بيان الوضع الديني والفرق المنتشرة في بلاد الهوسا في عصره[2].

---

[1] الحاج موسى أحمد كامره: المرجع السابق، ص96، عبد الرحمان عمر الماحي: **الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل**، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، 1992م، ص127.

[2] مصباح الدين جنيد: "**الشيخ عثمان الفودي الفولاني وعقيدته على ضوء الكتاب والسنة**"، مذكرة ماجستير، إشراف: سليمان دنيا، جامعة أم القرى، 1406ه/1986م، ص ص 29-30.

الفصل الرابع:

الحضور التجاري المغاربي: دراسة في الدور الحضاري في السودان الغربي

أولا: على المستوى الديني

ثانيا: الأثر الاقتصادي

ثالثا: مجتمع السودان الغربي والمؤثرات المغاربية

أولًا: على المستوى الديني:

1- التجار المغاربة ونشاطهم الدعوي:

تعدُّ فئة التجار المسلمين كما هو معلوم من أهم المساهمين في نشر الدعوة الإسلامية وتعميق مبادئها في بلاد السودان الغربي، وغني عن البيان أنَّ الإسلام انتشر في كلِّ مكان وصل إليه التجار حيث عبّر عن ذلك "ترمنجهام" بقوله: "**إنَّ الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير مع بعضهما البعض...**"[1]، وعلى الرغم من قسوة الممالك وصعوبتها جعل التجار من الصحراء الكبرى القاحلة جسرًا عابرًا انتقل عبره الإسلام والثقافة العربية الإسلامية، ودليل ذلك القوافل التجارية التي كانت تجوب مختلف مدن ومراكز السودان الغربي[2]، وبفضل جهود التجار المسلمون الذين كانوا يزاولون عبادتهم بانتظام وصدق وخشوع، كما كانوا يتاجرون في سلعهم بصدق وأمانة للتوثقت صلاتهم بأولئك اللذين يراد تحويلهم إلى الإسلام، ومن الطبيعي أنَّ عملهم هو التجوال والتنقل من أجل الحصول على السلع كالذهب مثلًا فهم بفضل ذلك يستطيعون أن يصلوا إلى مناطق بعيدة إلى جانب مساهمتهم في نشر الدعوة الإسلامية[3]، ولقد وصف سير توماس. وأرنولد في كتابه: "**الدعوة إلى الإسلام**" دور التاجر المسلم في ذلك قائلًا : "**فالتاجر سواء أكان من العرب أم البول أوالماندنجو يجمع بين نشر الدعوة وبيع سلعته ،وإنَّ مهمته وحدها لتصله صلة وثيقة مباشرة بأولئك الذين يريدون أن يحولهم إلى الإسلام...وإذا دخل مثل هذا الرجل قرية وثنية فسرعان ما يلفت الأنظار بكثرة وضوئه وانتظام أوقات الصلاة والعبادة...**"[4]

---

[1] – خير الدين شتره: المرجع السابق، ص 346.

[2]– نفسه.

[3]– عبلة محمد سلطان لطيف: العناصر المغربية...، المرجع السابق، ص ص122-123.

[4]– سير توماس. و. أرنولد: **الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، ترجمة : حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،1971، ص 391.

وقد أشارت عدد من الكتابات إلى استقرار التجار المسلمين في عدد من المراكز والمدن الواقعة على طريق القوافل وقيامهم بتكوين أحياء خاصة بهم، التي أقاموا بها المساجد والمدارس فقد كان لها أثر عظيم في نشر التعاليم الإسلامية حيث أنَّ هؤلاء أثناء تنقلاتهم بين مختلف المراكز المنتشرة في المنطقة كانوا يمارسون شعائرهم الدينية فنقلها عنهم أهالي المنطقة، ثمّ لجأوا لهؤلاء التجار ليتعلموا منهم بعض أحكام الدين وخاصة في المناطق النائية التي لم يتمكن أحد من الوصول إليها سوى التجار.

لذلك لم يعد من السهل وضع حدّ فاصل بين الدور الذي اضطلع به هؤلاء التجار، والدور الذي مارسه الدعاة، بل غالبًا ما كان الدور يجتمعا في رجل واحد[1]، حتّى أنه "**حصل نوع من التوافق الغريب إلى درجة الاتحاد بين مهنة التجارة ومهنة الداعية إلى الله ، وفي مناطق كثيرة كان تعبير التاجر والمسلم مترادفين**"، وهكذا نجد أنَّ الحركة التجارية اقترنت مع حركة الدعوة إلى الإسلام[2].

وقد كانت الأسباب التي ساعدت التجار على أداء مهامهم تتعلق بملوك السودان أنفسهم وذلك منذ عهد ملوك غانة فقد سمحوا لهم بالإقامة في عاصمة دولتهم وتركو لهم حرية العبادة، وبناء المساجد، واتخاذ رجال العلم والدين حتى هؤلاء التجار كانوا يستقبلونهم بترحاب كبير لسمو وعلو مكانتهم وأخلاقهم وخبراتهم في العديد من المجالات، ولم يقتصر الأمر على الملوك فقط، بل حتى على أهالي البلاد فقد كانوا يكرمونهم، وهذا ما حظى به التجار المسلمون جميعًا بوضع اجتماعي يكفل لهم كل الاحترام[3].

وهكذا فقد تمكن التجار بفضل المكانة التي حظي بها هؤلاء إلى جانب دورهم في نشر الإسلام أن يدخلوا سلاطين وملوكًا من هذه الممالك في الدين الإسلامي.

[1]– عبلة محمد سلطان لطيف: العناصر المغربية...، المرجع السابق، ص 123.

[2]– وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص 128.

[3]– عبلة محمد سلطان لطيف: المرجع السابق ،ص 123.

وبعد اعتناق أهالي المنطقة الإسلام، قاموا هؤلاء بالدور الذي قام به المسلمون الأوائل وتحولت مدنهم إلى مراكز تجارة تتصل عبر الطرق البرية بمناطق القبائل التي لا تزال على وثنيتها في الجنوب، وانتشر الإسلام كنتيجة لهذا الاتصال مع القبائل الجنوبية ، ومن أهم هذه المراكز التي أسهمت بدور فعال وإيجابي تنبكت، جني، وجاو وغيرها[1].

2- تجار الديولا ودورهم في نشر الإسلام بالسودان الغربي:

إلى جانب الدور الذي قام به التجار المغاربة في نشرهم للإسلام في السودان الغربي ساهم هؤلاء في تكوين فئة من التجار المحليين تولت القيام بنفس الدور، فبعد أن تمكن التجار الأوائل من نشر الإسلام وترسيخه تسلمت هذه المجموعة الراية من إخوانهم المسلمين وبدأوا يمارسون الدعوة إلى الإسلام داخل الأدغال الجنوبية للسودان الغربي وهم من يطلق عليهم اسم الديولا (dyoula) أو الونغارا (wangara).

وعلى الرغم من عدم معرفة الكثير من التفاصيل حول منظماتهم المبكرة التي ساهمت في نشر الإسلام على فترات مختلفة، إلّا أنَّ هذا القليل يمكن أن يعطي صورة حقيقية لطبيعة تغلغل الإسلام داخل بلاد السودان الغربي، وعلى أيدي أهل المنطقة.

2-1- تعريف الديولا (dyoula):

وهم مجموعة من الشعوب المالنكية التي تمثل أحد فروع الماندنغو، عرفوا بأسماء مختلفة وسط مختلف القبائل، فعند البمبارا في إقليم سيغو وجني عرفوا باسم "ماركا" وفي منحى نهر فولتا العلوي عرفوا باسم "داقنج"، وعند مالنكي النيجر العلوي كانوا يعرفون بـــــ "الديولا"، في حين أنَّ المصادر العربية تطلق على تجار الماندي هؤلاء باسم "الونغارا" وبهذا الاسم عرفوا عند الفولان والهوسا، وعلى اثر الهوسا، فإنَّ اسم "وانغارا" أطلق على نطاق واسع في منتصف حوض الفولتا على كل من شعوب الماندي المختلفة على بلادهم[2].

---

[1]- حسن علي إبراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص 226.

[2]- مهدي رزق الله أحمد: المرجع السابق، ص80.

أما عن تكوين شعب الديولا فتذكر الكتابات التاريخية بأنه نتج عن الاختلاط والتزاوج بينهم وبين البمبارا(البامانا) والطبقة السفلية المحلية بوبو وسينوفو جماعة عرقية جديدة عرفت باسم الديولا انتشرت في المدن والمراكز التجارية مثل جني ويمكن اعتبار هذه المجموعة الجديدة مجموعة مركزية لأن لهجة ديولا مفهومة من قبل كل من المالنكة Malinké وبَا Ba لذلك يمكن القول أنه من بين جميع الشعوب التي تشكل جمهورية مالي الحالية (السوننك،سنغاي، توارق، المالنكة...إلخ) الباماناهم الوحيدين الذين يسكنون مالي فقط، كوليبالي مؤسسو بوبو ديالاسو وكونغ هم الآن ديولا.

ولقد اعتاد بوبو وسينوفو وكولانغو وحتى شعوب الغابات مثلAbron–وBaulé على تسميه كل هؤلاء التجار المتجولين تحت اسم ديولا (تاجر)[1] وهي كلمة استعاروها من المفردات هؤلاء القادمين الجدد[2].

أمَّا عن ظروف نشأة هذه المجموعة من التجار (الديولا) – التي تعني في لغة المالنكي تاجر– فهي مرتبطة بالحركة التجارية التي كان يمارسها التجار المسلمون في المدن السودانية الكبرى، ولم يكن هؤلاء يزاولون التجارة بأنفسهم ، وإنما أوكلوا المهمة لعبيدهم من الأهلي، فكان هؤلاء يجوبون البلاد بحثًا عن الذهب والعاج والكولا وغير ذلك من المواد التي كانت تجني لهم أموالًا طائلة، وفي أماكن تجمع التجار المسلمين، ووسط أماكن غالبيتها وثنية خصوصًا في مدن غانة وكوغا وكوكو على عهد السوننكيين، تكوّن تجار من أهالي مسلمين ووثنيين عرفوا جميعًا باسم الونغارا[3] .

---

[1]– تعني كلمة ديولا في لغة المالنكة التجار المتجولين ويرجح المؤرخون أن أصل ديولا يرجع أنه كان للتجار المالنكة نشاط كبير في القرن 13م في عهد مملكة مالي وتوغل هؤلاء التجار نحو الجنوب حتى وصلوا شمال ساحل العاج وكونوا من تجارتهم دعاة إسلام واستقروا واختلطوا بالسكان الأصليين، من ثم لغتهم وثقافتهم وكذلك دينهم الإسلامي وفي نفس الوقت تدفقت جماعات المالنكة إلى المنطقة مما ضمن لهم الاتصال الدائم لوطنهم. ينظر: أحمد إبراهيم دياب: "**علاقة اللغة العربية باللغة الافريقية**"، أعمال المؤتمر الدولي اللغة والثقافة...، المرجع السابق، ص14.

[2]- Jean Djigui kéita: op, cit,p,80

[3]– زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج1، ص99.

أمَّا عن اعتناق الديولا للإسلام فقد كان ذلك منذ وقت مبكر، أين قاموا حينها باتخاذ نظام عشائري، وخلال القرن السادس الهجري/ 13م وهي الفترة التي بلغت فيها مملكة مالي الإسلامية أوج قوتها وازدهارها، اتخذ منها هؤلاء قاعدة تجارية مكنتهم من إقامة علاقات مع بلدان خارجية، وإلى جانب ذلك فقد عمل الديولا على كسب مودة الملوك الأفارقة ، وأقاموا معهم علاقات جديدة مكنتهم كذلك من ممارسة نشاطهم كمفاوضين تجاريين.

أمَّا بخصوص تحديد البدايات الأولى لظهور هذا الشعب على مسرح الأحداث فيشير موريس دولافوس (Maurice delafosse) في هذا الصدد على أنه من الصعب وضع تاريخ محدد لظهور الماندي أول مرة في الأرض التي يقطنها الآن تحت اسم ديولا مؤكدًا ذلك انطلاقًا مما ذكره الأهالي في مناطق كونغ (koug)،غميني (guimini) وغيرها من المناطق الأخرى حول عدم معرفتهم لتاريخ استقرارهم في هذه المناطق ، فضلا عن الرواية الشفوية الأكثر شهرة في المنطقة تقول بأنهم قدموا من الغرب[1].

2-2- الديولا أو(الونجارا) من خلال بعض المصادر التاريخية:

لقد أشار الرحالة ابن بطوطة (ت 779ه/1377م) خلال القرن الثامن الهجري /14م إلى وجود هؤلاء التجار عند كلامه عن زاغاري مشيرًا في ذلك إلى الارتباط الوثيق بي التجار المسلمين والوانكرة وانتشار الإسلام حيث قال: "**وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان، ويسمون ونجراته ، ويسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الإباضية من الخوارج، ويسمون صغنغو، والسنيون المالكيون من البيض يسمون عندهم توري** "[2].

---

[1]- نور الدين شعباني: "**الديولا ودورهم في نشر الإسلام في منطقة الغابات الإفريقية**" **مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**" مج2 ،ع3، جانفي 2014، ص 10.

[2]- محمد الشريف: المرجع السابق، ص215.

وفي القرن التاسع الهجري /15م قدم فرننس معلومات وافية حول هؤلاء الونجرا أو أونغروس (ungaraos) الذين احتكروا التجارة ما بين مدينة جني ومناجم الذهب في الجنوب، ولم يسمحوا لأحد بدخول المناطق المنجمية إلا من بين جنسهم، أو لمن حظي بثقتهم.

وأدى تجار الوانجرا أيضًا دور الوساطة في نقل ملح تغازا وإجيل إلى مدينة جني عن طريق مدينة تنبكت فوق رؤوس العبيد، وفي قوافل عديدة وصلت إلى حدود مناجم الذهب، وإليهم يعود الفضل في فتح الطريق التجاري بين جني وبندوجو على الأقل منذ نهاية القرن 15م[1].

وفي القرن العاشر الهجري /16م تحدث عنهم الحسن الوزان في سياق حديثه حول أسواق مدينة جاو وما تميزت به هذه الأخيرة بحضور مكثف للتجار السود، وبحركية تجارية كبيرة، حيث يقول في ذلك: "**وسكانها تجار أغنياء يتجولون دائمًا في المنطقة بسلعهم، ويأتي إليها عدد لا يحصى من السود حاملين معهم كمية من الذهب ليشتروا بها أشياء مستوردة من البربر وأوروبا...**"[2].

هذا وقد تحدث الحسن الوزان في نفس السياق عن مملكة أطلق عليها اسم "ونجرة" في الجنوب الشرقي ما بين البرنو، ومملكة سنغاي أي تحديدًا في مجالات ممالك الهوسا فمن الممكن القول بأنَّ تجار الوانجرا– بعد أن تسربوا في الهوسا – أنشأوا لأنفسهم مركزًا اتخذوه مقرًا لتجارتهم على غرار مواطنهم في الغرب فكانوا بذلك يتجهون صوب ساحل الذهب بقوافل كبيرة متتبعين الطريق التقليدي نيكي –دوجوكو–سالاجا وفي ذلك يشير الوزان: "**والسكان أغنياء جدًا لأنهم يذهبون بسلعهم إلى البلدان النائية، ويجارون من الجنوب البلاد التي يوجد فيها الذهب بكمية وافرة...ويضطر تجار ونجرى عندما يتجهون إلى بلاد الذهب إلى اجتياز جبال عالية وعرة لا تستطيع الدواب أن تمر بها**

1– زوليخة بنرمضان: المرجع السابق ،ج1 ،ص 303.

2– الحسن الوزان: المصدر السابق ،ج2 ،ص ص165–166 .

فيتّخذون الطريقة الآتية وهي أن يحمل الخدم على رؤوسهم البضائع وما يحتاجون إليه في قشور قرع عريضة، ويستطيع الخادم أن يقطع عشرة أميال وأكثر حاملًا على رأسه مائة رطل، ورأيت منهم ممن يقطع هذه المسافة مرتين في نفس اليوم...وينقلون زيادة على البضائع المؤن لسادتهم، في نفس اليوم...،ولجميع العبيد المسلحين لحراسة التجارة"[1].

ويتّضح من خلال إشارات هذه المصادر أنَّ الديولا أو(الونجرا) كانوا يعيشون على شكل جماعات في أماكن غالبية سكانها وثنيون وفي مراكز تتسم بحركة تجارية نشطة ومستمرة كالوغادوغو التي عرفت بتجارة الكولا[2].

2-3- دور التجار الديولا في نشر الإسلام:

لقد مكنت التجارة الونجارا من توسيع نفوذها إلى حد بعيد في كل الاتجاهات، بما أن هذه الأخيرة قد تخصصت في ممارسة النشاطات التجارية حتى أعماق الغابات الاستوائية، فقد أدت أيضا دورًا مهمًا تمثل أساسًا في نشر الإسلام بين الشعوب والوثنية على طول الطرق التجارية الممتدة في حدود الغابة في غينيا، وساحل العاج والذهب والطوغو والداهومي إذ سجلت لهم الروايات الشفوية المحلية دورهم في فتح مدارس قرآنية، أوما يُعْرف باسم الكاراموكو(les karamokos) في جميع القرى التي استقروا بها[3].

أ- دورهم في منطقة سينغامبيا:

مع بروز مملكة مالي الإسلامية خلال القرن الثالث عشر الميلادي اتسع نفوذ الماندنغو وقد نقلت عشائر المالنكة التي انطلقت من أعالي النيجر الحرب إلى المحيط الأطلسي غربًا واستقرت في سينغامبيا، وأدخل التجار الماندنغو- في القرن الرابع عشر - الإسلام إلى بلاد الهوسا، واتجهوا جنوبًا فتوغلوا داخل منطقة الغابات حيث كانوا يشترون

---

[1]- نفسه: ص ص174-175.

[2]- زوليخة بنرمضان: المرجع السابق،ج 1، ص 303.

[3]- نفسه: ص 306.

جوز الكولا الثمين والذهب من الشعوب التي وصلتها دعوة الإسلام ولا تزال على وثنيتها وقد حقق الماندنغو توسعهم هذا بالطرق السلمية والحربية معًا.

فقد كان هذا التوسع سلميًا في بلاد الهوسا، ونحو الجنوب إذ تمَّ على أيدي التجار المسلمين الأوائل، بينما كان هذا التوسع في الغرب في سينغامبيا حربًا في البداية، وتوافد الغزاة والتجار بأعداد كبيرة، وأصبحت المقاطعات الغربية امتدادًا لبلاد مندية القديمة.

رغم حالة الضعف والانحطاط التي بدأت تشهدها مملكة مالي الإسلامية في القرن الخامس عشر الميلادي استمرّ التوسع خاصة في اتجاه الجنوب حيث أسست قبائل المالنكه وخاصة منها الديولا– هؤلاء الذين كانوا قد دخلوا منطقة السافانا كتجار أو دعاة للإسلام عدة مدن إسلامية أهمها مركز بيغو[1] بجمهورية غانا الحديثة، ومدينة بوبوديالاسو بجمهورية كوت ديفوار الحالية، وقد تمكن تجار الديولا أيضًا من الوصول إلى منطقة كانو بشمال نيجيريا أين استطاعوا تحويل حكامها إلى الإسلام، وبالتالي فإن دور الديولا في نقل الإسلام إلى نيجيريا حتى قبل وصول القوافل التجارية السالكة للطريق الشرقي الممتد من مدينة جاو حتى أغاديس[2].

ب– دورهم في منطقة الفوبيلي[3] بكوت ديفوار:

لم تشر المصادر إلى تاريخ محدد حول وصول تجار الديولا إلى منطقة جنوب منعطف النيجر في حين ذكرت أنَّ هناك موجات كبيرة من الهجرة إليها حدثت خلال الفترة الممتدة من القرن الثالث عشر ميلادي حتى القرن الثامن عشر ميلادي جلبت معها هجرات فردية من التجار مدفوعين بحب المغامرة التجارية وكانت مجموعات من تجار الديولا، قد توغلت في المناطقة الغابية، وفي بلاد السودان السينوفو وأرض الفوبيلي قبل انهيار مملكة مالي، لكنها ازدهرت بعد سقوطها خاصة خلال القرنين (16م–17م) وبعض

---

[1]– جيريل ت– نياني: المرجع السابق، ص ص130–1310

[2]– نور الدين شعباني: الديولا ...، المرجع السابق، ص 13.

[3]– **الفوبيلي:** وهم يمثلون سكان ما يعرف اليوم بجمهورية كوت ديفوار والذين يقطن معظمهم اليوم دائرة فرونان (Fronan) في مقاطعة كايتولا (Katiola). ينظر: نور الدين شعباني: الديولا...، المرجع السابق، ص 15.

هؤلاء الديولا سلكوا طريق القوافل الذي يربط بين سيكاسو- بوبو-بنفورا-واغادوغو-تافيري-كاناغونون، ورغم أنهم لم يتمكنوا من تأسيس قرى أو أحياء خاصة بهم في طريقهم لكنهم لم يتركوا ممثلين تجاريين لهم على طول الذي سلكوه[1].

[1]- ينظر: نور الدين شعباني: الديولا...، المرجع السابق، ص 16.

ثانيا: الأثر الاقتصادي

1- القوافل التجارية ودورها في مد جسور التواصل الحضاري بين المنطقتين:

شكلت القوافل التجارية الشريان الرئيسي والوسيلة الناجحة التي ساهمت في خلق التحام بين مختلف البلدان المغاربية وبلاد السودان الغربي وقيام علاقات بينها، كما أنها لم تكن فقط وسيلة للنقل بقدر ما شكلت معرضا يقوم باستمرار بعملية البيع والشراء.

وإذا كانت أهميتها قد اختلفت حسب أهمية المحاور والإمكانيات التجارية التي يتيحها كل مركز من المراكز التجارية، فإنها بدورها ساهمت في ازدهار الطرق التجارية المارة عبر الصحراء الكبرى[1].

ولقد تعددت مهام القافلة وأهدافها فنجد فيها التاجر والمسافر والرحالة والعالم وطلبة العلم وغيرهم فهم جميعا يشتركون في قافلة واحدة تجمعهم كل ما له حاجة في نفسه يقضيها من خلال هذه القافلة[2].

أ- نظام القوافل التجارية وبنيتها:

كانت القوافل التجارية التي تجوب الصحراء وتقطع القفار في حركة دؤوبة ومتواصلة على مدار السنة، قد أصبحت تمثل العمود الاقتصادي لسكان المدن والواحات المغاربية مما يتطلب وضع خطط لتنظيمها، حيث كان يتم تجهيزها من قبل التجار أو البيوت التجارية (الوكلاء) لتولي شراء البضائع وتوفير وسائل النقل وكل ما تحتاج اليه القافلة فهم يملكون الصلاحية في التصرف بما لديهم من أموال كما أنهم على اتصال بالتجار المقيمين في مدن السودان الغربي هؤلاء الذين يتولون تسليم البضائع عند وصولها في شكل أمانات لأجل مرافقة التاجر صاحب البضاعة لها.[3]

---

[1] الحسين عماري: "**دور القوافل الصحراوية في العلاقات التجارية بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث**"، مجلة عصور الجديدة، ع 19_20اكتوبر 2015م،ص194.

[2]كرزيكة علي: "**اثر القوافل التجارية على صناعة الكتاب المخطوط بإقليم توات**"، مجلة آفاق علمية، مج9،ع 2،الجزائر،2017،ص156.

[3] فاطمة علي إمحـــمد أحويلات، المرجع السابق، ص83.

✓ **نظام القوافل:** يعتبر نظام القوافل من أقدم وأشهر الوسائل في نقل البضائع للمسافات البعيدة عبر القفار خلال البدايات الأولى من العصر الحديث، ولم يفت القائمين بهذه المهمة أن يضعوا لها قوانين خاصة بها تنظمها للاستفادة منها أما فيما يخص تنظيمها فهو على النحو الآتي:

***عدد الجمال:** من المعلوم أن الجمل يعد أهم وسيلة نقل متاحة اعتمدت خلال هذه الفترة لعبور الصحراء[1]، ونظرا لسهولة تكيفه مع أوضاع الصحراء المعروفة لندرة مياهها، والارتفاع الشديد لدرجة الحرارة، فضلا عن تحمل هذا النوع من الحيوانات على تحمل الحمولات الثقيلة لمسافات طويلة فقد اعتبر من الدعامات الأساسية المحركة لاقتصاد هذه الأخيرة،[2] ومن أجل تنظيم حركة سير القافلة فقد كانت تزود بأعداد هائلة من الرجال المسافرين ومن الحيوانات وذلك تجنبا لقطاع الطرق والأقوام المعادية.[3]

وبخصوص عدد الإبل فلا شك أن طبيعة القافلة هي التي تحدد عددها وكذا الظروف التي تتحكم في هذا النشاط إذ كلما كانت هذه الأخيرة ملائمة كلما زاد عدد الإبل والتجار والعكس صحيح. فمن جهة يرجع ذلك إلى أسباب أمنية ومن جهة أخرى تعود إلى مدى أهمية الطرق والمراكز التجارية وفي ذلك أشار هنري دوكاستريhenri de cestries إلى أن قوافل سوس التي كانت في مطلع القرن السابع عشر متجهة صوب بلاد السودان الغربي تتراوح عدد إبلها ما بين 800 إلى 1200 جمل وقد أشار أيضا كل من william lempiereو mungo park في نفس الصدد إلى أن عدد القوافل التجارية المتوجهة نحو الجنوب مع نهاية القرن الثامن عشر نادرا ما كان يتعدى 50 إلى 200 شخص حسب ما أشار إليه أول و150 إلى 200 شخص بما فيهم حداة الإبل وباقي الخدم على حد قول

---

[1]-يونس سيراغواما موشومبا: "**طرق القوافل التجارية واثرها في تقوية العلاقات الثقافية بين المغرب ودول افريقيا جنوب الصحراء**"، التفاعل الحضاري ....، المرجع السابق،ص289.

[2]- جورج غيرستر: **الصحراء الكبرى**، تعليق: خيري حماد، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1961، ط1، ص 10.، مجموعة منن المؤلفين: **تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى القرن 19م**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1984، ص 11.

[3] –جاك تيري: "**تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى**"، ترجمة: جاك الله عزوز الطلحي، ط1،دار الكتب الوطنية، بنغازي، الجماهرية العربية الليبية،2003،ص595.

الثاني وربما يفسر هذا النقص العددي الذي ميز الطاقم المرافق للقافلة التجارية ارتبط إلى حد ما بالتراجع الذي شهدته التجارة العابرة للصحراء آنذاك.[1]

*يقوم رجال خبراء بتهيئة القوافل وإعدادها للمسافرين (تجار وخدم) نفسيا وذلك نسبة لمخاطر الطريق وبعد المسافة التي، وقد تصل مدة السفر في بعض الأحيان إلى ثلاث أشهر أو أكثر حسب العديد من الظروف منها نوعية البضاعة التي تحملها القافلة والزمن الذي تسير فيه، ففي فصل الصيف مثلا تكون المسافات بين المحطات متقاربة وذلك لشدة حرارة المناخ ووهج الرمال الحارقة بإضافة الى خط السير والرمال التي تعلوه وتفر المياه على خط القافلة[2]، لذا فقد كانت القوافل خاصة الناقلة لحملات الملح من ملاحات الصحراء الجنوبية إلى السودان الغربي تبدأ في أغلب رحلاتها في فصلي الخريف والشتاء عندما تكون شدة الحرارة أقل ويكون يمكن العثور على بعض المراعي بالصحراء لأن العبور خلال فصل آخر في حد ذاته يشكل مجازفة كبرى[3].

***الكشاف:** وكان يختار من طرف رئيس القافلة يتمتع بخبرة ومعرفة شاملة بأماكن الأبار ويشترط أن يكون قادرا على معرفة الطريق وسط الرمال الكثيفة وغالبا ما يتم اختيار هذا الرجل من جماعة الطوارق ساكني المنطقة، لهذا فقد كان قائد القافلة يعتمد اعتمادا كبيرا على الكشاف لضمان وصول البضائع والسلع لأصحابها أو وكلاءها فقد كان للتجارة مندوبون ووكلاء في مختلف المدن التجارية الكبرى من كلا الطرفين وذلك بهدف تسهيل أمور التجارة في المنطقتين[4]، هكذا فقد كان للقافلة نظامها وتقاليدها في السير والحراسة وعند وصولها إلى المركز والحواضر السودانية كانت تحظى باستقبال حافل خاصة من طرف الأمراء، ففي عهد سنغاي كان التجار يستقبلون بحفاوة من طرف الملوك حيث كانوا يهيئون لهم الأمن ويستدعونهم لحفلاتهم ويستقبلونهم في بلاطهم، ما

---

[1] الحسين عماري: دور القوافل الصحراوية...، المرجع السابق، ص- ص195-196.

[2] يونس سيراغوما موشومبا: المرجع السابق، ص 289.

[3] نفسه ص289، فاطمة على إمحمـــد أحويلات: المرجع السابق،ص84.

[4] نفسه، ص289.

يفسر الأهمية الاقتصادية والحضارية التي كانت تنتج عن وصول عدد كبير من القوافل التجارية إلى المنطقة هو ما دفع الحسن الوزان بعد زيارته إلى سنغاي إلى الإشارة بحنكة الملوك ودماثة أخلاقهم وبطبيعة سكان المنطقة وتقديرهم للغرباء[1].

أما بخصوص مدة الإقامة التي كانت تقضيها القافلة في مختلف حواضر السودان الغربي فقد اشارت المصادر إلى أنها كانت تتراوح ما بين شهرين إلى ثلاثة أشهر ليس فقط بغرض ممارسة نشاطهم التجاري -الأمر يتطلب مدة زمنية طويلة- وإنما من أجل راحة التجار والخدم والدواب هذا من جهة ومن جهة أخرى للتزود بالمؤن والمواد الضرورية استعداد لمرحلة العودة وذلك غالبا ما تصل مدة رحلة القافلة إلى حوالي ستة أو ثمانية أشهر ذهابا وإيابا.

والجدير بالذكر أنه بالرغم من التنظيمات المحكمة التي كانت تعرفها القافلة التجارية وما تتوفر عليه من مؤهلات ضرورية لعبور الصحراء فإن عملية العبور ظلت مع ذلك محاطة بالمخاطر والصعوبات مما جعل إمكانية تعرضها للهلاك والتيه في الصحراء مسألة واردة[2].

ب- المخاطر والعراقيل التي تواجه القافلة أثناء الرحلة:

واجهت القوافل التجارية أثناء مرورها عبر الصحراء الكبرى جملة من الأخطار والمشاكل حتمت على الطاقم المشرف على تسيرها، وكذا الأطراف المعنية بالأمر اتخاذ عدة أمور لتجاوزها.

***الماء:** تعد ندرة الماء وبعد المسافات من أخطر المشاكل لذلك كان مصيرها واستمرارها على قيد الحياة ونجاحها أو فشلها متوقف على الماء، وللتغلب على هذه العقبة كانت تتخذ بعض الإجراءات والتدابير من لدن التجار المتوجهين صوب بلاد السودان

[1] زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص213.

[2] الحسين عماري: دور القوافل الصحراوية...،المرجع السابق، ص ص197-198

الغربي منها إعداد الماء الذي يكفي لتلك الرحلات المحفوفة بالعديد من المخاطر[1]. وقد أشار الحسن الوزان إلى أنهم كانوا يخصصون بعض الإبل لحمل المياه بقوله: "**وفي بعض النواحي لا يوجد الماء في أطول مسافة سفر ستة أيام أو سبعة، ويكون على التجار أن يحملوا الماء في القرب على ظهور جمالهم**"[2]. ويضيف الوزان أيضا أن مرافقي الرحلات كانوا يقومون ببناء الآبار المعرضة لخطر الزوابع الرملية من الداخل بواسطة عظام الإبل الهالكة ثم يغطونها بجلودها للمحافظة عليها[3].

ولم يقتصر مشكل توفير المياه وحلها على التجار، فحسب بل تعداهم إلى السلطات المركزية والمحلية والقبائل فالسعديون حرصوا على تذليلها وايجاد الحلول لها، وعلى امتداد عشر سنوات، من بداية الحكم المغربي للسودان الغربي قامت المحطات الصحراوية بأهم دور وهو تضيق المصاعب والأخطار التي كانت تواجهها القافلة في السابق، وقد استمرت المحطات تؤدي واجبها بعد تلك السنوات العشر غير أن الإشراف عليها انتقل إلى رجال القبائل[4].

ولقد اضطلعت الزوايا وزعامتها بدور مهم في هذا المجال فالشيخ المختار الكنتي مثلا كان في نهاية القرن 16م يجوب الصحراء الخاضعة لنفوذه لاسيما على طول الطريق الرابط بين توات وتنبكت ويقوم بعدة عمليات استهدفت تشجيع النشاط التجاري ومن ضمنها حفر الآبار[5].

***الهاجس الأمني:** واجهت القبائل التجارية أثناء الرحلة صعوبات أخرى إلى جانب الأخطار الطبيعية وهي تتمثل في الهاجس الأمني لاسيما القوافل التي لم تكن تتوفر على تصريحات الأمان، وقد أشار الحسن الوزان في هذا الصدد أثناء كلامه على أحد قصور

---

[1]يونس سيراغوما موشومبا: المرجع السابق، ص289.

[2]الوزان: المصدر السابق، ج1،ص75.

[3]نفسه: ص76.

[4]محمـــد الغربي: المرجع السابق، ص463.

[5]الحسين عماري: دور القوافل الصحراوية...، المرجع السابق، ص199.

مغضرة على وادي زيز بقوله: " **وفيه يقيم أمير الدائرة وهو عربي وله فخذ من قبيلته يعيش في البادية تحت الخيام وآخر كذلك بالقصر مع بعض الجنوب لا يستطيع أحد أن يخترق إقليمه دون إذنه الصريح فإذا لقي هؤلاء الجنود القافلة بدون رخصة مرور نهبوها فورا وجردوا التجار والرائدين**"[1].

ولحد من هذا الخطر حرصت أطراف عديدة على خلق نظام لحماية القوافل التجارية فالسعديون بعد قيام دولتهم حرص سلاطينهم على تأمين الطرق التجارية عن طريق بسط نفوذهم على الواحات والمحطات التجارية لاسيما أن هؤلاء قد اعتبروا بلاد السودان كمنطقة امتداد طبيعي لنفوذهم السياسي وبعد حملة المنصور الذهبي أقام الشرفاء السعديون حاميات عسكرية في درعة نظرا للأهمية البالغة التي أصبحت تؤديها هذه الأخيرة في العلاقات مع السودان الغربي، وإلى جانب ذلك عمل هؤلاء على تنظيم ومراقبة سير القوافل التجارية بإرسال بعثات عسكرية تسهر على حمايتها هذا وقد شاركت أطراف أخرى في هذا الدور الذي كانت تستفيد منه التجارة العابرة للصحراء في حماية القوافل وتوفير الأمن لها كالزوايا التي عملت على تأمين عملية العبور وكذلك القبائل العربية الصحراوية التي كانت تتوصل أما بالهدايا من طرف القوافل مقابل حصولها على جوازات المرور، أو تصريحات الأمان، أو دفع مبالغ مالية معينة للاستفادة من حماية حرس مسلح غالبا ما كان يتشكل من قطاع الطرق[2].

ج- طرق القوافل:

هناك مؤثرات عديدة تدل على أن الروابط الاقتصادية بين البلدان المغاربية وبلاد السودان الغربي والأوسط عريقة جدا أدت إلى ميلاد شبكة كثيفة من الطرق والمسالك التجارية بين الشمال والجنوب عبر الصحراء الكبرى.

---

[1] الوزان: المصدر السابق، ج2،ص123.

[2] الحسين عماري: دور القوافل التجارية...، المرجع السابق، ص ص 201-202.

وبالرغم أن هذه المسالك ليست ثابتة في الزمان والمكان وتباين أهميتها من فترة إلى أخرى حسب الظروف والتحولات المرتبطة بواقع الضفتين تبعا لقوة الدول الحاكمة وقدرتها على تأمين تلك المسالك، فإن البلدان المغاربية ومراكزها الحضارية كان لها حصة مقدرة من الطرق إلى السودان الغربي نذكر أشهرها:[1]

مسالك المحور الأوسط: والتي تربط الجزائر بالسودان الغربي ويوجد في هذا المحور عدة حواضر ومدن تشكل محطة هامة لتجميع القوافل ومن أهمها حاضرتا ورجلان وتوات وذلك لتفرع الكثير من الطرق منها:

مسالك ورجلان إلى السودان الغربي: سلكت القوافل التجارية عدة طرق ربطت بين حاضرة ورجلان وبلاد السودان الغربي عبر فترات زمنية طويلة من القرن الثاني الهجري /9 م حتى القرن الثالث عشر هجري / 19 م منها ما هو رئيسي ومنها ما هو ثانوي ومن أبرز هذه المسالك نذكر:[2]

مسلك ورجلان–تادمكة: يعد هذا من أقدم الطرق التي سلكتها القوافل التجارية المؤدية الى السودان الغربي ينطلق من ورجلان ومنها إلى المنيعة ومنها إلى عين صالح ومنها إلى جبل مويديرMouydir لمنطقة الهقار أين ينقسم بعدها إلى عدة مسالك أحدهما يتجه إلى أغاديس في حين يتجه الآخر نحو جاو مرورًا بمنطقة (ابالسة) و(تين زاوتين) وكيدال ثم (بورم) ثم إلى تادمكة وصولا إلى جاو.[3]

---

[1]عبد الباسط المستعين: "**التلاقح الحضاري بين حواضر المغرب والسودان الغربي والأوسط خلال العصر الوسيط**"، مجلة قراءات إفريقية، ع30،سبتمبر 2016،ص03.

[2]أحمد ذكار: "**حاضرة ورجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي من سنة 1000 هـ إلى سنة 1301هـ \1591م إلى 1883م**"، مذكرة ماجستير، إشراف: محمــد حوتية، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، الجزائر 2009–2010، ص68.

[3]Lewcki tateuz**: etudes magrébines et soudanoises**,ed scientifiques de la polognie, 1976, p35.

مسلك ورجلان تنكبت: ويعد من أشهر المسالك وأهمها بقي ينشط إلى غاية الاحتلال الفرنسي لضفتي الصحراء في النصف الثاني من القرن 19 م ينطلق من ورجلان ومنها الى المنيعة ثم عين صالح ثم المبروك ومنه إلى تنبكت.[1]

مسالك توات إلى السودان الغربي: حظي إقليم توات بالمكانة نفسها التي تميزت بها ورجلان تقريبا باعتباره يمثل محطة هامة للقوافل، ومخزنا كبيرا للبضائع وهو ما أكده الحسن الوزان عندما أشار إلى أنها شكلت" **مجمع القوافل لأن تجار بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد السودان ثم يذهبون جميعا**"[2] فقد تميز بوجود شبكة من الطرق التجارية تربطها بمختلف حواضر السودان الغربي ومن أهمها:[3]

مسلك توات تنبكت: وينطلق من قصر اقبلي وتسلكه القوافل التجارية باتجاه مدينة تنبكت عن طريق المبروك وأروان وكانت هذه الطريق أكثر أمانا، وهي الطريق ذاتها التي سلكها الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني في رحلة من توات صوب أروان.[4]

مسلك توات جاو: ينطلق من اقبلي بتوات ثم مراقن ثم والن ثم تنزوفت ثم البرج ثم حاسي باكتليس، ثم تساليت ثم اقاهوك ثم انافيف ثم تبرشات ثم تنقارا ثم بوراغن ثم إلى جاو.[5]

مسالك المحور الشرقي: والتي تربط بين طرابلس الغرب والسودان الأوسط والغربي، ولقد وجدت محطات عديدة لتجمع القوافل مثل طرابلس وغدامس وغيرها حيث تنتهي جنوبا في عدة محطات بالسودان الأوسط والغربي نذكر أهمها:

---

[1] أحمد ذكار: المرجع السابق،ص74.

[2] الوزان: المصدر السابق، ج 2، ص 133.

[3] نفسه.

[4] عبد الله كروم: المرجع السابق،ص.26

[5] مبارك جعفري: **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13ه/19م**، أطروحة دكتوراه، إشراف: حوتية محمد، جامعة الجزائر 02، 2013-2014، ص326.

مسلك طرابلس كانم برنو عبر فزان: ويعد من أهم الطرق التي كانت تسير عليها القوافل طريق فزان الممتد إلى بلما وكانم، وقد أشارت المصادر العربية بأن هذا الطريق قديم جدا وكان له دور فاعل في توطيد الصّلات التجارية بين الجرميين بفزان، وشعوب جنوب الصحراء وكان همزة وصل بين سواحل البحر المتوسط وأرض السودان وطريق زويلة الذي ربط بين زويلة وكانم مرورا بالقطزون وتيجو ومدامة حيث اخترق هذا الطريق واحة كوار[1] واجادم لتصل إلى نجيمي على بحيرة تشاد وفي كانم ويعد أهم وأشهر طريق تجاري عبر الصحراء من القرن التاسع الميلادي حتى القرن التاسع عشر ويعتبر نقطة ارتكاز اعتمدت عليها دول هذه المنطقة، حيث يربطها عبر الصحراء بشمال إفريقية طرابلس والمغرب مرورا بواحة كوار وفزان وزويلة وهو طريق طويل كان يستعمل للتجارة منذ العصور القديمة.[2]

وتأكيدًا لأهمية هذا الطريق عبر فزان والأراضي اللّيبية خلال القرن 16 م فقد طرأت عليه بعض التغيرات عن طريق التجارة الصحراوية التي تمر عبر الجزائر عندما قام البرتغاليون بتغيير مسار التجارة على موانئ المحيط الاطلسي إلى شواطئ سواحل البحر المتوسط.[3]

– **مسالك المحور الغربي:** والذي يربط بين المغرب الأقصى والسودان الغربي ومن أهم هذه المسالك نذكر:

---

[1] **كوار** : وتقع هذه المدينة جنوبي فزان ، قال عنها اليعقوبي ووراء زويلة على خمسة عشرة مرحلة مدينة يقال لها كوار بها قوم مسلمين من سائر الحياء أكبر بربر وهم يأتون بالسودان ، وقد ذكرها أيضا ابن الحكم في حديثه عن الفاتح عقبة إبن نافع قائلا بأنه إفتتح كوار سنه 666 م عندما كان مارا بزويلة بفزان ينظر : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي (ت : 284 م – 897 م) **كتاب البلدان** ، مطبعة بريل لندن ، 1860 م ، ص 183 ، إبن عبد الحكم : **فتوح مصر والمغرب** ، تحقيق : عبد المنعم عامر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة 1999 ، ج 1 ، ص 231.

[2] يونس سيراغوما موشومبا: المرجع السابق، ص287.

[3] فاطمة علي إمحمـــد أحويلات: المرجع السابق، ص125.

* **مسلك فاس ومكناس إلى تنبكت** : ويعد من أشهر الطرق التجارية يمر بقصبة المخزن وأم دريبينة ويتبع حوض واداي إلى إيجلي ثم حوض واداي أم الساورة إلى توات واقبلي ثم مبروك وتنبكت.

***مسلك مراكش إلى تنبكت** : ويمر على تارودانت وتاوريرت تيندوف ويخترق رمال ايقيدي وعرق شاش ومنها إلى تاودني كما يخترق الجوف شرقا مارا باوتان وأروان ليتجه إلى تنبكت ولهذا الطريق أيضا فرع من تيندوف باتجاه الجوف الأصفر واوقلتا لعزل وفرونة وزمور والقلتة وساميت وحاشي بوتلان ومن هنا يتجه فرع منه إلى تنبكت وفرع إلى قصر البرشان وعطار واوجيفت على شاطئ المحيط الاطلسي[1].

[1]يحيى بوعزيز: **تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين**، دار البصائر، الجزائر،2009،ص ص 40-41.

2- التجارة الداخلية:

2-1- الأسواق ونظم تسييرها:

لقد كان للتجار المغاربة دورًا كبيرًا في إنعاش التجارة الداخلية في مختلف الأسواق التي شهدها السودان الغربي إذ كانوا مستقرين ومسيطرين بتجارتهم المنتشرة على طول الطريق التجاري الذي يربط بين الشمال والجنوب.[1]

ومن ضمن الأسواق التجارية التي كانت سائدة في المنطقة والتي كانت تعقد حينما توجد المدن الكبرى ويتكاثر السكان والمساكن، ويمكن التمييز بين ثلاث أنواع منها:

***الأسواق المحلية:** وهذا النوع من الأسواق كان يقام يوميا، وهي موجودة بصفة دائمة في مختلف القرى والمدن السودانية يقصدها سكان القرى القريبة التي توجد فيها السوق وما تتميز به هذه الأسواق عن غيرها هو وجود بعض الدكاكين والحوانيت الصغيرة، أما بقية البضائع والسلع فكان يتم عرضها في العراء كما يتبادل فيها بعض السلع رخيصة الأثمان فقط[2]، ومن السلع التي كانت تعرض في هذا النوع من الأسواق تتمثل في بعض أنواع الأطعمة والجلود والعنبر وريش النعام وغيرها في حين أن الذهب لم يكن يعرض بكميات كبيرة مقارنة بغيره من السلع وسبب ذلك أن التجار المحليين بالمنطقة كانوا يحتفظون به للتبادل مع التجار الوافدين بسبب إغراء السلع التي يقدمها هؤلاء.

***الأسواق الاقليمية:** وتعقد في أيام محددة من الأسبوع حسب فعالية النشاط التجاري للمنطقة فبعضها كان يقام مرة كل أسبوع، في حين كانت هذه الأسواق تعقد في بعض المناطق في حرض السنغال كل يومي الإثنين والجمعة،[3] وعادة ما تكون هذه الأسواق في المدن والقرى والواحات البعيدة وذلك لكي توفر حاجات السكان في تلك المناطق، وما

---

[1]عبلة محمـــد سلطان لطيف: العناصر المغربية...، المرجع السابق، ص91.

[2]زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص195.

[3] حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص195.

تتميز به هذه الأسواق مقارنة بالأسواق المحلية أنه يتم فيها تبادل المنتوجات المحلية والخارجية معا، فقد كان يقصدها التجار من خارج المنطقة الموجودة بها، ومن البضائع التي كانت تعرض بشكل كبير هي الذهب والعبيد والملح.

***الأسواق الكبرى:** وأغلب هذه الأسواق توجد شمال البلاد وكانت تجري عن طريقها حركة الاستيراد والتصدير مع الخارج، وفيها بتم عقد الصفقات والعقود بين التجار، وكان أهم هذه الأسواق في سنغاي على عهد الأسقيين تلك التي توجد بمدينة تنبكت وجني وجاو وغيرها.

ولا شك أن قيام هذه الأسواق في المنطقة يحدث وفرة في بعض المواد الأولية كالصوف باعتبار أن انتاجها يرتبط بفترات ومواسم معينة.[1]

2-2- أصناف التجار المساهمة في ازدهار الحركة التجارية:

كانت بلاد السودان الغربي من أهم المناطق الغنية بثرواتها الطبيعية طيلة الفترة الوسيطة والحديثة مما جعل الأنظار تتجه إليها من كل حدب وصوب.

ومن بين الذين اتجهوا صوب هذه المنطقة مجموعة من التجار جاءوا من مناطق مختلفة، سكنوا أهم مدنها واستقروا بها كتنبكت وجني وجاو وغيرها، وبعد استقرارهم بالمنطقة عمل هؤلاء بانسجام مع التجار المحليين على تنشيط الحركة التجارية، ومن أهم الأصناف التي كان لها دورٌ بارزٌ في تنشيط الحركة التجارية وازدهارها ما يلي:[2]

***التجار المحليون:** يصنف التجار في جني كما هو الحال في تنبكت إلى عدة أصناف إذ يستقر التجار الأغنياء بشكل دائم ومستقر في المدن الكبرى للبلاد، وبجانب هؤلاء تنتشر دكاكين تجار التقسيط البسطاء، وما بين المجموعتين نجد جميع أنواع التجار

---

[1] زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق ص195،

[2] زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج1، ص 297.

بدرجات متفاوتة في الأرزاق ورؤوس الأموال وباختلاف أقسام التجار المحليين بالمنطقة فقد كانوا جميعا يؤدون دورا رئيسيا في تزويد الأسواق السودانية بحاجياتها المختلفة.[1]

***التجار المغاربة:** يمثل هذا الصنف من التجار العنصر الأساسي والغالب في الحركة التجارية بالسودان الغربي، ونظرا لقرب المنطقة من البلدان المغاربية والصلات التجارية التي ربطت بين المنطقتين منذ القدم.[2] سيطر هؤلاء على تجارة الاستيراد والتصدير في المدن السودانية الكبرى وحرصوا على الاستثمار بدور الوسيط بينهم كتجار وافدين من الشمال ومع التجار المحليين في الجنوب ومن خلال شبكة الوكلاء المنتشرين في مدن القوافل ومراكز الأسواق استطاعوا الحصول على كميات كبيرة من البضائع مكنتهم من التحكم في حركة التبادل.

وإلى جانب هذه الأصناف من التجار أدت عناصر أخرى أيضا دورا مهما في تنشيط هذه الحركة في المنطقة وهم تجار الونغارا الذين اتخذوا من مدينة جني إحدى أهم محطات انطلاق لقوافلهم.[3]

3- التجارة الخارجية:

3-1- السلع الواردة الى بلاد السودان الغربي:

على الرغم من المخاطر التي كانت تحدق بالتجار المغاربة بالبلاد السودان فإنها لم تكن بالخطورة التي تمنعهم من السفر إلى المنطقة وهو ما يفسر حيوية التجارة بين المنطقتين، حيث تمكن هؤلاء التجار من نقل مختلف السلع والبضائع النادرة والمطلوبة والتي لا تتوافر في السودان الغربي.[4]

ومن أهم هذه السلع نذكر:

---

[1] زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج1، ص 298.

[2]- إصلاح محمد البخاري حمودة: المرجع السابق، ص 133.

[3] -حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص 205.

[4]-محمــد الشريف، المرجع السابق، ص207.

الملح: ويأتي هذا النوع من السلع بالدرجة الأولى من بين صادرات السودان الغربي[1] ولندرة هذه المادة، وعدم توفرها بالمنطقة، والحاجة الماسة إليها، ساهم التجار المغاربة في نقله نحو المنطقة فقد كان يستهلك على نطاق واسع ولأغراض مختلفة[2]، حيث كان يستعمل في الطعام وإلى جانب ذلك وقد كان يستعمل أيضا في الصناعات الغذائية كالمصبرات، وفي صناعات أخرى كالدباغة وغيرها[3]. ومن خلال ما ذكره ياقوت الحموي أن أثمن شيء في ضريبة الملك "جاوGoa " كان الملح، وهو دليل على أهمية هذه السلعة ضمن المبادلات التجارية للقوافل القادمة نحو السودان.[4]

المنتوجات المعدنية: لقد بلغت بعض المنتوجات المعدنية المغاربية ببلاد السودان الغربي أهمية بالغة نذكر منها المنتوجات النحاسية وهي عبارة عن خواتم وأساور وأقراط من النحاس الأحمر إما مصنعة أومادة خام من أهم صادرات البلدان المغاربية نحو السودان الغربي، وقد شغلت هذه المادة هناك لصناعة الحلي وإلى جانب ذلك استخدمت كعملة للتبادل التجاري إذ أشار العمري إلى ذلك وهو يتحدث عن كانم، أما بخصوص المنتجات الفضية فرغم أن المصادر المغاربية لم تصرح بتصدير هذه المادة إلى بلاد السودان الغربي فلا يمكننا اعتبار المنتوجات الفضية بالبلاط المالي والسنغاي إلا من صادرات البلدان المغاربية، وما يؤكد ذلك ما ورد بالمصادر الأوروبية منها أشار كاداموستوcadamosto إلى أن مادة الفضة كمعدن مصدر من البلدان المغاربية إلى مدينة تنبكت في قرن 16 م.[5]

---

[1] –ابن حوقل: المصدر السابق، ص 91.

[2]-امطير غيث: التأثير العربي الاسلامي...، المرجع السابق، ص136.

[3] – موريس لومبارد: **الجغرافية التاريخية للعالم الاسلامي خلال القرون الأربعة الأولى**، ترجمة: عبد الرحمان حميدة، دار الفكر، دمشق، 1998، ص 248.

[4] -أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: 626ه/1228م): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م، ص302.

[5] –كريمي ماجدة: "**المغرب في خدمة التطور الاقتصادي للسودان الغربي (من ق5هـ الى نهاية ق 8هـ /من 11م الى 14م)**"، العلاقات المغربية الافريقية ...، المرجع السابق، ص82، البكري: المصدر السابق، ص176.

التمور: وتعد من السلع ذات الحمولات الكبيرة التي كانت تصدر نحو بلاد السودان خاصة مدينة جني من طرف التجار المغاربة فقد كانت تستورد منه كميات كبيرة من الواحات الصحراوية خاصة من ورجلان وهذه المادة هي أقدم بضاعة عرفت التصدير إلى المنطقة واستمرت إلى بعد القرن 19م.[1]

الخيول: أشارت بعض المصادر العربية بأن المنطقة لم تكن تتوفر بها خيول أصيلة باستثناء بعض الخيول القصيرة والصغيرة التي كان يستخدمها أفراد حاشية الملك أثناء تجوالهم بالمدينة والتجار في أسفارهم[2]، وفي هذا الصدد أشار الحسن الوزان إليها بقوله:" **الجياد تأتي من بلاد البربر مع القافلة ثم تعرض بعد عشرة أيام أو اثني عشر يومًا على الملك ليأخذ منها العدد الذي يريده ويدفع فيها ثمنا مناسبا**". وقد أكد الوزان أيضا على أن ملوك سنغاي اهتموا بشراء الخيول التي كان التجار يعرضونها بمبالغ مرضية[3]، هذا وقد أشار كذلك مرمول كربخال إلى رداءة خيول بلاد السودان المتميزة بالقصر فيستورد من البلدان المغاربية ويأخذ الملك ما يعجبه منها.[4]

الحلي وأدوات الزينة: ومن بين السلع الأخرى التي أسهمت القوافل التجارية في نقلها نحو مختلف مناطق بلاد السودان الغربي خلال هذه الفترة وهي الحلي والعطور فبالنسبة للحلي فكان أغلبه يصنع من النحاس والفضة المذهبة أو الذهب الخالص الذي كان معظمه يجلب من بلاد السودان وقد كانت النساء تزين هذه الحلي بالخرز الملون وتستخدم سبحا أو أقراطا أو عقودا للنساء.[5]

---

[1] -زمان عبيد وناس: تمبكتووأثرها الحضاري...، المرجع السابق، ص 120.

[2] الوزان: المصدر السابق، ج2 ص 166-167.

[3] نفسه، ص 166-167.

[4] مرمول كربخال: المصدر السابق، ج 2، ص203.

[5] عبلة محمـــد سلطان لطيف: العناصر المغربية...، المرجع السابق ص 116.

أما العطور فقد كانت تنال إقبالا كبيرا من طرف أهالي سنغاي، وقد كانت تجني أرباحا كبيرة على التجار، وقد كانت تستهلك بكثرة في جميع أطراف المملكة وخاصة بين الطبقات الميسورة والرسمية حيث لا يظهر الملوك والرؤساء إلا العطور تفوح منهم.[1]

الأطعمة: تمكن التجار المقيمين في بلاد السودان من نقل تقاليد المطبخ المغربي إلى المجموعة السكانية المحلية، فبعد أن قام هؤلاء بتزويد الحواضر التي يسكنها البيضان بمختلف الأطعمة التي يرغبون فيها أصبحت تتاجر بهذه السلع مع أهالي المنطقة أيضا، إذ تشير المصادر بحمل القوافل المغربية كالزبيب والتمر وخاصة الحبوب من بلاد السوس هي "بلاد الحنطة والشعير " كما أشار الإدريسي، اشتهرت بها العديد من المدن المنتجة لكميات كبيرة من القمح.[2]

ولقد أشارت المصادر إلى أن صادرات البلدان المغاربية نحو مناطق السودان الغربي لم تقتصر فقط على المواد المحلية، بل شملت كذلك سلع أخرى غير محلية كان التجار المغاربة يستوردونها من جهات أخرى لاسيما من أوروبا ثم يقول هؤلاء بدور الوسيط التجاري بين أوروبا وبلاد السودان الغربي، فالحسن الوزان عند حديثه عن افران أشار إلى أن سكانها أغنياء وذلك لأنهم كانوا يتاجرون بسلعهم مع البرتغاليين حيث كانوا يأخذون منهم الثياب الخشنة والقماش وغير ذلك، ويحملونها إلى بلاد السودان الغربي كولاتة وتنبكت.[3]

3-2- سلع صادرة من بلاد السودان الغربي:

كانت المراكز التجارية التي عرفتها المنطقة مزدهرة بالعديد من السلع وهو ما أغرى التجار المغاربة بعبور المفاوز الشاسعة، والتعرض للأخطار الكبيرة لجلب هذه السلع التي لا تتوافر عندهم ومبادلتها بسلعهم المتميزة والمتنوعة، وهو ما أدى إلى إنعاش

---

[1]زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق ص 220.

[2] كريمي ماجدة: المرجع السابق ص ص 79- 80. مرمول كربخال: المصدرالسابق، ج2 ،ص 202.

[3]الوزان: المصدر السابق ج2 ص 166.

الطرق التجارية المتجهة جنوبا، ومن أهم السلع والبضائع التي صدرت من السودان الغربي نحو مختلف البلدان المغاربية والمشرق وعبرت أوروبا من القرن 16 حتى 19 م.[1]

الذهب: اتفقت جل المصادر كما هو معلوم على أن التجارة مع بلاد السودان تجارة مربحة بل هي مصدر ثراء اتصفت بفخامة التمويلات ورؤوس الأموال ومصدر هذا الثراء هو آلية التبادل بضاعتين أساسيتين متوفرتين هناك بثمن منخفض تماما هما الذهب والعبيد مقابل بضائع رخيصة في البلدان المغاربية، فالربح هو المبرر للإقدام على عناء الرحلة الصحراوية.[2]

ولأهمية هذا المعدن النفيس وكثرة الطلب عليه بشكل مستمر من البلدان المغاربية المشرقية والدول الأوروبية اشتهرت الممالك السودانية بتصديره حيث عرفت مملكة مالي الإسلامية بتجارته ومن أجل جني أرباح طائلة جعلها من أغنى دول العالم الإسلامي في نهاية القرن15 م، وكان الذهب يُحمل على رؤوس العبيد من مناطق استخراجه إلى مدينة جني ومنها ينقل بالقوارب إلى تنبكت، ومن تنبكت يُحمل على ظهور الإبل إلى مختلف المدن المغاربية[3]، ولم يكن التجار يغامرون بنقله ضمن قوافل صغيرة، بل كان يتم نقله في قوافل كبيرة وشديدة الحراسة، وذلك بهدف حمايتها من قطاع الطرق ولأجل هذا يقتصر نقل هذا المعدن الثمين على مرة واحدة في السنة بعد اتخاذ مختلف الإجراءات اللازمة.[4]

أدى تجار الذهب من المغاربة المقيمين ببلاد السودان دورا هاما في استمرار العلاقات الاقتصادية بين البلدان المغاربية والسودان الغربي في الفترات التي تراجعت فيها

---

[1] امطير غيث: التأثير العربي الاسلامي...، المرجع السابق، ص 136.

[2] صالح بعزيق:" **مراكش – أغمات والتجارة الصحراوية في العصر الوسيط من خلال كتب الجغرافيا والرحلات**"، المغرب في محيطه الافريقي...، المرجع السابق ص 34.

[3] العسيري: المرجع السابق، ص 108.

[4] حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص ص 220-221.

الحالات السياسية بينهما لأن الذهب ظل هدف التجار المغاربة إلى غاية القرن 19 م، وكانوا يتبايعونه بالقناطير خاصة في تغازا.

العبيد: تصدرت تجارة الرقيق وتصديره إلى الشمال والشرق –المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الذهب– قائمة السلع التي نالت اهتمام المغاربة من التجار المقيمين في بلاد السودان الغربي نظرا لكثرة الاقبال على شرائه لما يدره عليهم من أموال[1]، ولقد أشار الحسن الوزان إلى الأعداد الكبيرة من الرقيق التي كانت تباع في بعض المدن خاصة في مدينة جاو بقوله "**وفيها ساحة يباع فيها أيام السوق عدد لا يحصى من الرقيق ذكورا واناثا**"[2] ويذكر الأصطخري أوصاف هؤلاء العبيد:"**وليس هم بنوبة ولا بزنج ولا بحبشة ولا من البجة إلا إنهم جنس على حدة أشد سوادا من الجميع وأصفي**"[3]

أما عن عملية الحصول على هؤلاء العبيد، فقد كانت تتم بين الأفارقة أنفسهم عن طريق الأسر في الغزوات التي كانت تقع بين القبائل ولقد أورد مركول كربخال دور الحروب التي كان يثيرها السودانيون فيما بينهم إلى ازدهار هذه التجارة "**... يباع فيه العبيد بأثمان بخسة ولا يتجاوز ثمن عبد شاب أو أمة شابة ستة عشر درهما ولا غرو أن تجارة العبيد تزهر مع الحروب**".[4]

وبخصوص المدن المغاربية التي مثلت محطات استقبال العبيد المجلوبين من بلاد السودان الغربي، فقد كانت ورجلان محطة هامة في ذلك، حيث يبقون فيها لشهور ليستعدوا فيها نشاطهم ويعتنقون الإسلام[5]، وقد كان الاسترقاق يستعمل كهدايا حيث أشار الوزان إلى هذه المسألة وقال بأن ملك برنو يفضل دفع الثمن رقيقا.[6]

---

[1]عبلة محمــد سلطان لطيف: العناصر المغربية...، المرجع السابق ص 111.

[2]الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 169.

[3]ابواسحاق ابراهيم بن محمــد الفاسي الاصطخري: (350ه/960م): "**مسالك الممالك**"، مطبعة بريل ليدن 1927، ص6. مرمول كريخال مصدر سابق ج 3 ص 205

[4] مرمول كربخال : المصدر السابق، ج3، ص 205.

[5] Jean letrilliux:**ouargla cite salariennelibaririe orientaliste;** paris; 1963; p 161.

[6]الوزان: المصدر السابق، ج ،1 ص 177.

العاج: ويعد من السلع التي لقيت رواجا كبيرا في الأسواق واهتم التجار المغاربة وغيرهم بجلبه من الأسواق السودانية، ويذكر بوفيل أن بعض التجار كانوا يقيمون في ولاتة لجمع العاج الذي يرد من السودان الغربي ويصدرونه إلى البلدان المغاربية ومنه الى أوروبا في الغالب.[1]

وللعاج أهمية كبيرة فقد استخدمه المغاربة في مجالات صناعية وفنية عديدة، حيث استعمل في تجارة منابر بعض الجوامع الفخمة والكبيرة مثل منبر جامع الكتيبة بمراكش وإلى جانب ذلك، فقد صنع منه بعضهم أواني للشرب وزينوا به سروج الخيول.[2]

ريش النعام وبيضه: تعتبر مدينة تنبكت من أهم مراكز تصدير هذا النوع من السلع نحو البلدان المغاربية ومنه إلى أوروبا، وقد لقيت تجارته رواجا كبيرا حيث كان يستخدم الصناعات المنزلية مثل حشو الأرائك والمخاد والمقاعد، وكان بعض طبقات المجتمع الموسرة تستخدمه كمراوح تهوية فضلا عن استخدامه في الزينة ولذلك كان التجار يجلبون منه كميات كبيرة.[3]

أما عن بيضه فيعد محه أحد أهم العناصر الهامة في تركيب الأدوية كما كان يوضع فوق المناضد أو يعلق على قاعات الجدران للزينة.[4] وإلى جانب ذلك فقد كان يستعمل أيضا لحفظ الحبوب مثل القمح والشعير كما أشار الدرجيني[5]

---

[1] الامين عوض الله: المرجع السابق، ص 89.

[2] حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص 228.

[3] - زمان عبيد وناس: تمبكتو وأثرها الحضاري...، ص 123 ، حمد محمد الجهيمي: **العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين التاسع والحادي عشر الميلاديين،** كلية الآداب والعلوم، قسم التاريخ، جامعة محمد المختار، ليبيا، ص 12.

[4] -زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 226.

[5] - أحمد بن سعيد الدرجيني: **طبقات مشايخ المغرب،** تحقيق: إبراهيم طلاوي، مطبعة البحث، قسنطينة، 1974، ج2، ص 434.

4- المقاييس والموازين والمكاييل ونظم التعامل والعملات:

4-1- المقاييس والموازين والمكاييل:

يصعب رصد المقاييس والموازين والمكاييل التي نقلها المغاربة إلى بلاد السودان، فقد شكلت المقاييس في البلدان المغاربية أساس التعامل في هذا البلد منذ وقت مبكر، أي منذ البدايات الأولى لوصول التجار المسلمين والجاليات الإسلامية إليه، وقد اعتمدت لقياس المساحات والأبعاد والمواد الصلبة والسوائل عند أغلب مناطق السودان الغربي، ومنها الذراع والشبر والقدم والأوقية والصاع وغيرها، وما يستوجب ذكره أن شارل مونتاي أورد لائحة لبعض المقاييس والموازرين التي نقلها المغاربة إلى مدينة جني وبقية المدن السودانية الكبرى، واستعملها التجار والمسافرين والمقيمون المغاربة في هذه المدن حتى القرن 19م وهي:[1]

الذراع: وهو من المقاييس التي كانت تستعمل في مملكة سنغاي الإسلامية، حيث استعمل في قياس الأثواب والنسيج الذي ازدهرت تجارته بالمنطقة مع دخول المغاربة إلى هذه البلاد.

الشبر: وهو يساوي الامتداد ما بين الخنصر والإبهام حين تكون الكف مفتوحة وقد تقدر ب21,5 سم تقريبا.

الميل: ويستعمل في قياس المسافات الطويلة، وقدر حسب بعض المراجع المعاصرة ب 1920 مترا.[2]

الفرسخ: كان يقاس به المسافات الطويلة أيضا وكان يساوي ثلاث أميال تقريبا.[3]

القدم: يستعمل لقياس الأراضي وتحسب قدما بعد الأخرى ويستعمل بكثرة في معرفة وقت الزوال.

---

[1] -مبارك آيت عدي: المرجع السابق، ص 95.

[2] زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 198.

[3] محمود كعت: المصدر السابق، ص 35.

الحبل: ويستعمل لقياس الأرض وطوله 10 أمتارٍ.[1]

القالة: وقد انتشرت بالسودان الغربي مع دخول الصناع المغاربة إليه هؤلاء الذين طوروا صناعة الحياكة في تنبكت وجني حيث يبلغ طولها 50 سم في جني وديا dia diamara .[2]

وقد أشار شارل مونتاي في إطار حديثه عن مدينة جني أيضا إلى بعض الموازين المستعملة في المدينة وذكر أنها دخلت إلى المدينة كلها عن طريق المغاربة وصنف ضمنها:

- الكوري الكبير لجني: يزن 165,5 غرام.
- الكوري الصغير لجني: يزن 133,5 غرام.
- الكوري الكبير للجول: يعادل 161 غرام.
- الكوري الصغير للجول: يساوي 81,5 غرام وأجزاؤه تزن ما يأتي 68,5 غ، 54 غ و42,5 غراما.

الأوقية: وتساوي 27,5 غرام وأجزائها تزن 21غ و15 غ و9 غرامات.

المثقال: ويعادل 4,5 غرام وهو 1\8 الأوقية

كما أكد في نفس الوقت على إدخال بعض الأوزان الدقيقة الخاصة بوزن الحرير والتبغ والبخور الى جني وهي:

- الأوقية: تزن 27,5 غ.
- أوقيتان: تزن 55 غرام.
- أوقيتان ونصف: تزن 69,75 غ.
- ثلاث أوقيا: تزن 85 غ.

---

[1] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية ، دار الكتاب ، الجزائر، 2007، ج1، ص64.

[2] مبارك آيت عدي: المرجع السابق، ص 95.

- نصف أوقية: تزن 13,5 غرام.
- ثمن أوقية: تزن 5 غ.[1]

وفي نفس الصدد أشار موني بدوره إلى أن المغاربة نقلوا إلى السودان بعض الأوزان المصنوعة من الزجاج وغيره غير معروفة فيما سبق ثم اكتشافها في مدينة جاو.[2]

أما بخصوص المكاييل فقد استعملت في بلاد السودان عامة عدة وحدات منها انتقلت إليها تدريجيا من طرف المغاربة وهي كالآتي:

المد: رغم اختلافه من منطقة إلى أخرى داخل بلاد السودان الغربي فقد دخل إلى البلاد حسب شارل مونتاي من طرف المغاربة منذ عدة قرون وكان المد الحقيقي عندهم يعادل 44 حفنة ومن الذرة المسماة بكاجات cadiaba .

الصاع: وهويساوي أربعة أضعاف المد أي يعادل ثلاث لترات تقريبا.

القنطار:وقد قدر بحوالي 100 رطل تقريبا.

المودي: وهويساوي ما يحمله العبد أو الرجل من الحبوب أو غيرها في كيس كان يتخذ من الجلد.[3]

الحزمة: هي وحدة تستعمل لقياس وزن السمك المجفف.[4]

ومن ضمن المكاييل الاخرى التي أشارت إليها المصادر السودانية في عهد سنغاي الصينية حيث يكال بها الأرز، وربما استعملت لتحديد مقادير الصدقات والضرائب والخراج، وهي كيس جلدي يبلغ وزن حمولته 200 كلغ.[5]

---

[1] مبارك آيت عدي: المرجع السابق، ص 95.

[2] زمان عبيد وناس: تمبكتووأثرها الحضاري...، المرجع السابق، ص 127.

[3] محمود كعت: المصدر السابق، ص157.

[4]زبادية: الحضارة العربية ...، المرجع السابق، ص 53.

[5] حسن بوبيدي: المرجع السابق، ص245.

والجدير بالذكر بأن المغاربة قد نقلوا إلى المنطقة مقاييس ومكاييل وموازين جديدة استمرت في التداول بالسودان إلى حدود وصول الاحتلال الأوروبي لهذا البلد، حيث احتفظ بالكثير منها بالمعهد الفرنسي لإفريقيا السوداء.[1]

[1] مبارك آيت عدي: المرجع السابق، ص96.

أ- نظم التعامل والعملات:

المقايضة: لقد كانت أساليب التعامل التجاري من التجار المغاربة والسودان الغربي تتم على أساس المبادلة؛ أي المقايضة، سلعة مغربية بأخرى سودانية، بحيث تتم المبادلة على أساس هذا الأسلوب تبعًا لاحتياج أهالي المنطقتين للسلع غير المتوافرة في أسواقهم المحلية[1]، ولم يشمل هذا النوع من التبادل جميع البضائع على ما يبدوا وإنما كانت تشمل البضائع المرتفعة الأثمان وحدها تقريبًا، كما يستفاد من نصوص المؤلفين في تلك الفترة[2].

وإنّ أهم ما كانت تطبق عليه طريقة التبادل بكثرة هو الملح باعتباره أهم السلع التي كان يحملها التجار المغاربة، فهو قابل للمقايضة بجميع السلع السودانية ولذلك كان يتبادل بالذهب وزنًا بوزن، وأحيانًا يصل سعر الملح إلى الضعف في حالة ندرة وصوله إلى السودان الغربي[3]، وقد كانت التاجر السوداني يعرض الذهب كسلعة رئيسية ويختفي عليها إلى أن يتفرّقوا ويسمى هذا النوع من التجارة بالتجارة الصامتة[4].

الودع: وهي عبارة عن أهداف مغيرة حاول المغاربة تعميمها كعملة رئيسية في بلاد السودان الغربي، فحسب المجهول الإسباني اشترط الباشا جودر على الأسقيا إسحاق الثاني جلب الودع من المغرب لقبول الصلح الذي تقدم به هذا الأخير، وإلى جانب ذلك فقد كثرت الإشارات المصدرية التي تدل على اهتمام المغاربة بهذه المادة كعملة رئيسية

1- زمان عبيد وناس :تمبكتووأثرها الحضاري ....، المرجع السابق ،ص 126.

2- زبادية: مملكة سنغاي ....، المرجع السابق ،ص 208.

3- زمان عبيد وناس: تمبكتووأثرها الحضاري ....، المرجع السابق ،ص 127.

4- لقد كان هذا النوع من التبادل سائدًا في كل مجالات اللقاء التجاري بين التجار المغاربة ،وبلاد السودان الغربي ،ويبدوأنّ تاريخ التعامل التجاري بأسلوبها مع الأفارقة كان قديمًا وأقدم من تحدث عنها المؤرخ اليوناني هيرودت Hirodote في القرن 5 ق.م حيث أشار هذا الأخير بأنها كانت وسيلة للتعامل التجاري بين "القرطاجيين" والسكان الأفارقة الذين كانوا يعيشون وراء أعمدة هرقل، ثم قدت لنا المصادر العربية نفس الوصف مع شيء من التفصيل الذي أعطته المرحلة التاريخية اللاحقة ،فمن خلال ما أشار إليه البكري يتضح أنّ أشكال الاتّصال بين التجار قد تطورت،ـــ ولم تعد مبنية على أسلوب التجارة الصامتة وإنّما صارت مباشرة وذكر بأنّ أسواق المراكز (محطات استراحة القوافل ،وأسواق المدن كغانة مثلاً) أصبحت نقطة للتجارة والاتصال. ينظر: هاشم العلوي القاسمي: "**أصول الروابط التاريخية بين بلاد المغرب وغرب إفريقيا في العصور الوسطى (استحضار أم استشراق)**" . مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية،ع5 ،فاس ،1409ه/1989م ،ص ص143-146.

بالمنطقة، فقد ذكر مـــاج mage أنَّ الملاحة النهرية التي تقوم بها السفن تدرّ عليها أرباحًا مهمة من الودع في الأيام التي تقام بها الأسواق على طول نهر النيجر وروافده، كما أشار شارل مونتي أيضًا في نفس السياق أنَّ الودع لا يعدّ عملة في الدهومي_البنين _ وحدها بل في كل المناطق المحيطة بها، وجاء عند Pomme George أنَّ كلّ شيء يباع بأسواق السودان بالودع فهي المادة التي يتجر بها،ولها الأفضلية وبها يشترى العبيد[1]،أمَّا الحسن الوزان فقد ذكر بأنَّ الودع كانت تستعمل لشراء التافهة،وأنَّ سعره مطلع القرن 16م أربعمائة ودعة يقابلها واحد مثقال من الذهب[2]،ولقد كان هذا السعر يمثل فقط أعلى ما وصلت إليه أيام ندرتها بالمنطقة،حيث كان ينالها الارتفاع والانخفاض تبعًا لكثرة ورود القوافل،ولقد شهدت هذه المادة نوع من الانهيار خاصة مع نهاية القرن 16م تحديدًا سنة 1594م عندما أصبح البرتغاليون يجلبونه بسفنهم إلى المنطقة،فقد توفر بكثرة في السودان الغربي حتّى أصبح المثقال الواحد يساوي 3000آلاف ودعة.

ومن نظم التعامل الأخرى نجد الزجاج والعسل والخيول من بين الأشياء التي يقع بها الدفع، وتقوم في التبادل مقام النقود[3].

العملة: لقد أصبح التعامل بالعملة أمرًا شائعًا في بلاد السودان الغربي خلال الفترة الحديثة، فقد تطور أسلوب التجارة في المنطقة إذ ابتعد إلى حدٍّ كبير عن المقايضة العينية – التي كانت تمثل الوسيلة الأساسية في المنطقة طيلة الفترة الوسيطة – حيث استعملت العملات في بعض المدن السودانية، والغالب على تلك العملات أنها لم تكن مسكوكة[4]. فقد استعمل أهالي المنطقة النقود الذهبية كعملة للتعامل في الحياة اليومية سادت بشكل كبير في المنطقة خاصة مدينة تنبكت دون كتابة عليها، خالية من أيّ ختم أورسم[5]،ولقد أطلق

[1]– مبارك آيت عدي: المرجع السابق، ص ص96–97.
[2]– الوزان: المصدر السابق،ج2 ،ص 167 ،محمود كعت : المصدر السابق ،ص 220.
[3]– زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص ص208–209.
[4]– عملة محمد سلطان لطيف: العناصر المغربية...، المرجع السابق، ص 99.
[5]– زمان عبيد وناس: تنبكتووأثرها الحضاري ...، المرجع السابق، ص 126.

عليها التجار العرب اسم الدينار الصلع لعدم وجود النقش عليها[1]، ويؤكد هذه الحقيقة ما ذكره الحسن الوزان أنّه في عهد سنغاي كان الناس يتعاملون بالذهب دون سكه[2]، وإلى جانب الذهب اُستخدم النحاس كعملة في المنطقة حيث أورد نعيم قداح في هذا الصدد بأنّه "**لمَا كان النحاس نادرًا فإنه استعمل نقدًا متداولًا**"[3].

ولقد عرفت بعض العملات المضروبة في البلدان المغاربية طريقها إلى السودان الغربي، وذلك بعد أن كثر التعامل بها في البلدان المغاربية "**إذا كان بباب المنصور كل يوم أربعة مائة وأربعة عشرة مطرقة تضرب بالدينار**"، إلى جانب الدينار التكروري كان التعامل في الأسواق الكبرى بهذه الدنانير[4].

- **الكوري** couris: وهي عملة فارسية وهندية قيمتها ضعيفة يستوردها التجار القادمون إلى الصحراء حيث 1000 كوري يعادل 0.75 فرنك.
- **المجدي:** وهي عملة محلية تساوي 45 فرنك ذهبية منتشرة في البلدان المغاربية والسودان الغربي[5].

5- الزراعة:

تعددت أوجه النشاط الاقتصادي في بلاد السودان الغربي، وإذا كانت التجارة تأتي على رأس الأنشطة الاقتصادية وهي عماد اقتصاد الممالك الإسلامية التي شهدتها المنطقة كذلك، فقد وجدت بها بعض الأنشطة الاقتصادية الأخرى مثل الزراعة التي كان الهدف منها هو سدّ الاحتياجات الأولية للشعوب.

1- البكري: المصدر السابق، ص 181.
2- الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 167 .
3- نعيم قداح: المرجع السابق، ص 128.
4- عبلة محمد سلطان لطيف: العناصر المغربية...، المرجع السابق، ص 101.
5- يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 49.

أ- التقنيات الزراعية والري:

ظلّت التقنيات المستعملة في المنطقة تقليدية ذات طابع محلّي، وذلك أنَّ فلاح والمنطقة لم يعرفوا المحراث، أو أنَّهم كانوا لا يستعملونه في زراعتهم، وإنَّما ظلَّ يُعْتمد بشكل أساسي على المجرفة أو ما يُعْرف بـــــــ: "الكومو" "kaumo" في لغة السنغاي – باستثناء بعض المحاريث التي تجرّها الثيران أو الجمال – ولقد كان هناك أنواع عديدة من المجرفات فمنها الصغيرة، ومنها الكبيرة، ومنها ذات المقبض المقوس أو المستقيم أو العريض، ويرتبط هذا التنوع باختلاف المناطق ونوعية التربة[1].

ولقد كان الفلاحون في المنطقة يستعملون الأسمدة التي يتّخذونها من فضلات الحيوانات[2] من أجل تحسين وزيادة إنتاجها، كما قام هؤلاء بحرق بقايا المحاصيل لتجهيز الأرض تمهيدًا لبذر البذور، ثمَّ يتركونها بعد ذلك لتروى بمياه الأمطار في فصل الشتاء، أو بفضل الأخاديد التي تشق إليها من نهر النيجر والسنغال وروافده.

ولقد أشارت بعض الدراسات على أنَّ سكان بلاد الولوف نهاية 15م كانوا يزرعون الحبوب في مجالاتهم – بين نهري السنغال وغامبيا – من خلال وضع الحبة في الحفرة، ثمّ يقومون برد التراب عليها.

ونظرًا لمناخ البلاد ذات الحرارة الشديدة، فإن المكان سرعان ما تتشكل به قشرة صلبة للغاية، غير أنَّ رطوبة التربة العميقة كانت تسمح بالبراعم بالنمو، أمَّا بخصوص الشتلات النباتات فإنّها تزرع بالقرب من النهر[3].

أمَّا بخصوص أساليب الري فقد كانت طريقة شقّ قنوات المياه التي تصل النهر بالمساحات المزروعة القريبة منها هي أهم وسيلة للحصول على المياه وتوفيرها[4].

---

[1]- زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج 1 ،ص 115، محمد الغربي: المرجع السابق، ص 488.

[2]- زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 172.

[3]- حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص ص137-138.

[4]- نفسه: ص 140.

ب- أنواع المزروعات:

عرفت بلاد السودان الغربي أنواع كثيرة من المزروعات البعض منها مزروعات أصلية انبثقت من المزدرع المحلي، وبعضها دخل تحت تأثير المؤثرات الوافدة من مناطق مختلفة من الخارج بما فيها الإسهام المغاربي الذي ظهر بداية من القرن الثاني الهجري/8م، واقتحم المنطقة عبر مسالك الصحراء الكبرى بواسطة القوافل التجارية[1].

ومن المزروعات الجديدة التي أدخلها المغاربة حسب ما ذكرته المصادر خاصة كتب الرحالة والتي تتصدر رأس لائحة المواد الزراعية التي حاول المغاربة نشر وتعميم زراعتها في المنطقة هي القمح والشعير، فحسب ما أشار إليه أوسكار لانز يعتمد أغلب أهالي مدينة تنبكت على هذا المنتوج في أغلب وجباتهم بعد أن قام المغاربة بنقله إلى المدينة الخاصة في صناعة الخبز والكسكس.

هذا وقد ذهب أحد الرحالة الأوربيين وهو رنيكاي إلى أنَّ المغاربة المقيمين في مدينة جني يزرعون القمح والأرز بكثرة وإلى جانب هذه الماد السالفة الذكر ساهم هؤلاء أيضا في نشر زراعة مواد فلاحية أخرى مثل القرع الصغير، والبقدونس والبقوليات والبطيخ والكروم وغيرها[2].

- **القمح** / triticum: لم يكن القمح من المنتوجات الزراعية التي عرفها أهالي السودان الغربي، فقد كانت زراعته نادرة وغير متوفرة لديهم، يقول الإدريسي في ذلك: "**لا حنطة عندهم**"[3]،وأكثر ما يوجد منه في البلاد كان يستورد من الخارج، ويستهلكه إلّا المترفون من الملوك والأمراء، وأصحاب الطبقة الثرية. أمَّا بقية السكان لم تصل مستوياتهم المعاشية إليه، ولذا كان حظهم منه ضئيلًا جدًا[4].

---

[1]-زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج 1، ص 119.

[2]- مبارك آيت عدي: المرجع السابق، ص 89.

[3]- الإدريسي: المصدر السابق، ص 19 .

[4]- محمد الغربي: المرجع السابق، ص 491.

ويبدوا أنَّ المغاربة هم من أدخل هذا النوع من المزروعات، ونقلوه إلى أغلب المناطق التي استقرّوا بها، وقد توسّعت زراعته تدريجيًا بعد أن كان ينتج على ضفاف نهر النيجر – وأكثره في المناطق المحاذية لمستنقعات منحاه الأعلى – وفي المناطق التي وصلت إلها القنوات التي حفروها من جهات واسعة داخل المنطقة غير أنَّ هذه المادة لم تعرف إقبالًا من طرف السكان المحليين، وإنَّما من طرف المغاربة فقط، وبعض التجار الأجانب في المدن، مثل: تنبكت وجنى[1].

ولقد انتشرت زراعته في حوض السنغال خلال القرن 16م،إذ أنَّ المصادر البرتغالية قد أشارت في القرن 15م إلى غيابه في هذه المناطق،وعدم صلاحية زراعته بعد أن كان أهالي المنطقة قد اقتنوا بذوره من البرتغاليين بسبب عدم ملاءمة التربة والمناخ[2].

– **الخضر:** لقد نقل المغاربة إلى المنطقة أنواع كثيرة من الخضر لم تكن معروفة عند أهالي المنطقة من قبل، ومنها البصل والثوم والفلفل، وأنواع أخرى من القرع والنعنع المروري وغيرها، إلَّا أنَّ أثمانها لم تكن مهمة، وربَّما يرجع ذلك إلى عدم إقبال السكان المحليين لهذه الأنواع من الخضر، وذلك لاستهلاكهم لمواد محلية من إنتاجهم المحلّي[3].

– **الذرة** / Zea mays: وتأتي في مقدمة المحاصيل التي عُرِفت في المنطقة ولقدم هذا المحصول فقد اعتمدت من طرف سكانها بكثرة أكلهاوتناولها وقد كان يزرع في مناطق عديدة من البلاد، وقد أشارت المصادر التي لم تفرق بينه وبين الدخن إلى توفرها في سلى ومالي ولاتة وتنبكت[4].

---

[1]– مبارك آيت عدي: المرجع السابق، ص 89.

[2]– حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص ص145.

[3]– محمد الغربي: المرجع السابق، ص 83.

[4]– زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج 1، ص 119.

فقد ذكر البكري أنَّ ساكن أوغام موضع بالسودان أنهم يحرثون الذرة وهو عيشهم[1].

وأشار الإدريسي أنَّ الذرة شكّلت طعام أهل سلى، وأهل التكرور هو غذاء أساسيًا لمعظم سكان مالي[2]،أمَّا الحسن الوزان فقد أشار هو الآخر إلى أنَّ معيشة أهل ولاته وقد اعتمدت على نباتات هذه المنطقة من الحبوب كالدخن، وحبّ آخر مستدير أيضًا يشبه الحمص ولا يوجد بأوروبا هي الذرة[3].

– **الأرز** / oryza: وقد شكّل الغذاء الرئيسي لدى مختلف شعوب المنطقة[4]، ويُعدّ من أقدم المزروعات التي أدخلها المغاربة إلى المنطقة، واستطاع مع الوقت أن يحلّ محلَّ الأصناف المحلية[5] بعد أن قام المغاربة بتوسعها داخل المنطقة خاصة في مدينة تنبكت وجني وجاو، فحسب ريني كايي كان المغاربة الذين يقطنون هذه المدن يستهلكونه بكثرة، حيث يطبخونه مع اللحم والسمك الطري والمجفف، وأشار نفس المصدر إلى أنَّ سكان كمبالا gamballa يشترون بالأرز مواد كثيرة في تنبكت سيما المواد الزجاجية والصمغ والملح[6].

– **الفول** /Viciafaba: لقد أشار كادا موستو إلى زراعة هذا المنتوج بنوعيه في السنغال الفول العريض والناصح الاحمرار، والفول الأبيض[7]، ولقد كان السكان على أيّام الأسقيين يستهلكونه بكثرة ونوعيته لم تكن من النوع الدقيق، وإنما كان النوع الخشن الموجود في البدان المغاربية، وهوما يسمح بالقول أنَّ المغاربة هم الذين نقلوه للمنطقة[8].

أمَّا عن أهمّ المزروعات التي دخلت مجال التصنيع فهي:

---

[1]– البكري: المصدر السابق، ص180.

[2]– الإدريسي: المصدر السابق، ص 18 .

[3]– الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 162 .

[4]– زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 173.

[5]– زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج 1، ص122 .

[6]– مبارك آيت عدي: المرجع السابق، ص 90.

[7]– زوليخةبنرمضان: المرجع السابق، ج 1، ص 123.

[8]– زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 175.

- **القطن:** مع الانتشار الكبير الذي شهده الإسلام في بلاد السودان الغربي توسّعت زراعة القطن – التي تبدوا أنَّها دخلت المنطقة عن طريق التجار المغاربة الوافدون عليها – نظرًا لحاجة الشعوب إلى محصول القطن الذي كان يُصنع منه الملابس الباردة والناصعة البياض[1].

وقد ازدهرت صناعته في مدينة جني ومكنت الأهالي من تحقيق أرباح مهمة من تجارة قماش القطن مع التجار الوافدون إلى المنطقة مقابل الحصول على الثياب الأوروبية وغيرها من السلع الأخرى.

هذا وقد أشارت المصادر البرتغالية حول الانتشار الواسع الذي شهدته زراعة القطن ما بين نهري السنغال وجامبيا، الأمر الذي يفسر مدى ازدهار صناعة الأقمشة القطنية وتحوّلها إلى تجارة مربحة مع البرتغاليين[2].

- **الكتان:** كان هذا النوع من النبات يصنع منه في منطقة السنغال حبالًا وذلك حسب ما ذكرته كتابات الحسن الوزان بصورة خاصة والكميات التي كانت تنتجها البلاد منه كانت معتبرة نسبيًا.

- **قصب السكر:** يُزرع بكثرة في بلاد السودان حيث تتركز زراعته في المناطقة الوسطى والجنوبية، ومحصولها منه وفير[3].

---

[1]- محمد الغربي:المرجع السابق، ص 498.

[2]- زوليخة بنرمضان: المرجع السابق،ج 1، ص 115، محمد الغربي: المرجع السابق، ص 126.

[3]- زيادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 176.

ج- الرعي والصيد:

- **الرعي:** نظرًا لوجود عوامل طبيعيّة مناسبة من أرض ومياه الأنهار في بلاد السودان الغربي، قدِّر لأنواع عديدة من الحيوانات الأليفة والبريّة العيش في تلك المناطق الشاسعة[1]،حيث مارست مختلف المجمعات السكانية تربية المواشي الخاصة الفلانيين الطوارق الذين مثلت نشاطهم الاقتصادي الرئيسي، ولقد اختلف الأساليب المتبعة في تربية هذا النوع الحيوانات باختلاف نمط عيش كل مجموعة والمجالات التي تسقي بها، واستنادًا إلى بعض المصادر يمكن إلقاء الضوء على أنشطة الرعي المتعلقة بمختلف الحيوانات التي عرفتها المنطقة[2].

- **الأبقار:** وهي من الحيوانات التي أولاها أهالي المنطقة عناية خاصة واهتمّوا بتربيتها، إذ كانت كثيرة الانتشار على عهد السنغاي وكان امتلاكها شائعًا بين مختلف شعوب المنطقة، فقد استفادوا من لحومها وألبانها في غذائهم أمَّا جلودها فكانت تتخذ منها الصنادل والسروج أحيانًا وتصنع منها أكياسًا وغيرها.

والأبقار في المنطقة خلال هذا العهد كانت معظمها من النوع الصغير الحجم، أمَّا قرونها فهي كبيرة، ونظرًا لكثرة قطعان الأبقار في بلاد السنغاي كانت أثمانها رخيصة.

- **الأغنام والماعز:** وتعدّ من الحيوانات التي عرفت في بلاد السودان الغربي، واهتمّ بتربيتها، وذلك في المناطق الشمالية وقد كان من ناحية الأهمية تأتي في المرتبة الثانية بعد الأبقار فخديم الأسقيا داوود كان له سبعة سراج بقر وثلاثون سارحًا من الغنم التي كان يستفاد من ألبانها حيث كانت تمثل غذاءً أساسيًا في بعض المناطق، وفي العهد المغربي عرفت المنطقة الحيوانات نفسها التي كانت معروفة، من ذي قبل هذه الأنواع التي جلبها هؤلاء، الماعز وكلاب الحراسة وغيرها[3].

---

[1]- وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص 246.

[2]- حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص ص154.

[3]- امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص 363.

- **الخيول:** حسب ما أشارت إليه المصادر التاريخية تعدّ الخيول من أغلى الممتلكات الحيوانية في عهد سنغاي، وقد كان لها دور مهم في حياة المنطقة وأبرزها الخيول العربية التي كانت تستورد عن طريق التجار المغاربة إلى المنطقة[1]، وكان لا يكسبها إلا الملوك والنبلاء وذلك لارتفاع أثمانها، فقد بيعت مقابل عشرين عبدًا للرأس الواحد، وبيعت أخرى مقابل ألف وقية من الذهب للرأس الواحد.

أمَّا البغال فقد كانت قليلة في المنطقة على عهد سنغاي مقارنة بالأحمرة التي كانت موجودة بكثرة آنذاك، وكانت تتخذ للركوب أكثر، وكان اقتناؤها وركوبها يأتيان في الدرجة الثانية لدى سكان المنطقة بعد الخيول[2].

- **الجمال:** وهي من الحيوانات التي استخدمها أهالي السودان الغربي وأدّت دورًا بارزًا في حياتهم، وصلت إليهم عن طريق المغاربة عبر الصحراء، وبفضل هذا الحيوان انكسر حاجز الرمال، والقفار والعزلة، لأنها اعتمدت كوسيلة نقل لها القدرة على قطع المسافات الطويلة وتحمل المشاق، وتحوّل دروب الصحراء إلى معابر للقوافل التجارية استخدمه أهالي المنطقة إلى جانب دوره في النقل كمصدر غذاء لهم خاصة سكان الصحراء والواحات، فصنعوا من جلودها النعال والقرب، ومن وبرها الخيام واللباس[3].

وقد توفر الإبل بأعدادها هائلة في المنطقة فالأسقيا محمد الكبير نحر مائة بعير أثناء استقباله للشريف أحمد الصقلي[4].

- **النحل:** اهتمّ أهالي السودان الغربي بتربية النحل حيث كانت تربيته تمارس على نطاق واسع في المناطق، وتصنع له مخابئ في ظلال الأشجار من أجل الحصول على

1- امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق،

2- زيادية: مملكة سنغاي...،المرجع السابق، ص 185.

3- عبلة محمد سلطان لطيف: العناصر المغربية...، المرجع السابق، ص ص81-82.

4- امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص 361.

العسل فقد استخدمه هؤلاء في غذائهم ودوائهم،وإلى جانب ذلك كانوا يستخرجون من شهده الشمع بكثرة ويصدّرونه إلى خارج المنطقة[1].

– **الدواجن:** اشتهر السودان الغربي بتربية أنواع عديدة من الدواجن منها الطيور والإوز والدجاج، حيث ذكرتها المصادر البرتغالية في السنغال وبلاد الولوف،ونظرًا لانتشار الكثيف للدجاج فقد كان يمثّل جزءًا هامًا في منازل سنغاي على عهد الأسقيين حياة سكان المنطقة[2].

– **الصيد:** مثل صيد أحد أهم المصادر الرئيسية للتجارة والغذاء لعدد كبير من شعوب السودان الغربي، وقد اشتهرت بعض شعوب هذه الأخيرة بصيد الأسماك حتّى صارت صفة لهم تميّزهم عن المجموعات الزراعية الأخرى التي تمارس هذه الحرفة[3].

وتفيد الروايات الشفوية أنَّ السوروكوا Sorokoe –أحد شعوب السنغاي– الذين هاجروا موطنهم الأصلي ديدي منذ القدم متتبعين مجرى نهر النيجر في اتجاه الشمال نحو الغرب، وقد شهد خط ترحالهم على انتشار مستوطنات للصيّادين تحوّلت مع الوقت إلى مدن مثل جاو(Gao) وبمبا (bamba)، وقد تقاسمت هذه المجموعة عشائر أخرى مجرى النهر كالبوزو الذين احتكروا الصيد بدورهم في دلتا الوسطى.

وهكذا فقد كان هؤلاء الصيادون يجوبون النهر طولًا وعرضًا يصطادون الأسماك ويجففونها ويبيعونها في جميع أسواق السودان الغربي[4]، ومن أهم أنواع الأسماك التي كان أهالي المنطقة يدّخرونها بعد تيبيسها سمك العنبرة وقد أشار الحسن الوزان إلى هذا النوع من الأسماك بقوله "**العنبرة سمك مرعب فضيع في شكله وحجمه، لا يرى أبدًا إلّا**

[1]– زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 186.

[2]– حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص 158، الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي...، المرجع السابق، ص 278.

[3]– عبلة محمد سلطان لطيف: العناصر المغربية...، المرجع السابق، ص 81.

[4]– زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج 1، ص 115، محمد الغربي: المرجع السابق، ص 130.

ميّتًا،لأنَّ البحر يقذف به على الشاطئ ورأسه صلب جدًا كأنه من حجر ،ومنه ما يبلغ طوله خمسة وعشرون ذرعًا أو أكثر...وحرى به بأن يدعى حوتًا بسبب شكله"[1].

ومن الأسماك الأخرى التي نالت إعجاب سكان المنطقة سمك البوري والقوسيا[2]،وإلى جانب ذلك فقد أشارت المصادر إلى أنَّ إقليم الولوف كانت تعيش فيه أعداد وافرة من الأسماك المختلفة الأحجام والألوان، وحيوانات مائية مثل فرس النهر، والثعابين البحرية ذات الأجنحة لكنها صغيرة جدًا[3].

ومن أجل صيد الأسماك استعملوا صيّادوا المنطقة وسائل مختلفة منها الرماح والعصي، واستعموا كذلك المخاطيف فكانت عابرة عن رماح من حديد أوخشب ذات رأس واحد إلى ثلاثة تنتهي بخيط يقصر كلما تعددت الرؤوس، وقد عرفت المخاطيف بعدة أسماء حسب كلّ منطقة في بلاد السودان الغربي وهي داما وهارودي، وديوونادوبي[4].

ومن الوسائل الصيد الأخرى التي اعتمدها السودانيون القوارب ذات الأحجام المختلفة المصنوعة من جذوع الأشجار، وبعضهم استعمل سفنًا كبيرة للصيد والتنقل[5].

يتّضح من خلال ما سبق أنَّ الثروة الحيوانية في بلاد السودان الغربي خلال فترة الدراسة كانت تشكل المصدر الثاني لحياة شعوب المنطقة بعد الزراعة، وهي بذلك شكل الميدان الثاني لنشاطهم أيضًا[6].

---

[1]- الوزان: المصدر السابق،ج2، ص 169 .

[2]- محمد الغربي: المرجع السابق، ص 479.

[3]- الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي...، المرجع السابق، ص 280.

[4]- محمد الغربي: المرجع السابق، ص 481.

[5]- - حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص 163.

[6]- زبادية: مملكة سنغاي، المرجع السابق، ص 186.

6- الصناعة:

أ- الصناعة النسيجية:

لا شكّ أنّ انتشار الإسلام بالسودان الغربي كان سببًا في ازدهار الصناعة لاسيما صناعة النسيج والأقمشة والتي تطورت بشكل كبير وانتشرت في معظم أنحاء البلاد، وكان أهالي المنطقة يتنافسون على تعلمها[1].

وقد أشارت المصادر العربية في هذا الصدد خلال القرن العاشر الهجري /16م إلى ارتفاع أعداد المشتغلين بالحياكة في مختلف المدن السودانية خاصة مدينة تنبكت هذه الأخيرة التي اشتهرت بوجود دكاكين كثيرة للصناعة والتجار لاسيما دكاكين نساجي أقمشة القطن[2] بلغ عدد الخياطين فيها عشرين خيّاطًا، في حين بلغ عدد العمال ما بين خمسين إلى مئة خيّاط[3]،وقد أشار مرمول كربخال بأنّ هؤلاء التجار وأصحاب الحرف كلّهم أغنياء وخاصة منهم الغرباء الذين يستوطنون البلاد حتى أنّ السلطان يزوج بعضهم ببنات البلاد[4].

وهكذا تعطينا مدينة تنبكت خير مثال على مدى ازدهار الصناعة النسيجية بالمنطقة، وعلى ما يبدوا أنّ ذلك راجع لعدة أسباب يرجعها الحسن الوزان إلى توفر المواد الخام محليًا من صوف وقطن، وهوما شجع على قيامها ،بإضافة إلى توفر اليد العاملة ،وأسواقها الكبيرة والمناسبة لتسويق السلعة[5].

---

[1]- امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص 364، أحمد طاهر: إفريقيا فصول منالماضي والحاضر، دار المعارف، القاهرة، ص84.

[2]-الوزان: المصدر السابق، ج2، ص ص165-166.

[3]- محمود كعت: المصدر السابق، ص 180.

[4]- مرمول كربخال: المصدر السابق، ج3، ص202.

[5]- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 179، محمود الغربي: المرجع السابق، ص 499.

ب- الصناعات المعدنية:

- **الحرف الحديدية:** تُعدّ حرفة الحدادة إحدى أهم الحرف التي انتشرت في السودان الغربي منذ القدم وهو ما كشفه البحث الأثري حول قدم عملية صهر معدن الحديد في مدينة جني،وإنتاج العديد من الأدوات التي استعملت في النشاط التجاري ،ورغم أننا لم نجد ذكر لهذا المعدن، ولا لأماكن تواجده في المصادر العربية غير أنَّ بعض المراجع الحديثة تطرقت إلى ذلك وأشارت إلى معظم مناجمه وجدت في المناطق الجبلية الواقعة إلى الجنوب البلاد وبالخصوص بالقرن من مناجم النيجر،ويبدوا أنَّ معرفة السودانيين بالحديد وكثرة مناجمه ازدادت خلال عهد مملكة سنغاي الإسلامية ،حيث ظهرت هناك قبائل خاصة اشتهرت بصناعة الحديد كقبيلة كورما Karoma مثلًا التي دعيت التي عرفت باسم قبيلة الحدادين[1].

وقد ارتبطت الحدادة بالتجارة لاعتماد الأولى على ما تقدمه الثانية من أخشاب من أجل صهر المعادن،قد وجد في السودان الغربي فئة كبيرة من النجارين منتشرين في جميع المدن النيجيرية،ويمكن أن تأخذ نموذج عائلة جامي كندا (Tami Kounda) في تنبكت تخصصت في التجارة، ولا تزال هذه الأخيرة إلى حدود الساعة تقوم عل تغطية حاجيات سكان المدينة من الخشب،فهي ترجع بأصولها إلى القرن التاسع هجري /15م وتدعى أنها تنحدر من أسرة الأسقيا محمد وتشكّل أسرة مغلقة كما هو الشأن بالنسبة لجميع فئة الحدادين الذين يمارسون هذه الحرفة (الحديد – الخشب)[2] .

الحرف النحاسية: يعتبر معدن النحاس كما أشار الرحالة ابن بطوطة – إلى جانب بعض المصادر العربية الأخرى – لأنه أحد أهم المواد التي كان لها حضور في تجارة البلدان المغاربية مع مختلف حواضر السودان الغربي، ولقد أخبر الأستاذ جاكوب أوليل بأن هناك عدد من مناجم للنحاس كانت تستغل في بلاد المغرب منذ القرن التاسع

[1]- وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص ص240-241.

[2]-زوليخةبنرمضان: المرجع السابق، ج 1، ص 280.

الميلادي، جزء من الانتاج كان يصدر نحو حواضر بلاد السودان مقابل الحصول على الذهب[1].

أما بخصوص تصدير هذه المادة فقد أكد Mas latrie بأن أوربا كانت تستورده بكثرة منذ البدايات الأولى من القرن السادس هجري/12م وحتى القرن 16م من مختلف البلدان المغاربية أين توغلوا إلى حواضر السودان، وقد ذكر أيضا أن هذه المادة قد جلبت على هيئات مختلفة منها على شكل أعمدة أو خيوط أو غيرها[2]. وعلى الرغم من قلة معدن النحاس في السودان الغربي فقد عمل أهالي المنطقة على استخراجه منذ العهود القديمة، كان أقدم نقطة يُستغل منها تقع في (أكجوجت) Akjoujt إلى الجوب الغربي من موريطانيا الحالية،كذلك منجم أوزليك بلاد الآريير l'Air[3].

ويبدوا من خلال المصادر السودانية بأنّ هذا النوع من الحرف المعدنية قد شهد تطورًا كبيرًا خلال القرن 16م،وذلك نتيجة الخبرات المغربية الوافدة على المنطقة،حيث استفاد السودانيون من ذلك كثيرًا وتوصّلوا إلى معرفة طرق جديدة تمكنوا بها من تقوية معدن النحاس وذلك بصهره مع الزنك أو القصدير، ففي الحالة الأولى تحصل (السبائك البرونز)،وفي الحالة الثانية تحصل (سبائك البرونز) التي صنعت منها السيوف القوية وبعض الأواني ومقابض للأسلحة، وحوافظ للرسائل الأسقيا، والأمراء والنبلاء[4].

صياغة الحلي: من المعلوم أنَّ معدن الذهب يعدّ من أهم المعادن التي عرفت في بلاد السودان الغربي باعتبار أنّالذهب قد مثل أول المواد التي تصدر نحو مختلف البلدان المغاربية – وهو ما جعل المنطقة مقصدًا لجموع التجار الأجانب – فقد عرفت صناعة الحلي تطورًا ملحوظًا حيث كان الملوك والأمراء وكبار الموظفين تقدر هذا المعدن النفيس

[1] Jakob oliel, **les juifs au sahara le touat au mayen age**, CNRS ditions, paris,1994,p62.
[2] M-l de mas latrie: **traites de paix et de commerce, henri plon imprimeur editeur**, paris,1866, pp210-211..
[3]– زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص190، محمد الغربي: المرجع السابق، ص 497.
[4]– وريد عبد القادر نوري: المرجع السابق، ص 239.

بتنوع استخداماته كحلي وزينة وزركشة، فكانت تصنع السلائل والأساور والخلاخل وغيرها[1].

وقد اشتهرت عائلات بعينها بإتقان هذه الحرفة وبالذات في مدينة تنبكت التي اشتهرت خلال القرن 16م بصياغة هذا النوع من الحلي وخصوصًا في حي الغدامسية وحومة السوق[2].

ومع أنّ الفضة كانت تتخذ من طرف الأهالي أدوات للزينة فقد أبدع الحرفيون السودانيون في صياغة هذا النوع وكان لهم دور هام في ذلك، ومن الضروري الإشارة هنا إلى ارتباط تطور هذه الحرفة بالتأثيرات القادمة من البلدان المغاربية وبالدور الكبير للعنصر اليهودي في ذلك إذ عرف هؤلاء بالتخصص في الصياغة التي سمحت لهم بتشكيل طبقة ثرية في مدينة ولاتة خلال القرن 10ه/16م[3].

الوراقة: اشتهرت في بلاد السودان الغربي حرفة الوراقين (نسخ الكتب) وكانت من أهم المؤثرات الصناعية المهمة التي قدم بها التجار المغاربة وغيرهم نحو المنطقة[4].

والكاغط حسب بعض الإشارات يعدّ هوالآخر مادة أساسية للكتابة في البلاد ورغم شحّ المعلومات عنه فمن الأكيد أنه كان من ضمن السلع الأوروبية التي قام التجار المغاربة بنقلها نحوالحواضر السودانية في القرن 10ه/16م، حيث دلّ الفحص الدقيق لمجموعة منه على أصله الأوروبي بالخصوص الكاغط الإيطالي الذي كان يراعي المبادئ الدينية الإسلامية في الصور التي يحلى بها الكاغط حيث كانت العلامة المميزة له هي الأهلة الثلاثة، ولم يكن يحتوي على صور الإنسان والحيوان[5].

---

[1]- زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص ص189-190.

[2]- امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص 365.

[3]- حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص ص179.

[4]- زبادية: التأثير العربي الإسلامي...، المرجع السابق، ص 162.

[5]- حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص 184.

الصناعات الجلدية: وعن استخدام هذه الصناعات وتطورها يحفظ لنا دوبوي يكوبا Dupuis Yakobaبإشارات في غاية الأهمية حولها،إذ أورد أنَّ الكثير المغاربة المقيمين في البلاد تخصصوا في صناعة الأحذية والبلاغي والنعال، ومصنوعات جلدية كثيرة، مما يعكس ازدهار هذه الحرفة، وإلى جانب ذلك ازدهار عملية الدباغة التي تطورت، وقد تتبع هذا الباحث مختلف المراحل التي كانت تمر بها هذه الصناعة، وكذا مختلف الأدوات المستعملة فيها، كما خصص وصفا مهمًا لجودتها، وخلص إلى أنها تتميز بجمالية كبيرة، خاصة بلاغي النساء التي تتكون من ألوان كثيرة حمرا وخضراء وصفراء،كما تزين بأنواع مختلفة من الحرير إمَّا قليل أوكثير حسب مستوى المشتري،ويدعم ما جاء عند هذا الباحث إشارات أخرى أوردها بيفونتان مفادها أنَّ المغاربة في مدن السودان الكبرى لا يزالون في السودان يعرفون إلا حرفة واحدة وهي صناعة الأحذية والبلاغي للنساء والرجال ومستعملين جلد الماعزوالغنم وذلك بطرق ووسائل تقليدية[1].

ولقد شهدت المنطقة وجود حرفة أخرى إلى جانب الحرف السالفة الذكر ومنها حرفة الخزافة حيث كشفت بعض المواقع في المنطقة إلى وجود الكثير من الأدوات الفخارية، ومن ضمنها الأواني المنزلية، وحاويات التدفئة والمزهريات وغيرها،ومن أبرز أدلة التأثير المغاربي على هذه الحرفة العثور على أحد المصابيح الطينية في مدينة غاووهي شبيهة جدًا بتلك التي تصنع في البلاد المغاربية.

والخزافة حسب بعض الإشارات كانت من اختصاص نساء الحدادين فهنّ اللواتي كنّ يمارسن هذه الصناعة، وقد كانت مصنوعاتهنّ غالبًا ما تحقق اكتفاء ذاتيًّا محليًّا، وإذا توفر لديهن فائض منها فإنّهن يعرضنه في الأسواق للبيع لقوافل تجارة ونغارا التي تمر بقربهن[2].

---

[1]- مبارك آيت عدي: المرجع السابق، ص 94.

[2]- زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج 1، ص ص183-184، محمد الغربي: المرجع السابق، ص 503.

ثالثا: المجتمع السوداني والتأثيرات المغاربية:

1- التأثير في العادات والتقاليد الاجتماعية:

تميزت بلاد السودان الغربي بأن لها عادات وتقاليد اجتماعية أصيلة وموروثة من الحضارة السودانية القديمة، استمرت في المنطقة حتى بعد دخول الإسلام وانتشاره بين مختلف الطبقات الشعبية، ونتيجة للتطور الذي عرفته بلاد السودان الغربي من القرن الخامس الهجري /11م الذي أدّى دوراً كبيراً في جذب كثير من التجار والعلماء المغاربة الذي أحدث امتزاجا بين العادات والتقاليد المغاربية الوافدة وبين التقاليد السودانية[1].

ومن بين هذه العادات والتقاليد أشير إلى:

1-1- ظاهرة العري:

كان العري هوالسائد عند أغلب مجتمعات بلاد السودان الغربي إلى وقت غير بعيد بشكل كامل الجسم، أوبشكل جزئي، إذ وصفهم القزويني بقوله:"**أهلهم عراة رجالهم ونسائهم...ونساء الكفار يسترن قبلهن بخرزات العقيق ينظمها بخيوط، ومن كانت منهم فقيرة فخرزات من العظم**"،ولقد أشار بعض المؤرخين أنّ ظاهرة العري كانت سائدة في بعض الحالات، إذ يغطي الفرد جسمه بالجلود،وكانت هذه الظاهرة في أغلب هذه المجتمعات لا تثير أي خجل أن يخدش حياء لصاحبه[2].

من المعروف أنّ العادات الاجتماعية وثيقة الصلة بتطورحياة الإنسان ومن الصعب التحول عنها بيسر، لذا لم يكن على شعوب المنطقة حتى بعد اعتناقهم للإسلام أن يتخلوا عما ورثوه من عادات وتقاليد آباءهم وأجدادهم منذ القدم[3].

ومع وصول أعداد كبيرة من التجار إلى بلاد السودان الغربي حدث تحول في زي ملابس السكان، حيث اختفت ظاهرة العري التي كانت سائدة في المنطقة إذ ارتدوا

---

[1]- زمان عبيد وناس: تمبكتو وأثرها الحضاري...، المرجع السابق، ص 170.

[2]- بشار أكرم الملاح: المرجع السابق، ص 100.

[3]- امطير غيث: التأثير العربي الإسلامي...، المرجع السابق، ص 207.

الصوف بدلاً من الجلود، وكان لبسه عامًا للجميع، وفي أغلب المدن، إذا كان العامة من أهالي سلى[1] والتكرور[2] يرتدونه وفي هذا الصدد يقول ابن سعيد: "**ومن خالط البيض اتخذ لباسه من الصوف والقطن وذلك مجلوب لهم**"[3].

ومما لا شكّ فيه أنَّ تقليد أهالي المنطقة للمغاربة في زيهم أنه كان نتيجة فترات زمنية طويلة من الاحتكاك والتأثير[4]؛ففي مملكة مالي الإسلامية كان التأثير العربي الإسلامي واضحًا في زيّ أهالي المنطقة لاسيما التأثير المغاربي، وقد أشار العمري إلى ذلك واصفا زيهم قائلًا: "**...ولباسهم عمائم يحبك مثل العرب وقماشهم بياض من ثياب قطن تزرع عندهم وينسج في نهاية الرفع واللطف ويسمى الكميصا وزيهم شبيه بزي المغاربة، حباب ودراريع، بلا فتحات...**"[5].

وقد لبس التجار والعلماء الدراريع والسراويل على اختلاف أطوالها، واتّساعها عم عمامة كبيرة يرتديها الرجال والنساء معًا، وتسمّى ديالاموكو بلغتهم، أما في فصل الشتاء فقد ارتدى أهالي منطقة مالي البرنس المصنوع من الصوف الخشن ذو الألوان المختلفة (البنية – القمحية – الزرقاء)، وكان يطلق على البرنس برموسو[6].

ولقد أشارت المصادر العربية أنَّ مظاهر تشبههم بالمغاربة هو ارتداءهم للملابس البيضاء ولاسيما أثناء خروجهم لصلاة الجمعة، حيث أشار ابن بطوطة في ذلك بقوله

---

[1]– **سلى**: ورد اسم سلى عند البكري (ق 5ه) مباشرة بعد كلامه عن مدينة التكرور مخبرًا بإسلامهم فقال:"... **وتسير من مدينة تكرور إلى مدينة سلى وهي مدينتان على شاطئ النيل أيضًا وأهمها مسلمون أسلموا على أيدي وارجابي رحمه الله، وبين سلى ومدينة غانة مسيرة عشرين يومًا في عمارة السودان القبلية بعد القبيلة، وملك سلى يحارب كفارهم ،وليس بينه وبين أولهم إلا مسيرة يوم واحد**"، يؤكد النص أنَّ سلى قريبة من غانة، وأنَّ أهالها قد اعتنقوا الإسلام منذ البدايات الأولى لوصوله للمنطقة، ينظر: البكري: المصدر السابق، ص 172.

[2]– بشار أكرم الملاح: المرجع السابق، ص 176.

[3]– أبوالحسن علي بن موسى ابن سعيد (ت: 686هــ/ 12م):**كتاب الجغرافيا**، تحقيق: اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، لبنان، 1970م، ص 91.

[4]– حسن علي إبراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص 171.

[5]– العمري: المصدر السابق، ج4، ص 115.

[6]– محمد الغربي: المرجع السابق، ص 609.

"**...ومن لباسهم الثياب البيض الحسن يوم الجمعة ولو يكن لأحدهم إلا قميص خلق غسله ونظفه وشد به الجمعة**"[1].

أمَّا ألبستهم في عهد مملكة سنغاي الإسلامية، فقد استمر تأثير الملابس المغاربية في المنطقة خاصة على عهد الأسقيين، ومن أولى الإشارات المصدرية التي يمكن تلمسها عن الملابس في المنطقة خلال هذه الفترة وهي إشارة الحسن الوزان هذا الأخير الذي زار المنطقة وتعرّف على أهاليها ووصفهم بأنهم يرتدون لباسًا حسنًا، ويتلثمون بلثام كبير من قطن أسود وأزرق ليغطوا به حتى رؤوسهم، ولكن الأئمة والفقهاء يتلثمون بلثام أبيض[2].

ولقد اختلفت أنواع الألبسة بين الناس في عهد هذه المملكة حيث كانوا يقتنون الألبسة ولكن كلٌّ يلبس حسب قدرته، فالأساقي كانت لهم ألبسة الفضفاضة المصنوعة من أجود أنواع الأقمشة الحريرية والقطنية المستوردة الغالية الثمن، وهوما ذكره محمود كعت أنَّ الأسقيا محمد الكبير حين خلع من الحكم كان له حوالي عشرين كيسًا من الألبسة، في حين كان العلماء والقضاة والرؤساء يرتدون الملابس الفضفاضة زاهية الألوان[3].

كما أنَّ الأسقيا داوود كان يرتدي ملابس سوسية عالية الجودة منها قميص سوسي، نسبة إلى منطقة السوس في المغرب الأقصى وكان هذا القميص عاليا وله لون أزرق،وكذلك قميص سوسي ولونه أخضر[4]،وكان سلاطين سنغاي يضعون على رؤوسهم كرازين تشبه العمامة،وما يؤكد ذلك أنه عندما تولى الأسقيا إسحاق الحكم واستطاع أن يسطر على البلاد،ويلاحق ملوك أعدائه قبض على أحد معارضيه، ويدعى بكر بن الفق دنك وعندما مثل بين يديه أراد إهانته فقال الأسقيا إسحاق لرجاله : "**هاتوا كرزي فجيء به فقال له خذه واستر به هذا الشيب**".

---

[1]- ابن بطوطة: المصدر السابق،ج2، ص 553.

[2]-الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 163.

[3]- محمود كعت: المصدر السابق، ص171.

[4]- امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص 372.

أما قادة الجند في سنغاي على العهد المغربي فقد اختص هؤلاء بلبس البدل العسكرية الفضفاضة مع تعليق السلاسل الفضية والذهبية، أمّا الزي الشرفاء والعامة من الناس فإنّ لبسهم يختلف عن سابقهم فهو عبارة عن جلابيب طويلة وعمائم، ورجال أهل سنغاي يرتدون الملف والقمصان والسراويل الكبيرة والعمائم كما يرتدون البرنس[1]،وقد أشار السعدي عندما أورد قصة الفقيه فودي محمد ساقوأنه كان يصلي على برنسه[2].

وفيما يتعلق بلبس المرأة في سنغاي فقد التزمت هذه الأخيرة بمسألة الاحتشام من خلال ارتداء الطويل، وإذ عاد الإسلام إلى أن تكون ملابس المرأة واسعة وفضفاضة بهدف ستر الجسم، فالمرأة في المنطقة كانت ترتدي أغطية للرقاب تعرف باسم بايبون، فضلًا عن ارتدائها أغطية للرأس تعرف باسم يابوري أثناء تأدية الصلاة وفي المناسبات الدينية[3].

أمّاهذه اللباس في منطقة كانم–برنو، فلم تشر المصادر العربية كثيرًا عن ملابس أهالي هذه المملكة، غير أنه يمكن الوقوف على بعض الإشارات القليلة التي حملتها بعض المصادر، فالعمري يذكر بأنهم كانوا: "**أهل لثام وبرقع أزرق لا يزال الرجال يمشي بتلك البراقع والنساء مكشفات الوجوه**"،[4] فمن خلال ما أشار إليه العمري يتضح تأثر أهالي كانم–برنو بلباس المغاربة من خلال عادة اللثام التي اشتهر بها الطوارق، ومن مظاهر اللباس المنتشرة في المنطقة هي لبس العمامة حيث يذكر المسعودي أنَّ الجندي الكانمي كان يضع على رأسه العمامة وطرفها يتدلى، أمَّا عن سلاطين كانم–برنو فقد كانوا يحرصون على ارتداء الأثواب العربية ومنها الزي الطرابلسي كلبس الشاشية أولبس الجبة بسروالها وخاصة في المناسبات الدينية، وأثناء خروجهم لأداء صلاة الجمع، هذا وقد أكّد

---

[1]– الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص ص34–35.

[2]– السعدي: المصدر السابق، ص 119.

[3]– بشار أكرم الملاح: المرجع السابق، ص 182.

[4] أحمد جعفري: **مظاهر من التأثير الإسلامي والمغاربي في مملكتي سنغايوكانم– برنوما بين 1493م–1750م**، أطروحة دكتوراه، إشراف: صابر الشريف خالد، جامعة الجزائر –02 أبوالقاسم سعد الله، 2018/2017، ص ص262–263.

الحسن الوزان بأنهم كانوا يرتدون أحسن الثياب ويتلثمون بلثام كبير من قطن أسود وأزرق، في حين كان الفقهاء والأئمة منهم يتلثمون بلثام أبيض[1].

أمّا بخصوص لباس المرأة الكانمية فقد كان لباسها عبارة عن قميص واسع فضفاض مطرز له أكمام، وتضع عليه قطعة من القماش تقوم المرأة بلفها على كامل جسمها، ولونه في أغلب الأحيان أسود ويسمى "بللو"[2].

1-2- في الزواج والأسرة:

أ- الزواج: كان الزواج في مجتمع السودان الغربي قبيل مجيء الإسلام كغيره من المجتمعات الإفريقية الأخرى غير منظم، ويستند إلى مواريث فوضوية وهمجية بعيدة عن التنظيم، فليس للرجل وللمرأة زوج معين بذاته، بل أشبه حياتهم بحياة حيواناتهم التي يرعونها، حيث ذكرت بعض المصادر العربية أنّه لا يوجد تحديد لعدد الزوجات، بل يمكن للرجل الواحد الزواج بعدد من النساء، هذا وقد كانوا يتناكحون بغير صداق ولا عقد[3].

والزواج في المنطقة كان يتم بطرق متعددة لكن أوضحها وأعمقها ما كان يقوم على أساس المبادلة (رأس برأس)؛فالرجل مثلًا يزوج أخته أو إحدى قريباته إلى جماعة خطيبته، وعندما تكون إحدى الفتيات التي وقع عليه التبادل عقيمًا فمن حقِّ زوجها في طلب أخرى غيرها[4].

ومن عادة مجتمع الموشي في الزواج أن كبار رجالهم في السن هم المسؤولون عن عملية التبادل هذه، وليس من حقّ الشباب أن يتولوا القيام بهذه العملية لوحدهم وفي حالة عدم تمكن الشباب من تحصيل زوجة فإنّه مخير من انتظار وفاة أحد كبار السن فيرث منه

---

[1]- نفسه.

[2]- أحمد جعفري: مظاهر من التأثير الإسلامي...، المرجع السابق، ص 264.

[3]- الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص26.

[4]- بشار أكرم الملاح: المرجع السابق، ص 88.

زوجة، أو أنه يبحث لنفسه عن زوجة عند زعماء آخرين، مقابل الوعد بتقديم بضائع وخدمات للمتفضلين عليه بتزويجه، أوالالتزام بتقديم بناته في المستقبل كزوجات لهم[1].

وبوصول الإسلام، وبتدفق المؤثرات الثقافية للعلماء والتجار المغاربة وبروز دور العلماء والفقهاء المحليين في التمييز بين الحرام والحلال، أصبحت الكثير من العادات والتقاليد المحلية ولاسيما نظام الزواج، تسير وفق الشريعة الإسلامية، لكن ذلك لا يعني أنَّ مجتمع بلاد السودان الغربي قد تخلى عن كل أعرافه المحلية الموروثة، بل أنه تمَّ بطريقة متدرجة وبطيئة. ومن بين المعايير التي لم يطبق فيها الإسلام في الزواج عند بعض شعوب المنطقة وهي ظاهرة الجمع بين الأختين، فأم علي كنن وسليمان نار شقيقتان، حيث أورد صاحب جواهر الحسان: وأماهما شقيقتان، أمَّا والدة علي كنن فاسمها (أما)، واسم والدة سلمان نار (فتَ)...

وتذكر المصادر أنها بعدما مكثت فترة من الزمن لم تنجب قالت لزوجها تزوج أختي لعلك تنجب ولدًا، فتزوجها فحملتا بقدرة الله معًا، وولدتا كذلك ولدين ذكرين[2].

ومن الظواهر الاجتماعية الأكثر انتشارًا في السودان الغربي وهي:

ظاهرة تعدد الزوجات:

وعند شعوب الولوف استمرت الأعراف القديمة سائدة بينهم، فبالنسبة لملوكهم فقد كانوا يتزوجون بعدد غير محدد من النساء وفي ذلك يفيدنا كادامستوCdaMosto أنه كان لبيدوميل Budomel ملك السنغال (ق 9ه/15م) ما يقارب ثلاثين امرأة موزعة بين القرى الكبرى، وكان لكل واحدة منهنّ عدد معين من الوصيفات يقمن على خدمتهنّ، وفي الغالب تتحول هاته الوصيفات إلى جواري للملك.

---

[1]-حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص ص333-334.

[2]-الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص47-48.

وفي مملكة سنغاي لم يحد ملوكها أيضًا من هذه الظاهرة، فقد ذكر السعدي أنَّ سني علي بعد دخوله مدينة بنبكت التي عاث فيها فسادًا، فأمر جنوده أن يسرقوا إليه بنات الفقهاء البكرات ليأخذهنَ جاريات.

وإلى جانب ذلك لم يؤثر الإسلام على سلوكيات الأساكي، بل كرسوا ظاهرة تعدد السريرات خارج نظام الزواج الشرعي، ولقد كان للأسقيا محمد الكبير الكثير من النساء، وما جعله يخلف عددًا كبيرًا من الأولاد، حاول صاحب تاريخ الفتاش أن يضع لهؤلاء لائحة كامل تحمل أسمائهم لكن دون جدوى وفي هذا الصدد يقول: "**وهذا ما حضر لي الآن وبقي أكثرهم**"، كما أنَّ السقيا داوود هوالآخر قد خلف ما يقارب المائة بين ذكور وإناث[1].

أمَّا عن استمرار بعض عادات الزواج عند عامة شعوب المنطقة، فقد استمرت بعض العادات الوثنية إلى أزمنة قريبة، فإذا كانت ظاهرة الجمع بين عدد كبير من النساء قد زالت فإنَّ بعض شعوب الماندينغ استمرت في الزواج بأكثر من أربعة نسوة معتقدين في ذلك أنَّ الأولاد من تزوجهنَّ بعد المرأة الرابعة أبناء شرعيون، ومن العادات التي كانت سائدة في غامبيا أنَّ الرجال كانوا يقتنون النساء الحرائر ويضموهنّ لإيمائهم، وهذه الممارسة المخالفة للشريعة الإسلامية مما أنكره الشيخ عثمان دان فودي في حركته الإصلاحية على السودانيين.

ويتضح من خلال ما تمّ ذكره أنَّ الكثير من أهالي بلاد السودان الغربي وحتى حكامها كانوا غير ملتزمين بكل ما تحدده الشريعة الإسلامية في مجال الزواج، وربما يعود ذلك إلى رسوخ الأعراف التقليدية، ونقص التأثير المغربي في الكثير من مدن السودان الغربي[2].

---

[1]- زوليخة بنر مضان: المرجع السابق، ج2,ص ص341-342، السعدي: المصدر السابق، ص66.

[2]-حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص ص130-131.

ومن ضمن العادات الأخرى التي كانت سائدة بشكل كبير في مجتمع السودان الغربي واستمر عدة قرون هي ظاهرة انتساب الأبناء إلى الأم، حيث تشير المصادر العربية أنَّ هذا المجتمع قد شهد تدرجًا شديد البطء في نموّه الحضاري، نجم عنه تأخر مقارنة بما حصل لدى غيره من تقدم، وفارق ملحوظ بينه وبين المجتمعات الأخرى، انعكس ذلك على نظامها الاجتماعي، واستمرت محكومة بنظام الأمومة إلى عهود متأخرة من تاريخها، إذ لا يعتبر الأبناء أيضا في جماعة أبيهم، بل أعضاء في جماعة أمهم وتضل الحقوق والالتزامات الدالة على رابطة الانتماء إلى قرابة واحدة قائدة بين الفرد وأهل أمه، ومن ثمّ فإنَّ الأقارب من جهة الأم يمثلون في حياة الأبناء دورًا يفوق في الأهمية ذلك الذي يؤديه الأقارب من جهة الأب ودليل ذلك أنّ الخال في هذا المجتمع له من الحقوق والواجبات ما يتجاوز كثيرًا من حقوق الأب، حتى أنَّ الابن يهابه أكثر من أبيه، ويتولى الخال تأديبه وعقابه إن ألزم الأمر، وإن أساء الأب معاملة الابن يعنفه الخال ويستدعي أخته وأبناءها ليقيموا عنده، ولا يقدم الابن على الأمر حتى يستشير خاله، ويتضح من خلال ذلك أنَّ الأم هي المسيطرة على النظام العائلي[1].

ولقد ترتب عن نظام الأمومة عدة نتائج منها.

- انتقال الميراث من الأب إلى الابن الأكبر أوإلى ابن الأخت، وقد قال البكري في هذا الصدد "**يورث الابن الأكبر مال الأب كله**"[2].
- ومن النتائج الأخرى أيضًا، وهي توريث ابن الأخت أوابن البنت العرش لأنَّ نسبها محقق بهاذين الطريقين، وقد يشك الأب في أبوته لابنه بغيرهما كذلك كثيرًا من ملوك بلاد السودان الغربي يُنسبون إلى أمهاتهم نسبة أعظم ملوك مالي إلى أمّه فقيل كنكن موسى لأنَّ أمه نانا كانجو، ونسبة أعظم ملوك برنوالماي إدريس بن حفصة (ت778ه / 1376م) وحفصة أمه ونسبه الماي داود ابن فاطمة (ت788ه / 1386م) وغيرهم.

---

[1]-حسين مرزوقي: المرجع السابق، ص ص130-131.

[2] نفسه: ص ص130-131.

ولقد أشارت المصادر العربية إلى أنَّ ظاهرة توريث ابن الأخت لم تختفي نهائيًا رغم الضعف الذي ألحقه بها المسلمون بإسناد ولاية العهد إلى الابن الأكبر، وقد استمرت هذه الظاهرة حتى زمن ابن بطوطة (ت779ه / 1377م) الذي عين مدينة تكدة ولم تعجبه فعلّق قائلاً: "ولا يرث إلا أبناء أخته دون بنيه وذلك شيء لا رأيته في الدنيا إلّا عند كفار بلاد المليبار من الهنود، وأمَّا هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلّم الفقه وحفظ القرآن"[1].

وبمرور الزمن بدأت هذه الظاهرة تختفي شيئًا فشيئًا فخلال القرن 16م لاحظ أنّ التزام أهالي سنغاي بعقيدتهم بعد أن أضحى الإسلام دينًا رسميًا للمملكة بداية من عهد الأسكيا محمد الكبير الذي يعد من أعظم ملوكها قد أحدث تغييرًا كبيرًا في تركيبة المجتمع، فقد تخلى تدريجيًا عن عادة نظام الوراثة عن طريق الأمومة وأصبح الانتساب إلى الأب بدلًا من الأم حسب ما جاء به الإسلام[2].

ب- المرأة: من الثابت لدينا أنَّ المرأة ببلاد السودان الغربي كانت تمثل ركنًا أساسيًا في الأسرة، فقد كان للمرأة قبل انتشار الإسلام دور هام إلى جانب الرجل، حيث جرت العادة أن تعمل إلى جانب زوجها في مجال الزراعة والغزل والنسيج[3]، ففي سنغاي كانت المرأة تقوم بدورها الطبيعي على أكمل وجه، حيث كانت تقضي أغلب وقتها تعتني بشؤون منزلها تعدّ الطعام، وتطحن الدقيق وتحيك القطن والصوف وغيرها من الأعمال المنزلية الأخرى، وإلى جانب ذلك كانت في الحقل[4].

والمرأة ببلاد السودان الغربي تميزت بشكل عام بميزة أساسية، وتتمثل في تمتعها بقسط كبير من الحرية، بل استطاع البعض منهم التأثير في شؤون الحياة السياسية[5]فنظام

[1]- حسين مرزوقي: المرجع السابق، ص 132.
[2]- أحمد جعفري: مظاهر التأثير الإسلامي...، المرجع السابق، ص 134.
[3]- أكرم بشار الملاح: المرجع السابق، ص 87.
[4]- زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 130.
[5]- زوليخةبنرمضان: المرجع السابق، ج2, ص 337.

الأمومة بدوره كان قد سمح لها باحتلال أعلى المناصب، ومشاركة زوجة الملك ضرورة في الملك على عادة بلاد السودان، وكان اسمها يذكر مع اسمه في المنبر، ومن الأسماء التي سجلتها المصادر زوجة سليمان ملك مالي، حيث قال عنها ابن بطوطة "**وشريكته في الملك وعلى عادة السودان ويذكر اسمها مع اسمه في المنبر**"، ولقد عرف السودان الغربي ملكات كثيرات منهن الملكة يانو هذه الأخيرة التي أطاح بسلطتها سني علي التي تولى الحكم سنة 736ه/1335م، ولمّا توفى عادت يانو إلى ملكها أشد وإدارة أقوى[1].

أمّا عن علاقة المرأة بالرجل، فلا يبدوا أنّهاَ تأثرت كثيرًا لدى عامة أهل المنطقة بالإسلام، وقد كانت معاشرة غير الشرعية منتشرة بكثرة في المجتمع[2]، فقد وجدت حالات تؤكد حرية المرأة في أن تتخذ لنفسها صواحب من الرجال بقناعة من زوجها، وصاحب أمرها، وقد عاين صاحب (التحـــفـــة) المشهد عندما قام بزيارة لأحد أصحابه المسوفيين في بيته فوجده قاعدًا على بساط، بينما زوجته جالسة على سرير مظلل في وسط المنزل، وبجانبها رجل يتجاذبان أطراف الحديث، وهوما أثار تعجب ابن بطوطة حول ما تتمتع به المرأة من المنطقة وداخل وسطها الاجتماعي[3].

وهذه الظاهرة حتى وإن كان قد نقلها ابن بطوطة إلينا أثناء رحلته إلى السودان ومكوثه في مالي وذلك خلال القرن 14م فإنها قد استمرت كما تذكر المصادر التي أعقبت في القرنين الخامس عشر والسادس الميلاديين، غير أنها لا تعدوا أن تكون أكثر من ظاهرة لدى البعض تنقص من إسلامهم، وتبرز محدودية تدينهم وسطحيتهم في التعامل مع أحكام الشريعة، ولكن ذلك لا يمكن أن ينفي تمسكهم بالإسلام[4].

هكذا وعلى الرغم من تخلي مجتمع السودان الغربي عن الكثير من الممارسات المخالفة للشريعة الإسلامية، إلّا أنَّ المكانة التي تحتلها المرأة سمحت لها بنوع من الحرية

---

[1]–حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص 133.

[2]– زبادية: مملكة **سنغاي**...،المرجع السابق، ص 150.

[3]– زوليخة بنرمضان: المرجع السابق، ج2, ص 339.

[4]– أحمد جعفري: مظاهر من التأثير الإسلامي...، المرجع السابق، ص 135.

تجاوزت بها الحظر الفقهي، وفاق دورها الرجال، بل حظيت في بعض الأحيان بنوع من التقديس[1].

ج-**المأكل:** كان الطعام الذي يأكله الأهالي ببلاد السودان الغربي يختلف باختلاف طبيعة الموارد المتاحة، فقد كانت الأغذية الأساسية للخاصة هي الذرة والرز، وكان شائعًا بين سكان الريف العيش على منتوجات الماشية وأهمها الأغنام والماعز.

أمَّا سكان المناطق القريبة من مصادر المياه فكانوا يصطادون الأسماك والحيتان والسلاحف التي يقددون لحمها[2].

اختلفت أنواع الأطعمة عند عامة الناس من منطقة إلى أخرى، ولو أنَّ الاختلاف طفيف ،ففي مدينة تنبكت التي كان تكثر فيها المواشي ومن ثم اعتمد طعام أهلها على اللحم والحليب،واستخدموا في طعامهم السمن واللبن بشكل كبير،وقد أشار الحسن الوزان في هذا الصدد بقوله:"**والحبوب والموشي كثيرة جدًا، بحيث إنَّ اللبين والسمن يستهلكان فيها بكيفية مفرطة**"[3]،أمّا مدينة جني فتعدّ الذرة والأرز والسرغو، وأنواع الأسماك الطرية والمجففة من الأغذية الرئيسية لسكانها،وقد غلب الأرز على أي نوع آخر، كما اختصوا بتناول الزبدة وزيت الزيتون والتوابل ومنتوجات الماشية والأغنام والماعز[4].

أمَّا طعام الملوك فيتكون من الكسكس أو الفتات عليه لحم الغنم المطبوخ أو المشوي والملفوف في شرائح من العجين المتناهي الدقة إضافة إلى أصناف أخرى من الأطعمة والمتمثلة في دقيق القمح الذي كان يحمله جنكي خديم الأسقيا الحاج محمد له[5].

---

[1]- حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص 339.

[2]- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص ص200-201.

[3]- الوزان: المصدر السابق، ج2، ص 166.

[4]- زمان عبيد وناس: تاريخ مدينة كاو...، المرجع السابق، ص 178.

[5]- الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص28.

ومن تقاليد أهالي بلاد السودان الغربي في الطعام أن وجبة الفطور كاملة مكونة من اللحوم والحساء لمن توفرت لديه، وعادة ما كانوا يقسمون وجباتهم إلى خمسة أو ستة وجبات يوميًا يأكلون في كلّ مرة كمية قليلة ثم يعودون بعدها إلى العمل،ويبدوا أن وجبة العشاء من المؤثرات المغاربية في النظام الغذائي لأهل المنطقة، إذ أنَّ من عاداتهم القديمة الاكتفاء بشرب اللبن في هذا الوقت[1].أمَّا وجبة الإفطار فكانت تتميز بالأطعمة الدسمة مثل اللحوم، وكان طعامهم يعتمد أيضًا على صيد الجاموس البري والفيلة التي كانوا يصطادونها بالأسهم والرماح.

ومن الأطعمة التي نقلها المغاربة إلى بلاد السودان الغربي أكلة المعمول المغربي من القمح والشعير والذرة، وهي الأكلة المفضلة والرئيسية عندهم[2].

وقاموا أيضًا بصنع الأطعمة الطيبة مثل الجوزينيقات والقطائف[3]، ويبدوا أنَّ جميع هذه الحلويات وغيرها قد انتشرت في المنطقة نتيجة تأثرهم بالمغاربة المقيمين فيها[4].

أمّا عن كانم-برنو فقد كان الطعام الذي يتناوله أهل المنطقة يمتاز بالبساطة وسهولة التحضير...[5]

2- الاحتفالات بالأعياد الدينية والاجتماعية:

لقد كان لمختلف الشعوب السودانية قبل إسلامها شعائر وأنظمة دينية متعددة، فلهم احتفالات دينية مهيبة لآلهتهم وأسلافهم سنوية وموسمية، وأثناء هذه المناسبات يشربون الخمور ويرقصون ويتلون الأدعية ويقدمون الضحايا والقرابين، وقد تطول مدة هذه الاحتفالات أوتقصر حسب أهميتها[6]. وبمجيء الإسلام إلى المنطقة وانتشاره بين مختلف

1- حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص 368، محمد الغربي: المرجع السابق، ص 612.

2- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 202.

3- الإدريسي: المصدر السابق، ص 30.

4- الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص 31.

5- أحمد جعفري: مظاهر من التأثير الإسلامي...، المرجع السابق، ص ص266-276.

6- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 197.

شعوبها تغير شعائرهم وأنظمتهم الدينية، فألغى احتفالات الآلهة والأسلاف إذ لا معبود سوى الله، وغير التأثير الإسلامي تلك الاحتفالات بعيدي الفطر والأضحى والمناسبات الدينية كالاحتفالات بالمولد النبوي الشريف، وليلة القدر وغيرها من الاحتفالات الأخرى[1]

2-1- الاحتفالات الدينية:

كان الاحتفال بهذه الأعياد الدينية يشبه إلى حدّ كبير في أسلوبها نظام الاحتفال السائد والمعروف في البلدان المغاربية.

- **شهر رمضان:** كان أهل بلاد السودان الغربي مثلهم مثل غيرهم عن باقي المسلمين حريصين على إحياء ليالي رمضان الثلاثين بالصيام والصلاة وقراءة القرآن في المساجد، والإكثار من الصدقات على الفقراء والمحتاجين كل حسب مقدرتهم، وفي ذلك يذكر السعدي:"**أنَّ أحد أئمة المساجد في تنبكت يتبرع بخمسمائة مثقال ذهب من رمضان إلى رمضان لتزداد الكمية خلال رمضان، كما يحث الأغنياء على التصدق**"[2].

ولقد أخذت الاحتفالات بهذا الشهر منذ النصف الثاني من القرن الثامن هجريا/14م تنطبع بالطابع المغاربي، ومع سيطرة المغاربة على المنطقة نهاية القرن 16م ازدادت أكثر[3]، ففي مدينة تنبكت عمل المغاربة كما أشار في ذلك محمود كعت على نقل الطابع المغربي في استقبال شهر رمضان[4].

ولقد كان العلماء حرصين على حضور صلاة التراويح في المسجد مع بقية المصلين، وكان يقوم أحدهم بشرح صحيح البخاري في الجامع الأعظم، وقاعة السلطان المسماة المشور طيلة شهر رمضان[5].

1- محمد بن عبد الله بن محمد النقيرة: المرجع السابق، ص 254.

2- السعدي: المصدر السابق، ص ص60-61.

3- بشار أكرم الملاح: المرجع السابق، ص 196.

4- محمود كعت: المصدر السابق، ص 180.

5- بشار أكرم الملاح: المرجع السابق، ص 197.

كما حرصوا على الاعتكاف في العشرة الأواخر من رمضان وكان الاعتكاف موجودًا في كل المساجد[1].

أمَّا عن ليلة القدر فقد كان لها طابعها الخاص، فهي تعد من الليالي المحببة لأنها خير من ألف شهر، وقد كان من عادة علماء تنبكت خلال هذه الليلة هوالإكثار من تلاوة القرآن الكريم في المساجد بالنوافل، حيث يقوم واحد ويئم بالناس ويصلي بهم ركعتين فقط بما تيسر من القرآن الكريم، ثم يسلم، ويقوم آخر ويواصل تلاوة بمن تقدم، ويفعل نفس الشيء ويسرون في ذلك إلى سورة الناس فيوافق مع السحور، فيتسحرون عند إمام المسجد، ومن عاداتهم خلال هذه الليلة أنه هناك من يقوم بالتلاوة في بيته إلى الفجر، ويحضرها الفقراء والمساكين[2].

– **الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى:** تمثل الاحتفالات بالأعياد الدينية ومنها عيدي الفطر والأضحى إحدى أهم المظاهر الاجتماعية التي تعبر بشكل واضح على مدى التزام أهالي السودان الغربي بالعقيدة الإسلامية،وتأثرهم بالنمط المغاربي الوافد عليهم،فبعد أن كان أهالي المنطقة يحتفلون بأعيادهم الوثنية بطريقة غير منظمة وعشوائية، أصبحوا يحتفلون بانتظام وفقًا للتقويم الإسلامي حيث انتقل المجتمع تدريجيًا من مجتمع وثني،إلى مجتمع منفتح على الإسلام،فقد حلّ العلماء والفقهاء بدلًا من السحرة والكهنة الذين يقودون الطقوس الوثنية، ولم يقتصر الأمر على منطقة معينة دون غيرها، بل شمل معظم البلاد[3]،ففي مملكة سنغاي الإسلامية كان الاحتفال بعيد الفطر يبدأ منذ الليلة السابقة، حيث يتم مراقبة الهلال، وبمجرد رؤيته يقصد العدول من الرجال دار السلطان أو القاضي بدلًا بشهادة رؤية الهلال ويتم الإعلان عن ذلك بإطلاق طلقات من مدافع وضعت في تنبكت

---

[1]– سحر عنتر محمد مرجان: المرجع السابق، ص 122.

[2]– محمود محمد ددب التنبكتي الأوراني: **من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، المملكة المغربية،1432 ه/2011م، ص 58.

[3]– بشار أكرم الملاح: المرجع السابق، ص ص198–199.

خصصت لهذا الغرض[1]، ويشير السعدي في ليلة العيد يقضي الناس جزءا من ليلهم في سمر ويطيلون السهر، وقد يسمع الغناء في بعض البيوت أيضًا، أمَّا في باقي الليالي فإن كبار التجار والفقهاء يسهرون حتى وقت متأخر[2] وفي صبيحة يوم العيد يخرج الرجال إلى المساجد لأداء الصلاة ،وبعد الانتهاء منها يتصافح المصلون،ثم يوزّع بعدها الصدقات على الفقراء ابتهاجًا بهذا اليوم[3].

وقد كانت الاحتفالات مستمرة بمناسبة العيد فبعد الصلاة يقوم أهالي بلاد السودان الغربي بأداء الفعالية التي تثير الضحك والفكاهة أمام السلطان فكان يأتي الصبيان فيلعبون ألعابًا بديعة تتسم بالخفة والرشاقة، ويلعبون بالسيوف، ثم يوزع هذا الأخير صرة فيها مائتا مثقال من الذهب حسب مراتبهم[4] .

أمَّا في مملكة كانم- برنو فقد أشارت المصادر العربية أن الحاكم لا يراه أحد إلّا يوم العيدين (الفطر والأضحى) صباحًا وعند العصر، أمَّا في سائر أيام السنة فلا يحق لأحد أن يكلمه ولوكان أميرًا إلا من وراء حجاب[5].

أمَّا عيد الأضحى والذي كان يسمى في مناطق مختلفة من بلاد السودان الغربي بالعيد الكبير- عيد الأضحى – وهي نفس...،وهي نفس التسمية التي يعرف بها في البلدان المغاربية، وعند الولوف كان يطلق عليه اسم تاباسكي (tabaske) وهو اسم شهر ذي الحجة عندهم وللعيد الأضحى كذلك طقوسه الاحتفالية عند أهل المنطقة ،حيث كان هؤلاء يرتدون أحسن ما عندهم من الثياب،وقد كانوا يختارون احتفالا لهذه المناسبة اللون الأبيض

[1]- امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص 379.

[2]- زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 127.

[3]- الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص 83.

[4]-ابن بطوطة: المصدر السابق،ج2، ص 533

[5]- العمري: المصدر السابق ،ج4، ص56.

وذلك دلالة على النقاء والصفاء،وإنَّ أهم ما تميز به العامة من الناس في لباسهم في هذا اليوم هو لبسهم لطيسان وهو ما كان يختص بلبسه السلاطين والفقهاء في سائر الأيام[1].

وكان من بين الأعياد الدينية الأخرى التي تجري فيها مراسيم الابتهاج هو رأس السنة الهجرية والتي تصادف في الأول من محرم من كلّ سنة[2].

– **الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:** كان الاحتفال بالمولد النبوي من ضمن التأثيرات الاجتماعية التي انتقلت إلى السودان الغربي عن طريق المغاربة[3] حيث حرص أهله على الاحتفال بهذه المناسبة الدينية في يوم (12 ربيع الأول) من كل سنة ،ويحظى هذا الاحتفال كما أشارت المصادر العربية بمزيد من الاهتمام تقديرًا وتبركًا بذكرى النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقوم الفقهاء والدعاة في هذا الاحتفال بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد وكذلك دروس دينية حول سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) في المساجد،كما تنشد المدائح النبوية ومن خلال قصائد المديح يلاحظ مدى اشتراك أهل المنطقة فيها مع مختلف حواضر البلدان المغاربية[4].

ومن عادات أهل المنطقة في هذا اليوم أنهم يقومون بتقديم الطعام للمادحين تعبير عن مدى محبتهم لمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)[5]، حيث أورد السعدي في ذلك الصدد أنَّ الشيخ أبي القاسم التواتي الذي كان يعدّ من كبائر العلماء التواتيين الذين سكنوا تنبكت، وعمل إمامًا في جامع الكبير حتى وافته المنية سنة 1528م،كان يتولّى إطعام المادحين لشدة محبته لمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم)[6].

1– حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص 309.

2– زمان عبيد وناس: تاريخ مدينة كاو...، المرجع السابق، ص 175.

3– زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص197.

4– السعدي: المصدر السابق، ص 60، التنبكتي: نيل الابتهاج...، المصدر السابق، ص 16.

5– سحر عنتر محمد مرجان: المرجع السابق، ص 222.

6– السعدي: المصدر السابق، ص 21 وما بعدها، زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 127.

2-2- الاحتفال بالمناسبات الاجتماعية:

من ضمن المظاهر التي تؤكد مدى تأثر مجتمع السودان الغربي بالنمط المغاربي هوالاحتفال بالمناسبات الاجتماعية، منها:

❖ **الاحتفال بمراسيم الزواج:**

ولقد ارتبطت كثيرًا بالمغاربة، بل إنَّ الحياة الاجتماعية كلها ذات صلة وثيقة بهم، فضلًا عن ارتباطهم التجاري والثقافي فقد كانت الولائم والاحتفالات تقام حسب الطريقة الإسلامية المتمثلة في الخطبة والقبول، ثم الاعلان وقراءة الفاتحة عند القبول، ثمّ يليها بعد ذلك الاحتفال بليلة العرس فتقام ليلة الحنة تليها جلب الزوجة من بيت ذويها، وهذه التقاليد الإسلامية انتقلت إلى السودان الغربي عن طريق المغاربة بعد أن تمّ ترسيخ الإسلام بالمنطقة، وبعد جلب الزوجة تقام الوليمة التي يشترك فيها جميع الأهل والأقارب[1].

وفي هذا النوع من الاحتفالات أشار ترمنجهام بقوله: "إن المظاهر الإسلامية من أعياد ومناسبات ونظم اجتماعية وعادات قد رسخت في إفريقيا في احتفالات الزواج ومراسيم الطلاق ورعاية الأطفال والعلاقات المشتركة والاجتماعية بين العائلات"[2].

❖ **الاحتفال بالمولود الجديد والختان:**

ومن ضمن عادات أهالي بلاد السودان الغربي هوالاحتفال بالمولود الجديد ففي حالة أن يولد مولود تلتقي نساء الحي والأقارب عند ام المولود وهن يغنين تعبيرًا عن الفرحة حاملين معهنَّ الهدايا من أقمشة ودراهم، أما والد المولود فيقوم بإقامة وليمة يدعولها الأحباب والأقارب وحفظة القرآن.

أما تسمية المولود ففي الغالب يسميه كبير العائلة، وعادة يشتق اسمه من أسماء رجال العائلة المتوفين.

---

[1]- زمان عبيد وناس: تنبكتووأثرها الحضاري...، المرجع السابق، ص 164.

[2]- زهراء يوسف إسماعيل: المرجع السابق، ص 200.

وبعد مرور أربعين يومًا عن ولادة المولود تحتفل الأسرة مرة أخرى بمولودها وخصوصًا البكر، وكان يعرف عنهم بيوم الأربعين، وفي ليلة ذلك اليوم تقوم الأم بوضع الحناء على كفه إذ كان المولود ولدًا، أما إذا كان بنتا تخضب يديها ورجليها، وقبل يوم الاحتفال بهذا اليوم تكون الأم قد أحضرت بعض الأشياء لتزيين بها ولدها ومنها ثوبًا جديدًا مخططًا، وتطرز له عباية من القماش مرصوص بالودع الخرز الجيد وغيرها من أشياء التزين هكذا كانت الأسرة ببلاد السودان الغربي تحتفل بيوم الأربعين[1].

أما في الختان فيعتبر من التقاليد الإفريقية التي صبغت بصبغة إسلامية والتي كانت سائدة في المنطقة قبل وصول الإسلام وانتشاره بعدة قرون ولقد اكتست عادة الختان لدى الجماعات التي تمارسه منذ القديم أهمية شعائرية، فهوعادة يحاط بطقوس واحتفالات هامة، في الوقت الذي يشكل فيه أحد الملامح البارزة التي تؤدي إلى الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة الكاملة، وبعد أن انتشار الإسلام في المنطقة، واعتناقه من طرف الجماعات ليبدأ الختان في الانتشار نتيجة الاحتكاك بين قبائل تمارسه وأخرى لا تعرفه، فكم من قبيلة لم تكن تمارس هذه العادة، ونتيجة تأثير قبائل أخرى مجاورة أصبحت تمارسه بشكل واضح[2].

وقد كان لهذه العادة عند أهالي بلاد السودان الغربي طقوسها الاحتفالية ففي يوم الختان تقوم الأسرة بدعوة الأهل والأقارب لمائدة الأكل تعقبها التهاني بطول عمره، وصلاح حاله ثم تعطي الهدايا لأسرته من قبل النساء.

ومن عادات بعض الشعوب أن يختن الصبي بعد نهاية الأسبوع الأول من ولادته، ومنهم من يختن طفله في الأربعين، ومنهم من يختن طفله في سن الخامسة والسادسة.

---

[1]-الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص ص63-64.

[2]-حسن علي إبراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص ص176-177.

أمَّا بخصوص موعد الختان فعادة ما يكون عند الضحى، وبعدما يختن الطفل تنطلق الزغاريد إيذانًا بالفرحة والابتهاج، ثم تأتي بعدها النسوة لتهنئة الأسرة ومعهن بعض الهدايا وهنَّ يرددن كلمة إن شاء الله بزواجه وطول أيامه).

وبمجيء المغاربة إلى المنطقة نهاية القرن 16م سار هؤلاء على النهج الذي كان أحمد المنصور الذهبي يفعله بمراكش عند الختان فقد كانوا يجمعون الأطفال الفقراء ويقومون لهم حفلاً عموميًا، وبعد نهاية الاحتفال يختتونهم، ويقدم لكل صبي من هؤلاء ثوب وحصة من اللحم[1].

يتضح من خلال ما أشرنا إليه حول بعض العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في مجتمع السودان الغربي بعد اعتناقه الإسلام تخليه عن كثير من مورثاته الثقافية التي توارثتها جيلا بعد جيل، ومما لا شكّ فيه أن عملية التحول عن هذه المورثات قد تستغرق مدة زمنية طويلة وذلك نتيجة رسوخ هذه العادات والقيم في أفكارهم ولكن برسوخ المؤثرات العربية الإسلامية أخذت هذه العادات تختفي تدريجيا محتفظة ببعض الرواسب القديمة[2].

---

[1]-الهادي المبروك الدالي: التاريخ الحضاري لإفريقيا...، المرجع السابق، ص ص65-66.

[2]-حسن علي إبراهيم الشيخي: المرجع السابق، ص 179.

3- الفنون (الموسيقى الغناء –الرقص) :

من الملاحظ أن مجتمع بلاد السودان الغربي شأنه شأن غيره من المجتمعات الإفريقية الأخرى عرف بميوله الشديد لممارسة الفنون الشعبية من موسيقى وغناء ورقص، ومختلف صنوف الطرب، حيث بلغوا في ذلك درجة معتبرة في الحذق والمهارة[1] وهوما أشار إليه المؤرخون والجغرافيون ومنهم المؤرخ **مرمول كربخال** الذي وصفهم بقوله: "أهل السودان أشخاص يتصفون بالليونة والطرافة وحسن المعاملة والبشاشة، يغنون ويرقصون على نغمات الطبول والمزامير"[2].

هذا وقد ذهب الحسن الوزان إلى القول بأنه شاهد بنفسه في سنغاي أن الكثير من الأهالي في المدن والقرى يبثون في غناء ورقص حتى مطلع الفجر، وتزداد ممارسة هذه الفنون الشعبية أكثر خلال الأعياد والمناسبات[3].

❖ **في الموسيقى والغناء:**

لقد برع مجتمع السودان الغربي في فن الموسيقى والغناء فالنسبة للآلات الموسيقية في سنغاي فقد كانت عبارة عن أنواع من الطبول المختلفة الأحجام منها الكبيرة التي كان يستعملها الحرس الملكي بالجيش، ومنها الصغيرة التي كانت تستعمل عند عامة الناس، ومن الأنواع الأخرى أيضًا مزامير القصبة المتعددة الثقوب والدفوف والقنين وغيرها.

ويبدوأن مهنة الغناء كانت تختص بها بعض القبائل في المنطقة، فقبيلة المابي في تنبكت وجاو كانت قد تخصصت في هذه المهنة وتكتسب منها بالحصول على الهدايا[4].

وكانوا حفل الغناء في الغالب يبدأ شخص واحد ثم يشاركه الحاضرون إثر ذلك، أما في المواكب الكبرى كانت لا تغني سوى الفرقة المخصصة لذلك.

---

[1]- امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص382.

[2]- مرمول كربخال: المصدر السابق، ج3، ص 203.

[3]- زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 164.

[4]- امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية، المرجع السابق، ص ص382-383.

❖ **الرقص:**

أمّا فيما يتعلق بالرقص عند أهالي بلاد السودان الغربي فقد كان يشترك فيه الرجال والنساء بشكل جماعي[1]، وقد كانت المرأة تساهم في مظاهر الاحتفال حيث ترقص في مجلس السلطان، وتغني إلى جانب الرجال في احتفالات يوم العيد وتزغرد في مختلف المناسبات، ولقد كان الكثير منهن يستعملن المزمار والعود، ويضربن الدف، وقد لاحظ الأوربيون في السواحل الغربية أن النساء كن يمارسن عادة الرقص والغناء بكثرة، ولاسيما الفتيات الصغيرات منبهرين إلى تعجبهم من طريقة رقصهنّ التي تختلف عما هوسائد في بلادهم[2].

4- الفن المعماري السوداني والتأثيرات المغربية:

مما لاشك فيه أنّ للسودان الغربي تراثه المعماري الأصيل، فالمعلوم أنّ إقامة أماكن لسكن حاجة طبيعية في الانسان تنطلق أساسا من المواد التي تتوفر له، والظروف الطبيعية التي يحي بها[3] فقد كان سكان المنطقة في البداية يبنون حيطانهم من الطوب ونادرًا ما تتخللها الحجارة، أما الأسقف فتكون من الأخشاب والقصب، وغالبا ما تتخذ شكل قبة أوهرم، وربما يعود اختيار ذلك إلى عامل التكيف مع المناخ، حيث أن موسم الأمطار بالمنطقة تحمل السحب فيه بأمطار غزيرة، ولقد وجدت لدى سكان المنطقة عادة بناء حوش أوزربية أمام البيت لتربية الحيوانات فيه[4]، فطراز بناء البيوت في تنبكت في بداية أمره يبنى من عيدان الأشجار وحشائش النباتات، ثم تطورت بمرور الزمن وأضحت تبنى من شجر الصيان، واستمرت فترة من الزمن محافظة على الطراز التقليدي بها إلى

1- زبادية:مملكة سنغاي...،المرجع السابق، ص 165.

2-حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص 356.

3- نفسه: ص 378.

4- زبادية: مملكة سنغاي ...، المرجع السابق، ص 165.

أن تحولت حياة السكان وأصبحوا يبنون مساكنهم بأوتاد مخلوطة من الطين ومسقوفة بالتبن[1].

وما يؤكد أصالة الفن المعماري في المنطقة هو ما أشار إليه سيسوكوcissoko على مستوى الأشكال العمرانية إلى اتخاذ مسجد جني القديم وضريح الأسقيا محمد الكبير بجاو، إضافة إلى وجهات المنازل في بعض المدن كمدينة سيغوبمالي مثلا – والتي لا تشبه قباب مساجد فاس والقاهرة وللزخارف القصور الشرقية –بمثابة النماذج التي يعرف الطراز السوداني بها.

هذا ويعد أيضا الشكل الهرمي الذي يتميز به العمران بمثابة الخصوصية الأبرز فيه، ويشير جون دوفيس في نفس السياق أنَّ الشكل الهرمي يبدوذا أصول إفريقية ليس لها أي ارتباط بالمؤثرات العربية الإسلامية، وأنه كان منتشر في عدة مناطق من بلاد السودان الغربي، كل هذا يوضح أنَّ العمارة السودانية أصيلة في المنطقة[2].

ولقد بدأ الطراز المعماري السوداني خلال عهد مملكة مالي الإسلامية يشهد نوع من التطور فبوصول المنسا موسى إلى الحكم ظهر طراز معماري جديد في السودان الغربي، فعند عودته من الحج سنة 1325م صحبه خلق عظيم يعدون بالآلاف. وكان من بينهم المهندس الأندلسي الإبراهيم الساحلي[3] الذي كان المنسا موسى قد التقى معه خلال موسم الحج وأصبح من أصحابه واصطحبه معه إلى مالي، فقام هذا الأخير الذي كان بارعًا في الهندسة والتصميم بإحداث ثورة في الطراز المعماري بالمنطقة، فمن بين الأعمال العمرانية التي نسبتها المصادر العربية للساحلي هوما بناه للمنسا موسى هذا

---

[1]– محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية: المرجع السابق، ص 98.

[2]–حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص 377.

[3]– **إبراهيم الساحلي:** وهو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الساحلي ولد بغرناطة ونشأ فيها، وقرأ على أعلامها، أما عن تاريخ ولادته فلم يذكره الذين ترجموا له ذلك ويقدر أنها كانت في النصف الثاني من القرن السابع الهجري، أما عن شيوخه فقد كان والده عبد الله من بينهم باعتباره كان فقيها متفننًا، أمّا عن رفقاؤه في الدراسة فمنهم الفقيه الأديب القاضي أبا القاسم الخضر بن أبي العافية، جال الساحلي في العديد من بلدان السودان واستوطنها مدة طويلة، بلغ فيها أقصى المكانة والشهرة، حيث كان له دور ثقافي رفيع في مملكة مالي الإسلامية. ينظر: محمد بن شريفة: المرجع السابق، ص ص82–83.

الأخير الذي أراد أن يتخذ بيتًا في قاعدة سلطانه محكم البناء مجلّلا بالكلس بغرابته بأرضهم، فأطرفه أبوإسحاق الساحلي ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها إجادته وكان صانعا بارعا وأضفى عليها من الكلس ووالى عليها الأصباغ المشبعة فجاءت من أتقن المباني ووقعت من السلطان موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم ووصله باثني عشر ألف من مثاقيل التبر[1].

كما بنى الساحلي أيضا بعد وصوله للمنطقة مساجد في كل من جاو وتنبكت مبنية بالحجر والطين، وعلى كل حال فإنّ عمله قد مكن لاستمرار طريقته في البناء من بعده بالسودان الغربي، حيث يبدوأنّ هندسته اعتبرت أرفع الأنواع وقُلّدت[2].

وعمومًا فقد ادخل الساحلي إلى المنطقة طرازًا معماريًا يوافق بين الطراز المغربي الأندلسي، والطراز المعماري السوداني البسيط وقد وصف العمري هذا التطور في الحياة العمرانية للمنطق نظام البناء بالبالستا) والذي ربما قد أدخل إلى المنطقة من طرف الساحلي حيث يقول: "**...وهو أنه يبنى تقدير نصف ذراع بالطين ثم يترك حتى تجف ثم يبنى عليه مثله هكذا حتى يتباهى سقوطها قباب وجلمونات كالأقباء، وأرضها تراث مرمل**".

وفي مملكة سنغاي الإسلامية تطور الطراز المعماري كثيرًا وربما يرجع ذلك لاتصال الوثيق الذي حدث بين بلدان المغرب والسودان الغربي ومن أبرز المؤثرات العربية الإسلامية ما وقع في بناء المساجد في معظم مدن المنطقة وتحديدًا المساجد الشهيرة بمدينة تنبكت وقد شيدت على الطراز المغربي الأندلسي، وما زالت قائمة في المنطقة وتؤدي فيها شعائر الصلاة[3].

---

[1]- محمد بن شريفة: المرجع السابق، ص ص91-96.

[2]- البكري: المصدر السابق، الجزء الثاني، ص: 344. زبادية: مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص166.

[3]- امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص385.

ولم يكن التأثر بالفن المعماري العربي مقتصرًا على المساجد فقط، بل امتد حتى إلى القصور الملكية، حيث يذكر مرمول كربخال بأن قصر الملك، وقصور أخرى في جاومبنية على الطراز العربي الأندلسي[1] .

هذا وقد ازداد الفن المعماري تطورًا وانتشارًا بمجيء المغاربة إلى المنطقة وفي ذلك يذكر دوبريس ياكوبو أنَّ المغاربة نقلوا إلى هذه المنطقة مختلف الأدوات المعروفة آنذاك، كما أنهم قاموا ببناء العديد من المنازل على الطراز المغربي الفاسي المراكشي والصحراوي بعدة مدن منها تنبكت وجني الشيء الذي يظهر من خلال أبواب البيوت والنوافذ التي كانت تزين بالمسامير والنقوش والسبائك المحفورة والتي تعطي مثلًا عن أبواب المنازل المغاربية.

ولقد أشار كذلك شارل مونتي بدوره على أن المنطقة عرفت ظهور المنازل طراز مغربي في مناطق مختلفة داخل بلاد السودان الغربي على طراز مغربي، وبسقوفها المسطحة التي تشغل للنوم في فصل الصيف، وهذا النوع من البنايات تصمد لمدة طويلة أمام العوامل الطبيعية، وتنقسم هذه المنازل إلى جزأين كبيرين، أحدهما مخصص للأسياد والضيوف، أما الثاني فهومخصص للعبيد والنساء وللمخازن وكذلك لإعداد الطعام، وهذا التصميم بدوره هوالسائد ببلاد المغرب والأندلس، لذا فقد سمي بالطراز المغربي الأندلسي[2].

لابد في الأخير من التأكيد أنه رغم التأثيرات الفنية المعمارية في السودان الغربي لم تحظ إلى حدّ الآن – كما أشارت بعض الكتابات – بدراسة تحليلية معمقة غير على أن يمكن الاستنتاج إن ما وضع من معالم لهذه الفنون العمرانية وبوضح عمق ما أحدثته الثقافة العربية الإسلامية في هذا المجال، فقصور الملوك والحكام تدل في هندستها ونقوشها ومعالمها ومحتوياتها على الأثر الفني المعماري العربي.

[1]– مرمول كربخال: المصدر السابق، ج3، ص 204.

[2]– أحمد جعفري: مظاهر من التأثير الإسلامي...،المرجع السابق، ص ص185–186.

ومن خلال ما تقدم أيضًا يتضح لنا أنَّ التأثر بهذا الفن شمل كل مدن السودان الغربي الرئيسية، مثل جني وجاوولم يقتصر على مدينة تنبكت فحسب[1].

[1]- امطير غيث: الثقافة العربية الإسلامية...، المرجع السابق، ص 387.

الخاتمة

حاولت من خلال هذه الدراسة تتبع الأدوار الحضارية التي أداها العلماء والتجار المغاربة في بلاد السودان الغربي من القرن 16م حتى القرن 19م وتوصلت إلى العديد من النتائج والملاحظات العامة المتعلقة بمدى مساهمة وفاعلية تأثير هؤلاء على شعوب المنطقة، على مستوى جميع المجالات السياسية، الاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، وكانت على الشكل الآتي:

1- شهدت بلاد السودان الغربي خلال الفترة التي سبقت القرن 16م جملة من الأحداث والوقائع السياسية تمثلت أساسًا في قيام عدة ممالك إسلامية نعمت بشيء من الاستقرار والازدهار في أغلب الفترات خاصة بعد انتشار الإسلام في مختلف ربوع المنطقة، وتعمق الصلات والروابط بين المنطقتين بشكل أوسع، ولقد عاصرت هذه الممالك بعضها بعضًا غير أنَّ الشهرة والعظمة، فضلًا عن القوة وسّعت النفوذ تحولت بين هذه الممالك واحدة بعد الأخرى، ومن خلال ما ذكرته جميع المصادر التاريخية حول تاريخ هذه الممالك تثبت أنَّ جلّها قامت في عصر واحد تقريبًا، في حين أنَّ عوامل سقوطها وانحطاطها يختلف من مملكة إلى أخرى حسب الظروف والأوضاع. ومنها مملكة مالي الإسلامية التي تعتبر من أعظم الممالك التي عرفتها المنطقة.

2- لا يمكن الحديث عن العلاقة التي ربطت بين البلدان المغاربية، وبلدان السودان الغربي الضاربة بجذورها في التاريخ دون الحديث والتركيز على العامل الجغرافي باعتباره العامل الرئيسي في قيام هذه العلاقة واستمرارها التي أدّت فيه الصحراء الكبرى دورًا حضاريًا، فرغم المسافات الطويلة والشاسعة، بالإضافة إلى المخاطر وعراقيل لم تقف يومًا عائقًا في نسْج عملية التواصل بينهما، حيث ظلت استراتيجية منذ القدم، وما يؤكد الدور الحضاري الذي لعبته الصحراء الكبرى بأنها أفرزت أسرًا وقبائل كما أنشأت مدنا وممالك مترامية الأطراف هذا من جهة، ومن جهة أنّها ظلّت رمزًا للأطماع الأجنبية لعدة قرون.

3- إنَّ الذي يكشف انتقال العلماء المغاربة صوب المنطقة واستقرارهم فيها هي الأدوار التي أدّاها هؤلاء والتي برزت مظاهرها أكثر لاسيما في المجالين الثقافي والتجاري وقد ساعد على ذلك عدة عوامل على رأسها البيئة الصالحة، وحالة الأمن والاستقرار التي كانت تشهدها مختلف مدنه – باستثناء حدوث بعض الصراعات الداخلية – فضلًا عن الترحاب الذي حضي به هؤلاء من طرف أهالي المنطقة وحتى ملوكها، الأمر الذي سارع في توثيق الصلات والروابط بين المنطقتين.

4- رغم الدور الفاعل الذي أداه العلماء المغاربة في النهوض بالحركة العلمية وتطورها في مختلف الحواضر السودانية الكبرى طيلة القرن 16م إلا أنها عرفت حالة من الركود والتراجع حتّى منتصف القرن 17م وذلك نتيجة وقوع جملة من الأحداث والوقائع منها الحملة المغاربية سنة 1591م وما ترتب عنها من نتائج على مختلف الأصعدة الخاصة على هذا الجانب، وعلى الرغم من ذلك لم تستمر هذه الحركة بنفس الوتيرة في الفترة التي تلت هذا القرن حيث برز الكثير من العلماء والفقهاء المغاربة في مختلف المدن المغاربي ونبغوا في شتّى العلوم.

5- كانت البدايات الأولى من القرن 16م وحتى القرن 18م بالنسبة لبلاد السودان الغربي محطة هامة في تحول كثير من مظاهر الحياة، وأنماط العلاقات بين شعوب المنطقة، وبين حواضر البلدان المغاربية ليس فقط بسبب الدور الحضاري الذي أداه المغاربة، بل جراء اندماج المعتقدات المحلية مع الوافدة، التي أدت إلى حدوث تحولٍ عميق وكبير في حياة الشعوب التي كانت تعيش على وثنيتها وهمجيتها متمسكة بأعرافها وموروثها القبلي لتصبح ضمن حياة الاستقرار المتمركز على مبادئ الإسلام الوافدة عليها.

6- يبدوا واضحًا من خلال التحولات الاقتصادية التي عرفتها بلاد السودان الغربي مدى فاعلية المؤثرات المغاربية في هذا المجال، غير أن هذا لا ينفي الدور الذي لعبته الأطراف المحلية في ذلك فرغم تمسك هذه الأخيرة بتقاليدها المحلية، ونظمها القديمة

التي كانت سائدة منذ القدم والمتوارثة عبر الأجيال فقد شكّلت نتيجة تفاعل دائم ومستمر مع العنصر الوافد قطبًا أساسيًا في هذا التحول الاقتصادي.

7- إنَّ بروز عدد من العلماء المحليين – كانت لهم رحلات علمية وأسفار ثقافية فكرية نحو الحواضر المغربية بهدف تقوية الأواصر– يؤكد من جهة مدى الدور الذي اضطلع به المغاربة في خلق هذه الفئة، ومن جهة أخرى يوضح مدى انتفاع العلماء المحليين بمعطيات هذا الوافد المعرفي ذات الصبغة العقدية الإسلامية، والطابع المغربي، فقد أخذوا على علمائه وربطوا سندهم العلمي بأصول سندهم، وإلى جانب ذلك تفاعلوا مع تأليفهم بالحفظ والشرح والتعليق.

8- إنَّ الذي يكشف عن غزارة الإنتاج العلمي، وتنوعه في منطقة السودان الغربي خلال القرنين 17 و18 الميلاديين وهو ما عبّرت عنه المصنّفات والمؤلفات والمخططات المتنوعة التي خلفها العلماء خلال هذه الفترة، ولم يكن ليحدث هذا الأمر لولا العناية الكبيرة التي حرص على رعايتها سلاطين وأمراء السودان الغربي هذه الرعاية التي أثمرت في الأخير بعطاء علمي غزير شارك فيه العلماء الوافدين بمختلف مصنفاتهم، وأصبحت فيما بعد مرجعًا مهما لطلبة العلم وغيرها في تلك الفترة.

9- إنَّ الحركة الثقافية والحضارية المزدهرة التي شهدتها بلاد السودان الغربي خلال فترة الدراسة وما سبقها لم تكن في الواقع مجرد تجديدا للتراث الثقافي وحضاري بائد، وإنما كانت انفراجًا لثقافة إسلامية راسخة في المنطقة منذ القرن الخامس الهجري /11م، وهي الفترة التي تمثل بوادر بدايتها وتطورها حتى القرن 19م.

10- أثبتت التحولات الكبرى التي طرأت على بلاد السودان الغربي في مختلف المجالات نتيجة دخول المؤثرات المغاربية أنّ للإسلام وما لازمه من نشاط دعوي وعلمي كان المركز الأساس الذي أثمر حضارة إسلامية في المنطقة، باعتباره "قوة دينية" فكرًا وحضارة في عملية دفع الترابط بين المنطقتين، وفي خلق وحدة متكاملة نتج عنها حدوث "نقلة نوعية" في تاريخ هذه العلاقات، ولم يكن لجهود العلماء والدعاة

وغيرهم سوى شرح أسس وقواعد الدين لتنظيم المجتمع على أسس جديدة، وقد أشارت المصادر التاريخية أنَّ شعوب المنطقة لم تعرف الصراعات المذهبية والفكرية لأنَّ الإسلام الذي دخل المنطقة كان إسلامًا مالكيًا، وقد أصبح بعد دخول المرابطين إلى المنطقة هو المذهب السائد والأكثر شمولية.

11- شمل التأثير الثقافي والاجتماعي للعلماء والتجار المغاربة في المنطقة الجانب اللغوي، حيث أصبحت اللغة العربية هي اللغة السائدة، وما يؤكد هذا العمق التاريخي في المنطقة أنها استخدمت كلغة تواصل، ولغة للتعليم والثقافة، وما أدلّ على ذلك؛ هو أنَّ الوثائق التاريخية للمنطقة، وأخبار الحكام، والأمراء المسلمين باتت تكتب باللغة العربية لا غيرها، وهكذا فقد غدت هذه الأخيرة إلى جانب الدين المظهر الأساسي لوحدة المجتمع السوداني.

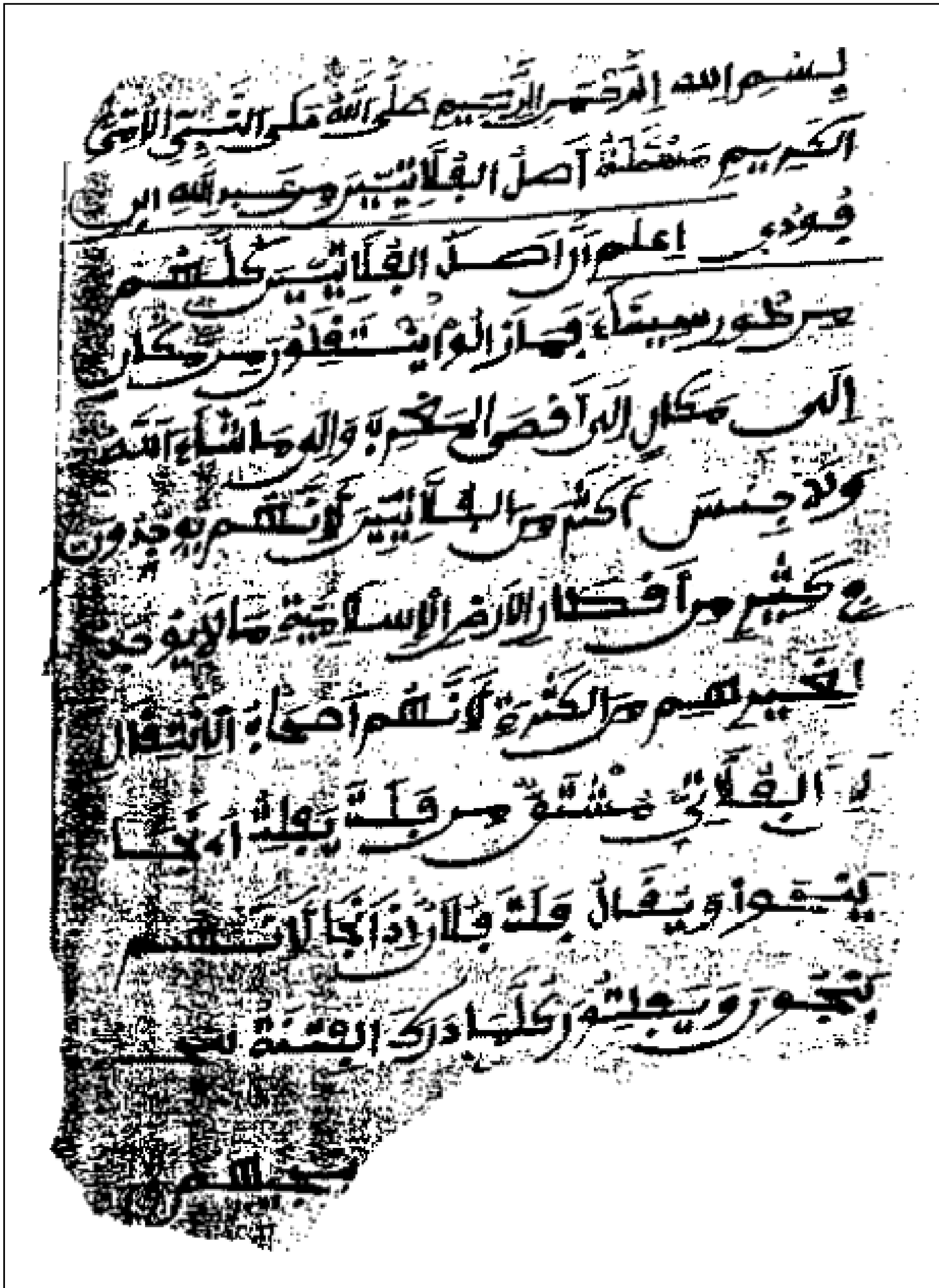
12- إنَّ تركيز بعض الدراسات على فعالية الإسلام الناتج عن الدور الذي لعبه العلماء والتجار المغاربة في تخليص شعوب المنطقة من خلفيتها الوثنية وحجمها في مسار الحضارة العربية الإسلامية لا يثبت أن هذه الشعوب فقد انخرطت في حركة التحولات الناتجة عن تأثرهم بالعنصر الوافد بشكل كلي، بل أنَّ البيئة الثقافية المحلية للمنطقة قد تميزت بالصلابة والصمود في وجه رياح التغيير الوافد من هنا وهناك، ظهر ذلك في استمرار بعض الأنظمة الاجتماعية إلى وقت متأخر من تاريخ المنطقة كنظام الأمومة وأنظمة الميراث، وتعدد الزوجات وغيرها، وقد ساعد على ذلك سياسة الممالك التي شهدتها المناطقة، وتوخت الازدواجية والملاءمة بين ما هو محلي، وما هو وافد من العقائد والعادات، وسعت إلى إرضاء جميع الأطراف ،وحافظت على الاستقرار طيلة قرون من الزمن، وهو ما أدّى إلى عملية التفاعل الحضاري وازدهارها بين المنطقتين.

13- إذا كان المغاربة علماء وتجارًا وفقهاء متصوفة ومدرسين وقضاة... قد قاموا عبر مختلف المراحل التاريخية بدور مهم وأساسي في تاريخ شعوب السودان الغربي

لاسيما بين القرنين 16 و19 الميلاديين فإنّ هناك عناصر أخرى تضافرت معها في ذلك منها الحضور المشرقي وذلك بانتقال عدة مؤثرات للمنطقة خاصة بعد تفعيل خط الواحات على عهد سلطان مالي منسا موسى في بداية القرن 14، بإضافة أيضًا إلى العنصر اليهودي هؤلاء الذي أقاموا في المنطقة، وكان لهم حظ وافر خاصة في حرفة الصياغة، وهو ما أكّدته بعض المصادر العربية كالإدريسي ومحمود كعت.

14- رغم الإرث التاريخي والحضاري للتواصل بين البلدان المغاربية، وبلاد السودان الغربي الذي كان الفضل فيه يعود للمغاربة سيما العلماء والتجار الذين اضطلعوا بعدة أدوار، إلّا أنَّ المتتبع لمجريات الأحداث فيه يجد أنَّ هناك جملة من العراقيل شكلت حاجزًا خلال القرن 19م عرقل هذا التواصل، ومنعه من التطور والوصول إلى مستويات أفضل، ورغم ما شكلته الصحراء الكبرى والمتمثلة في بعد المسافات، وانعدام الحواجز الطبيعية وندرة المياه والتي كانت تعدّ من أخطر المشاكل التي تعترض سير القافلة، وهو ما كان يعرقل عملية التواصل، إلّا أنَّ الخطر الأكبر تمثّل في الاستعمار الأوروبي.

الملاحق



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على النبي الأمي
الكريم مقطعة أصل الفلانيين وعبد الله بن
فودي اعلم أن أصل الفلانيين كلهم
من طور سيناء فصار اليوم ينتقلون من مكان
الى مكان الى أقصى المغرب والى ما شاء الله
ولا جنس أكثر من الفلانيين لأنهم يوجدون
في كثير من أقطار الأرض الإسلامية ما يوجد
غيرهم من الكثرة لأنهم أصحاب الانتقال
الفلاني مشتق من فلت يفلت إذا [illegible]
يتبعوا ويقال فلت فلان إذا [illegible]
يتجولون ويتفلتون كلما أدرك السنة

الملحق رقم (01): مخطوط تضمن أصل الفولانيين [1].

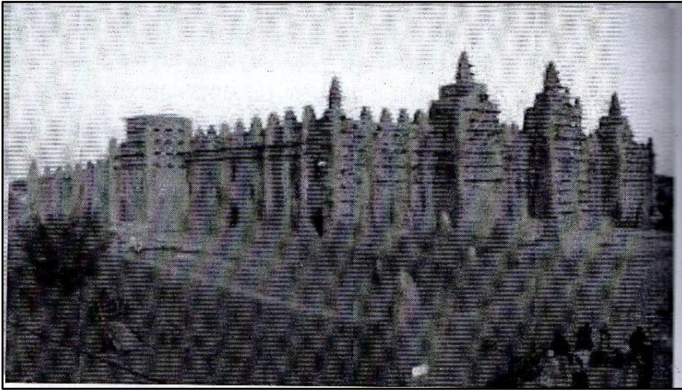
[1] منى محمد عادل سيد حسين، المرجع السابق ص183.

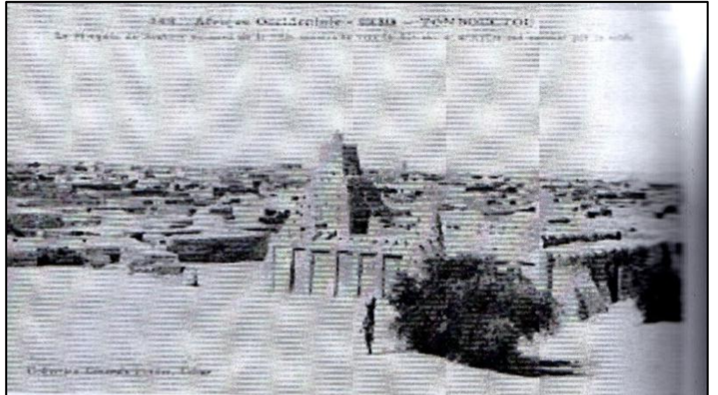
الملحق رقم (02): مخطوط تضمن رسالة المغيلي إلى أمير كانو[1]

[1] منى محمد عادل سيد حسين: المرجع السابق ص191.



الملحق رقم (03): مدينة جاو كمركز من المراكز التجارية لبلاد السودان الغربي [1]





الملحق رقم (04): مدينة تنبكت عاصمة مملكة مالي الاسلامية[2]

[1] الهادي المبروك الدالي: تاريخ افريقيا في ماوراء الصحراء (دراسة وثائقية)، المرجع السابق، ص،124.

[2] اسماعيل حامد اسماعيل علي: المرجع السابق، ص ، 43.



الملحق رقم (05): السلطان منسا موسى [1]

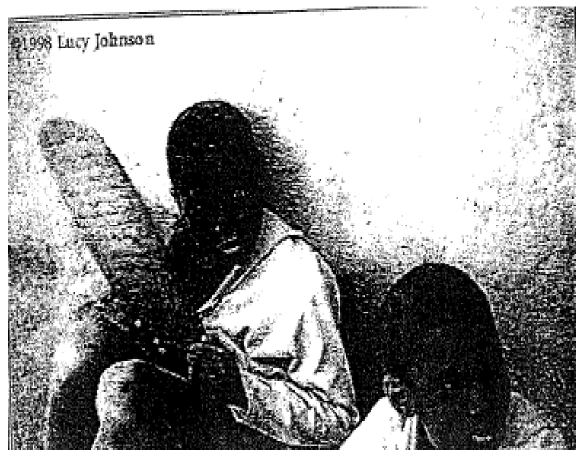


الملحق رقم (06): مكتب لتعليم الصبيان ملحق بمسجد سنكري[2]

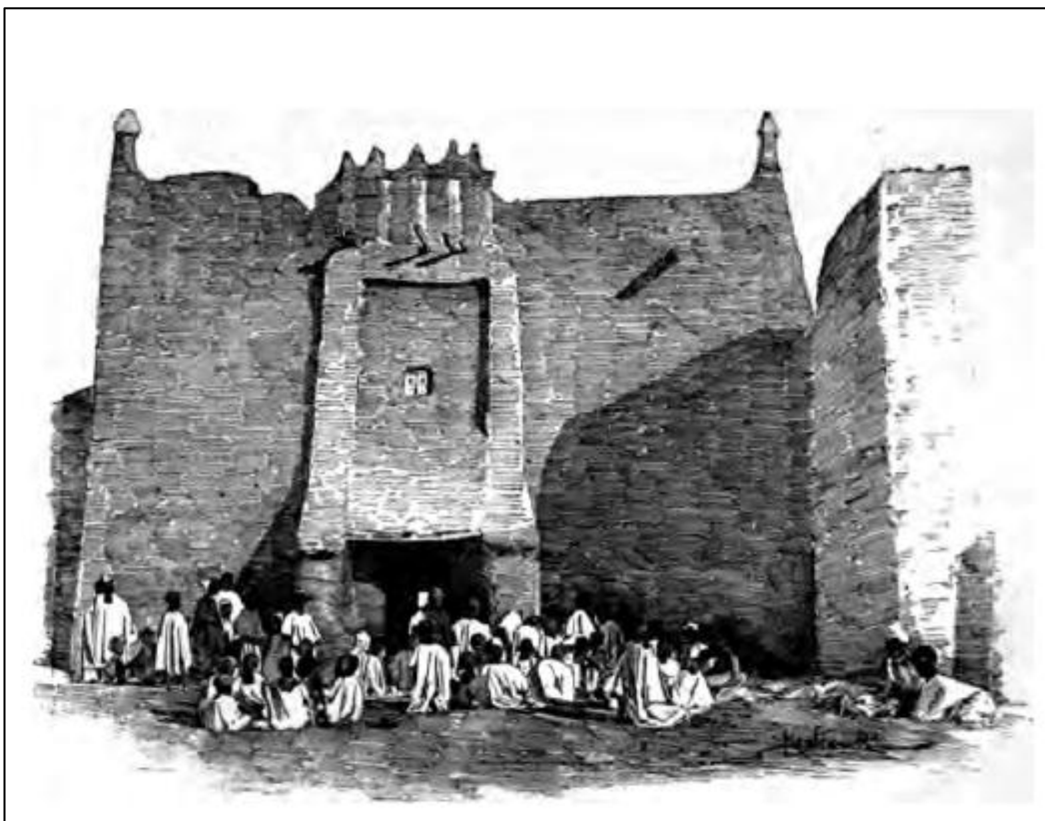
[1] إسماعيل حامد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص 36.

[2] ايهاب شعبان عبد الشافي سالم: المرجع السابق ص 286.





الملحق رقم (07): طلبة القرآن[1]



الملحق رقم (08): مدرسة في بلاد السودان – جنى[2]

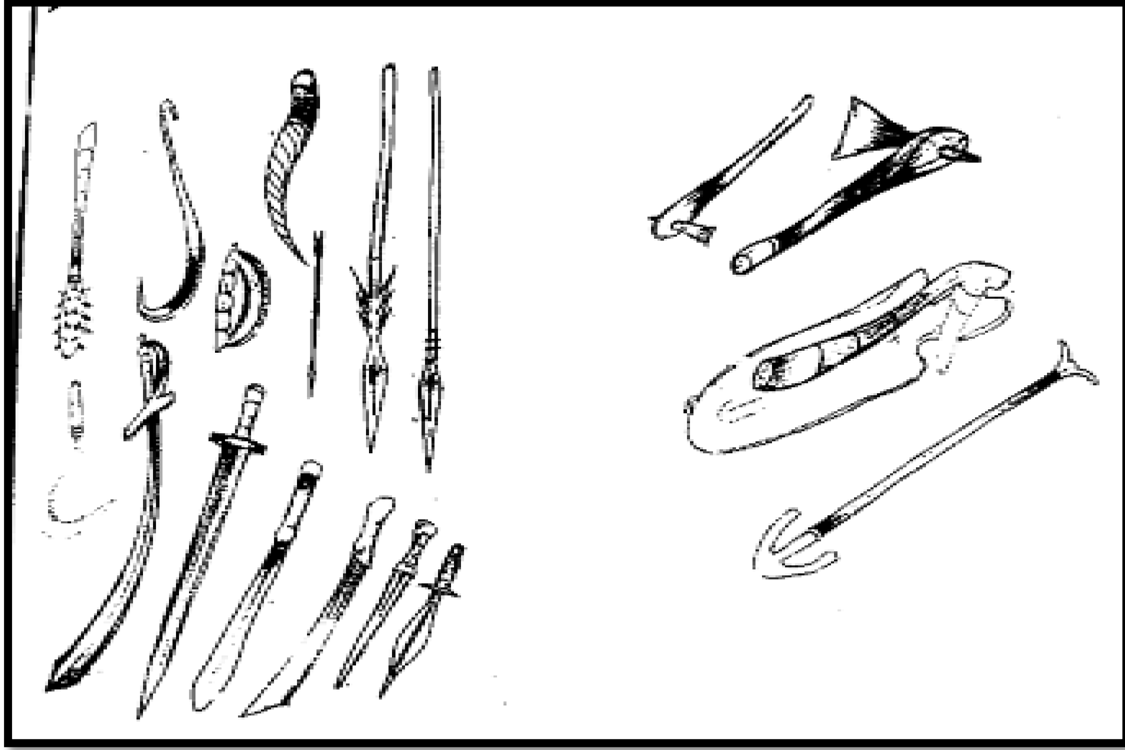
[1] ايهاب شعبان عبدالشافي سالم، المرجع السابق، ص، 285.

[2] Felix Dubois: **Tombouctou la mystérieuse**، Librairie Flammarios، Paris، p 329.



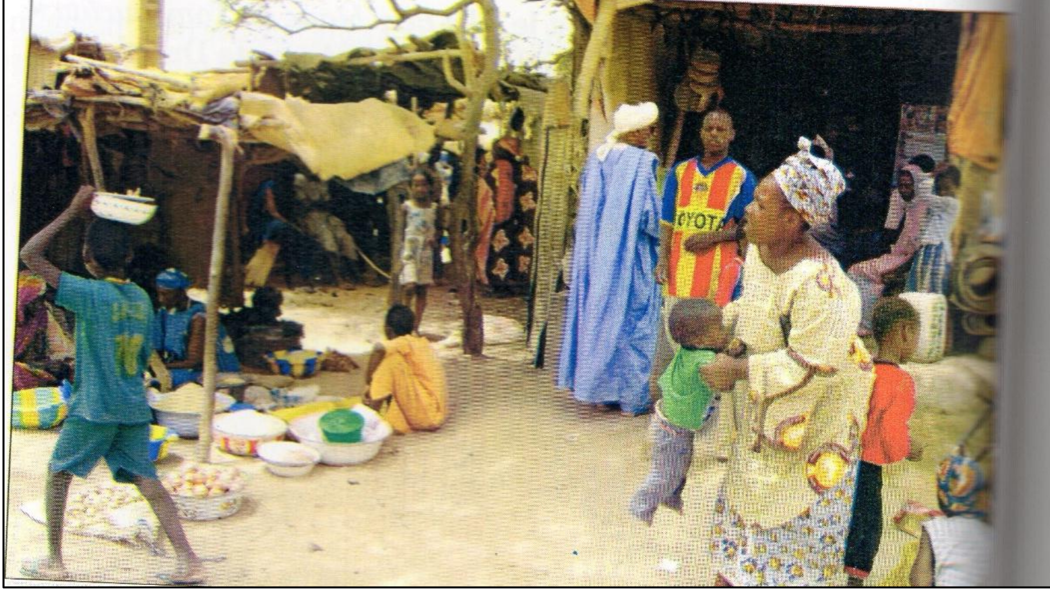
الملحق رقم (09): مظاهر الإحتفال بالأعياد[1]

[1] منى محمد عادل سيد حسين: المرجع السابق ص 212.



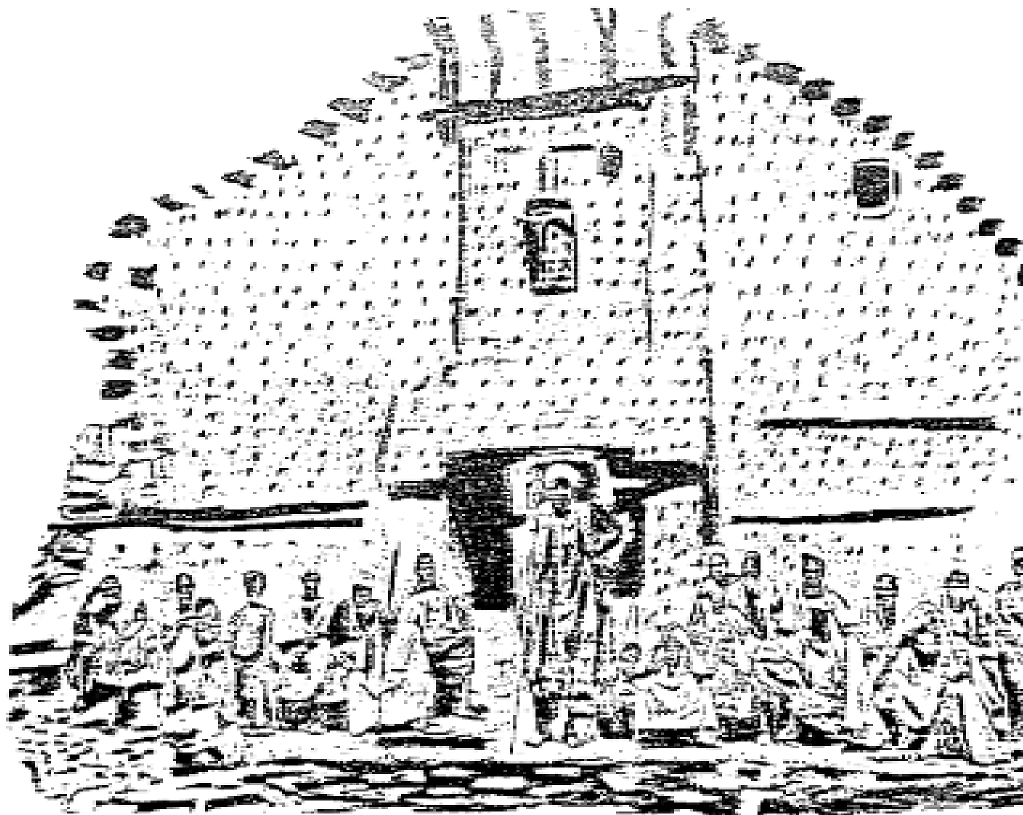
الملحق رقم (10): أدوات الزراعة في بلاد السودان الغربي[1]

[1] منى محمد عادل سيد حسين: المرجع السابق ص 206.



الملحق رقم (11): واقع يومي في السوق الصغير في مدينة تنبكت[1]

[1]Chirifi moulaye haidara: op، citp،42.



الملحق رقم (12): وكالة استراحة التجار في إحدى مدن السودان الغربي[1]

[1] منى محمد عادل سيد حسين: المرجع السابق ص 207.



الملحق رقم (13): لباس السودانيين على ضفاف نهر السنغال أواخر القرن 16م[1]

[1]- حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص، 348.



الملحق رقم (14): ألبسة السودانيين في رصد لعملية التبادل التجاري مع البرتغاليين خلال القرن 17م[1]

[1] حسين بوبيدي: المرجع السابق، ص، 348.

المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم**

I-المصادر:

أ- المخطوطات

1. الإدريسي أبو عبد الله محمد بن إدريس (ت:560ه/1164م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة، القاهرة، 2006
2. الأرواني محمد محمود (1393-1973م): **تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان**، دراسة وتحقيق وتقديم: الهادي المبروك الدالي، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2008م.
3. الأرواني مولاي أحمد بابير: **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية**، تحقيق: الهادي المبروك الدالي، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2001م.
4. الاصطخري أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفاسي: (350ه/960م): "**مسالك الممالك**"، مطبعة بريل ليدن 1927.

ب-المصادر العربية:

5. البرتلي أبو عبد الله الطالب محمد بن ابي الصديق الولاتي (ت 1219ه/1716م): **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تحقيق: محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.
6. ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي (ت: 779ه/1377م): **تحفة الانظار في غرائب الأمصار**، دار صادر، بيروت- لبنان، 2001.
7. البكري أبو عبد الله عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت 487ه/1094م): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتب الإسلامي، القاهرة.
8. التلمساني أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف: **البستان في ذكر علماء تلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م.

9. التنبكي أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد الصنهاجي (ت: 1036ه / 1626 م)، **معراج الصعود أجوبة أحمد بابا حول الإسترفاق**، تحقيق وترجمة: فاطمة الحراق وجون هانويك، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 2000 م.

10. ـــــــــ: **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1424ه/ 2000م.

11. ـــــــــ: **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989.

12. التونسي محمد بن عمر: **تشحيذ الأذهان مسيرة بلاد العرب والسودان**، تحقيق: خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعي، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1965.

13. الحموي أبوعبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626ه/1228م): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977م.

14. ابن حوقل النصيبي أبو القاسم محمد (367ه/998م): **صورة الأرض**، ط2، دار صادر، بيروت لبنان، 1938.

15. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الخضرمي (ت 808 ه/ 1405 م): **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تحقيق: خليل شحاتة، دار الفكر للطباعة، بيروت 2001.

16. الدرجيني أحمد بن سعيد: **طبقات مشايخ المغرب**، تحقيق: إبراهيم طلاوي، مطبعة البحث، قسنطينة، 1974، ج2.

17. الديسى أبي القاسم محمد الحفناوي بن الشيخ بن أبي القاسم (ت1336ه/1943م): "**تعريف الخلف برجال السلف**"، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1361ه/1906م.

18. السعدي عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر (ت:1066ه/1655م): **تاريخ السعدي**، تحرير وتعليق وتقديم: حماه الله ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012.

19. سعيد أبو الحسن علي بن موسى (ت: 686ه، / 12م):**كتاب الجغرافيا**، تحقيق: اسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري، بيروت، لبنان، 1970م. ابن

20. السيوطي عبد الرحمان جلال الدين بن محمد (ت 911ه / 1505م): **رُب اللباب في تحرير الأنساب**، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب الوطنية، بيروت

21. الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،الرباط، 1397ه/1977م.

22. ابن عبد الحكم: **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 1999.

23. عبد العزيز الفشتالي أبي فارس (ت 1031ه/1621م): **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تحقيق: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط.

24. بن عسكر محمد الحسني الشفشاوني: **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1397ه/1977م.

25. العمري شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى ابن فضل الله (749ه/ 1349م): **ممالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: محمد حسين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.

26. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1970.

27. القلقشندي أبو العباس أحمد (ت821ه/1410م): **صبح الأعشى في صناعة الأنشا**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.

28. كعت محمود التنبكتي(ت: 1200ه/1593م): **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار**، دراسة وتعليق: آدم بمبا، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان، 1435ه/2014م.

29. كمرا موسى (ت:1364ه/1949م): **تاريخ قبائل البيضان عرب الصحراء الكبرى**، تحقيق: حماه الله ولد السالم، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، 2009.

30. مجهول: (كان حيا أواخر القرن 6ه/12م): **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1986م.

31. المغيلي عبد الكريم محمد.: **تاج الدين في ما يجب على الملوك والسلاطين**، محمد خير رمضامن يوسف، دار ابن حزم للطباعة والنشر، لبنان، 1994.

32. المغيلي عبد الكريم محمد: **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تحقيق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1974م

33.ـــــ: **مصباح الأرواح في أصول الفلاح(مخطوط) بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم**، آولف أدرار، الجزائر، دون ترقيم أو تصنيف، الورقة 5 و/ظ.

34. المقريزي تقي الدين أحمد (ت:845ه/1441م): **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، تحقيق وتعليق: جمال الدين الشيال، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر،2000.

35. مولاي محمد بن سيدي محمد: "**التفسير والمفسرون ببلاد شنقيط**"، ط1، دار يوسف بن تاشفين ودار، الجمهورية الإسلامية، الموريتانية، 1429ه / 2008م.

36. الناصري السيلاوي أحمد بن خالد (ت1315ه/1878م): "**الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**"، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب.

37. الوافي محمد الخليفة بن الشيخ سيدي المختار: "**الرسالة الغلاوية**"، تحقيق: حماه الله ولد سالم، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2007.

38. الوزان الحسن بن محمد المعروف بليون الافريقي (ت: 957ه/1550م): **وصف افريقيا**، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

39. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت : 284 م – 897 م) **كتاب البلدان** ، مطبعة بريل لندن ، 1860 م.

ج- المصادر الأجنبية والمترجمة من اللغة العربية:

40.كربخال مرمول: **افريقيا**، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط، 1989.

II- المراجع

أ- المراجع باللغة العربية

41.أبو بكر علي: **الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى 1960 م عام الاستقلال**، ط2، دار الأمة، 2014.

42.أحمد محمود حسن: **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1431ه /2001م.

43.أحمد مطير سعد غيث: **التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر**، دار الرواد، بنغاري، 1996م.

44. ....: **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي دراسة في التوصل الحضاري العربي –الإفريقي-** ط1، دار المدار الإسلامية، بنغازي ليبيا، 2005م.

45.آدم عبد الله: **موجز تاريخ نيجيريا**، منشورات دار مكتبة الحياة، نيجيريا، 1965م.

46.الأزمي أحمد: **الإشعاع الصوفي المغربي في إفريقيا جنوب الصحراء خلال التاريخ الحديث والمعاصر**، فاس، 2013.

47.إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ص 1983م.

48.إسماعيل علي إسماعيل حامد: **تاريخ ممالك افريقيا جنوب الصحراء في العصر الوسيط،** تقديم: حسن سيد عبد الله وكرم الصاوي باز، القاهرة، 2020.

49.بن شريفة محمد: **من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان،** معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، 1999م.

50.بنرمضان زوليخة، **المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ما بين القرنين 5و10ه / 11و11م،** ط1، دار أبي رقراق، الرباط، 2015م، ج2.

51.بوبريك رحال: **المدينة في مجتمع البداوة التاريخ الاجتماعي لواتة خلال القرنين 18و19،** ط1، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط –المغرب، 2001م

52.بوعتروس أحمد: **الحركات الاصلاحية في أفريقيا جنوب الصحراء، ابان القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر ميلادي،** دار الهدى، الجزائر، 2009.

53.بوكراع السّطيفي محفوظ بن ساعد: **الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر،** تقديم: أبو بكر ضيف الله البحبحي الجلفاوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 2016م.

54.التنبكتي الأوراني محمود محمد ددب: **من تراث تنبكتو والساحل الإفريقي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة،** المملكة المغربية،1432 ه/2011م.

55.جعفري أحمد أبا الصافي: **الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن 7ه حتى نهاية 13ه،** ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م.

56. ....: **من تاريخ توات أبحاث في التراث، ط1، منشورات الحضارة،** الجزائر، 2011م.

57.جعفري مبارك: **العلاقة الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12ه،** ط١، دار السبيل للنشر الجزائر، 2009.

58. ....: **تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمسانى،** ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2019.

59.حسن محمد نبيلة: **في تاريخ إفريقيا الاسلامية،** دار المعرفة الجامعية، مصر، 2007 م.

60.حمادي الإدريسي عبد الله: **الامام محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني**، ط1، وزارة الثقافة، 1432هـ/2011م، ج1.

61.حمدي عبده سلامة موسى: **إفريقيا قارة الإسلام** ط1، مصر، 2013م.

62.حمودة إصلاح البخاري محمد: **انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ما وراء الصحراء تنبكت**، غدامس نموذجًا (7-11ه/13-17م)، ط1، دار الكتب الوطنية، 2004م.

63.حوتية محمد الصالح: **آل كنته**، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2008.

64................: **توات والأزواد خلال القرنيين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية** ، دار الكتاب ، الجزائر، 2007، ج1.

65.الخليل النحوي: **بلاد شنقيط المنارة.. والرباط**، مكتبة المنتدى الاسلامي، تونس،1987م

66.الخولي عبد العظيم محمد: **الأزهر الشريف والسودانيون في العصر المملوكي 2 (648-923ه/ 1250- 1517م)**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

67.الدالي المبروك الهادي: **التاريخ السياسي والاقتصادي الافريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، ط1، الدار اللبنانية المصرية، القاهرة 1999.

68................: **تاريخ إفريقيا فيما وراء الصحراء (دراسة وثائقية)**، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2002م.

69. ....: **التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء**، ط1، ليبيا، 2002م.

70.ذهني إلهام محمد علي: **جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي**، دار المريخ، الرّياض، 1988م.

71.رزق الله أحمد مهدي: **حركة التجارة والاسلام والتعليم الاسلامي في غربي افريقيا قبل الاستعمار وآثارها الحضارية**، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، 1419ه/1998م.

72.رياض محمد وعبد الرسول كوثر: **إفريقيا دراسة المقومات القارة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة**، القاهرة، 2012م.

73.زبادية عبد القادر: **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في افريقيا جنوب الصحراء**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989.

74. ....: **دراسة عن أفريقيا جنوب صحراء في مآثر ومؤلفاته العرب والمسلمين**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.

75. ....: **مملكة سنغاي في عهد الاسقيين 1493-1591م**، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

76.سلطان لطيف عبلة محمد: "**العناصر المغربية في السودان الغربي**"، دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنغي، ط1، الأفريقية الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77.سيسي عبد الله: **حركات الإصلاح والتجديد في غرب افريقيا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلاديين**، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1439ه/2018م.

78.سيلا عبد القادر محمد: **المسلمون في السنغال، معالم الحضارة وآفاق المستقبل**، ط1، دار الكتب القطرية، 1986.

79.شاكر محمود: **تشاد**، ط1، مؤسسة الرالة للطباعة والنشر، الممكة العربية السعودية، 1292ه/1972م.

80.شترة خير الدين: **الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني المصلح التأثر وفكرة الإصلاحي في توات والسودان الغربي**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، 2001.

81.شحاتة ابراهيم حسن: **وقعة واد المغازن في تاريخ المغرب 986ه/1978م**، ط1، دار الثقافة– الدار البيضاء، فاس، 1979.

82.شعباني نور الدين: **دراسات في تاريخ الإسلام والأسر الحاكمة الفاتحة في إفريقيا جنوب الصحراء**، الجزائر.

83. ....: **محاضرات في تاريخ ممالك السودان الغربي**، دار الجزائر، الجزائر.

84.شكري أحمد: **الإسلام والمجتمع السوداني في إمبراطورية مالي 1230–1430م**، ط1، المجتمع الثقافي، أبو ضبي، 1999م.

85.صالح أيوب محمد: **الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبد الحق السنوسي الترجمي في دار وادي تشاد (1853–1917 م)**، ط، دار الكتب الوطنية بنغازي الجماهيرية العربية الليبية، 2001.

86.صالح مهدى ساتى: **مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال**، مركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم، 1411ه/1991م.

87.طاهر أحمد: **إفريقيا فصول من الماضي والحاضر**، دار المعارف، القاهرة.

88.طرخان إبراهيم علي: **امبراطورية البرنو الاسلامية**، المكتبة العربية، القاهرة، 1395ه/1975م.

89. ....: **امبراطورية غانة الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1390ه/1970م.

90.عبد الباقي محمد الكبير: "**الدور الثقافي للشيخ أحمد بابا التنبكتي**"، مجلة دراسات إفريقية، ع 8، ديسمبر 1991م.

91.عبد الحليم رجب محمد: **سلطة البولالة الاسلامية في حوض بحيرة التشاد**، مكتبة كلية الاداب، القاهرة، 1440ه/2019م

92.عبد الشافي سالم إيهاب شعبان: **القضاء في دولتي مالي وصنغي وأثرها الحضاري في المجتمع (636-1000ه/1238-1591م)**، تقديم: كرم كمال الدين الصاوي باز، ط1، الإفريقية الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1435ه/2014م.

93.عبد الفتاح إبراهيم محمد: **إفريقية من السنغال إلى نهر جوبا، مكتبة الأنجلو المصرية**، القاهرة.

94.عبد اللطيف دندش عصمت: **دور المرابطين في نشر الإسلام، 430-515ه-1038-1121م**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1408ه-1988م.

95.عبد الله مقلاتي ورحوم محفوظ: **دور منطقة توات الجزائرية في نشر الاسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية**، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2009م.

96.عدنان مراد محمد: **المجتمعات الافريقية أصولها- تاريخها وشعوبها وثقافتها**، منشورات إتحاد الكتاب، 1995م.

97. الجهيمي حمد محمد: العلاقات التجارية بين مملكة غانا وبلاد المغرب فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجريين التاسع والحادي عشر الميلاديين، كلية الآداب والعلوم، قسم التاريخ، جامعة محمد المختار، ليبيا.

98.العسيري أبو الفضل علي حسن حلمي: **السياسة الخارجية لمملكة مالي الاسلامية (886-597ه/1484-1600م)**، ط1، مركز جمعية المجد للثقافة والتراث، دبي- الامارات العربية المتحدة، 1433ه/2020م.

99.عطية عبد الكامل: **دراسة في التاريخ والتراث**، مطبعة الرمال، الوادي، 2019م.

100. علي باري محمد فاضل وسعيد إبراهيم كريديّة: **المسلمون في غرب افريقيا تاريخ وحضارة**، ط1، دار اكتب العلمية، بيروت -لبنان،2007.

101. عماري الحسين: "**فاس حلقة للتفاعل الحضاري بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث وبداية المعاصر**"، مجلة كان التاريخية، ع17، سبتمبر2012م.

102. عمر محمد صالح: **الثقافة العربية الإسلامية في الغرب الإفريقي**، ط1، مؤسسة الرسالة، 1413ه/1993م.

103. العنبودي بن ناصر محمد: **سطور: من المنظور والمأثور عن: بلاد التكرور**، ط1، الرياض، 1420ه/1999م.

104. عيسى جيي محمد بشرى: **جهود علماء السنغال في خدمة المذهب الأشعري من القرن السابع عشر إلى القرن العشرين الميلادي**، ط1، دار أبي الرقراق، المغرب، 1437ه/2016م.

105. الغربي محمد: **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، 1982م

106. غلادنثي احمد سعيد شيخو: **حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804 إلى 1966**، ط2، المملكة العربية السعودية، 1414ه/1993م.

107. الغنيمي مقلد عبد الفتاح: **سلطنة البولالا**، ط1، مكتبة مديولي،1996م.

108. فرج محمود فرج: **اقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، الجزائر.

109. الفيتوري مخزوم عطية: **دراسات في تاريخ شرق افريقيا وجنوب الصحراء (مرحلة الانتشار)**، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغاري، 1998م.

110. القحطاني سعيد: **الشيخ عبد القادر الجيلاني وارآءه الاعتقادية والصوفية**، فهرست مكتبة فهد الوطنية للنشر، الرياض.

111. قداح نعيم: **إفريقيا العربية في ظل الإسلام**، مراجعة: عمر الحكيم، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

112. القشاط محمـــد السعيد: **صحراء العرب الكبرى**، ط1، دار الرواد، طرابلس ليبيا،1994م.

113. كروم عبد الله: **الرحلات بإقليم توات**، دار دحلب، 2007م.

114. لطيف عبلة محمد سلطان: "**العناصر المغربية في السودان الغربي**"، **دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة صنغي**، ط1، الأفريقية الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

115. لواء الدين احمد محمـــد: **الاسلام في نيجيريا ودور الشيخ عثمان الفوزي في ترسيخه**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2009.

116. الماجد ابراهيم عبد الله عبد: **العزابة**، ط1، دار العاوي للطباعة والنشر 1418هــ/1998م.

117. الماحي عبد الرحمان عمر: **الدعوة الإسلامية في إفريقيا الواقع والمستقبل**، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، 1992م.

118. محمد فتحي عبد العزيز: **ابن بطوطة في بلاد السودان 731ه/754ه – 1331م/1353م**، ط1، دار الكتب والوثائق العلمية، القاهرة، 2017.

119. مجموعة من المؤلفين: **تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى القرن 19م**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، بغداد، 1984،

120. مرجان سحر عنتر محمد أحمد: **فقهاء المالكية وآثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي (628-1000ه/1230-1591)**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2011.

121. مرزوقي حسين: **بلاد السودان في كتب الجغرافيين والرَّحالين العرب والمسلمين إلى حدود القرن الثامن الهجري**، تقديم: محمد شقرون، ط1، مجمع الأطرش للنشر والتوزيع، 2018م.

122. المغني عبد الرحمان محمد عباس: **الحركة التجارية في الإسلام، ودورها في نشر الدعوة الإسلامية) قارة إفريقيا نموذجًا**، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، 1433ه / 2012م.

123. مقدم مبروك: **الإمام محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الاسلامية بإفريقيا الغربية خلال القرن التاسع للهجرة الخامس عشر للميلاد**، دار الغرب، وهران.

124. الملاح أكرم بشار: **التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي من القرن 5-9ه / 11-15م**، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، 2012م.

125. منقة الأمين: **كتاب تعريفي عن تعريف لغة الهوسا**، ط1، منطقة الدعوة الإسلامية الخرطوم، 1419ه/1998م.

126. ميغا أبو بكر إسماعيل محمد: "**نظام القضاء في دولة سنغاي الإسلامية في عهد ملوك آل أسكيا**"، مجلة الدارة، ع2، السعودية، أوت 1995.

127. ميغا عبد الرحمان محمد: **الحركة الفقهية ورجالها في السودان الغربي من القرن ال8 إلى القرن13 الهجري**، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2011.

128. نافذ بيلتو أيوب وشاكر محمود: **مالي**، المكتب الإسلامي، بيروت، 1406ه/1986م.

129. النظام زهراء: **العلاقات المغربية الجزائرية مقاربة سياسية ثقافية خلال القرن 10ه/16م**، ط1 منشورات دار الأمان، الرباط، 1436ه/2015م.

130. النقره أكناته ولد: **الطوارق من الهوية إلى القضية، المركز الموريتاني للدراسات والبحوث الاستراتيجية**، موريتانيا، 1394ه-2014م.

131. نواب عواطف محمد يوسف: **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن هجري – دراسة تحليلية مقارنة-**، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، 1417ه/1996م.

132. نوري وريد عبد القادر: **تاريخ الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء من القرن4-10 ه/ 10- 16م**، جامعة الموصل، 1405ه/1985م.

133. الهلال أحمد مولود ولد أيدّه: **الصحراء الكبرى مدى وقصور**، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.

134. هلال عمار: **الطرق الصوفية ونشر إسلام والثقافة العربية في غرب افريقيا السمراء**، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 1981.

135. الودغيري عبد العلي: **اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالمغرب الإفريقي وملامح من التأثير المغربي**، ط 1، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1432ه / 2011م.

136. ولد أيدّه مولود أحمد: **الصحراء الكبرى مدى وقصور**، دار المعرفة، الجزائر، 2009م.

137. ولد سالم حماه الله: **تاريخ موريتانيا العناصر الأساسية**، ط2، منشورات الزمن، الدار البيضاء –الرباط، 2007.

138. ولد كاكيه المختار: **مجمل تاريخ الموريتانيين**، ط1، 2007م.

139. وناس زمان عبيد: **تاريخ مدينة كاو منذ نشأتها حتى سقوط إمبراطورية السونغاي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء (81–999ه /700–1590م)**، ط1، دار الأيام، عمان –الأردن، 2015م.

140. ....: **تمبكتو وأثرها الحضاري في الحصور الإسلامية المتأخرة**، ط1، دار الأيام، عمان –الأردن، 2015م.

141. يحيى بوعزيز: **تاريخ افريقيا الغربية الاسلامية من مطلع القرن السادس عشر الى مطلع القرن العشرين**، دار البصائر، الجزائر،2009.

ب– المراجع المعربة

142. أرنولد سير توماس. و.: **الدعوة إلى الإسلام بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1971 .

143. بولم دنيس: **الحضارات الافريقية**، ترجمة: علي شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت– لبنان.

144. تيري جاك: "**تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى**"، ترجمة: جاك الله عزوز الطلحي، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الجماهرية العربية الليبية،2003.

145. ريفيه دانييل: **تاريخ المغربي من مولاي إدريس إلى محمد السادس**، ترجمة: المهندس أحمد ابن الصديق، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البضاء، المغرب، 2020.

146. ريمون فيرون: **الصحراء الكبرى**، ترجمة: جمال الدين الدناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963.

147. كام جوزيف: **المستكشفون في افريقيا**، ترجمة وتقديم وتعليق: السيد يوسف نصر ومحمد علي وقاد، دار المعارف، 1983.

148. مادهوبانيكار: **الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا**، ترجمة: أحمد فؤاد بعليع، ط$_2$، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1998م.

149. مارتي بول: "**القبائل البيضانية في الحوض الغربي والساحل الموريتاني وقصة الاحتلال الفرنسي للمنطقة**"، تعريب: محمود محمود ودادي، ط1، جمعية العودة الإسلامية العالمية، بنغازي، 2001.

150. مارتي بول: **كنتة الشرقيون**، ترجمة: محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق.

151. هوبكنز ا.ج: **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الكويت، 1998م.

ج– المراجع الأجنبية

152. A. Le Chatelier: **Islam Dans L'afrique Occidentale**, paris G. Steinheil, Editeur, 1899.

153. Adam ba konare: **les relations politiques et culturelles entre le maroc et le mali à travers les àges**، publications de l'institut des Etudes Africains –Rabat، Royaume du Maroc، 1991.

154. Ahmed ibn fortua: **history of the first twelve years of the reign of mai idris alooma of bornu (1571-1583)**،Translated from the Arabic with an Introduction and Notes، by H.R.PALMER، Rouledje Taylor a Francis Groue، 2019..

155. Chirifi moulaye haidara: tombouctou meurtrie: jamana ،bamako، mali ، 2013.

156. Dubois Felix: **Tombouctou la mystérieuse**، Librairie Flammarios، Paris

157. Jean Boulégue: **les royaumes wolof dans léspace sénégambien**: XIIIe-XVIIIe siécle، karthala éditions، paris، 2013، p 05.

158. Jean djigui keita **:les mandiingues، de koumbi à paris**، editions donniya، Bamako.mali 2011.

159. Jean letrilliux:**ouargla cite salariennelibaririe orientaliste;** paris; 1963.

160. Lewcki tateuz**:etudes magrébines et soudanoises**,ed scientifiques de la polognie,1976.

161. Louis Brenner: **Du Kuttàb A La Madrasah Considérations historiques à propos de l'enseignement islamique au Mali**، Publications de l'ititut d Etude Africaine-Rabat، Royaume du Maroc، 1995.

162. Maurice Delafosse: **Les noires de l`Afique payat**.paris،1941.

163. ....: **Hout -Sénégal –Niger**, Paris Emile Larose- Libraire-Editeur,1912 ,t02

164. Sain louis: **notice sur larégon de tombouctou**، lmprimerie gouvernemenet، 1869.

165. Samba Lampsar Sal: Nadiadiane Ndiaye et les origines de l´empire wolof، L'harmanttan، 2011.

166. Yves-Jean Saint –Martin: le sénégal sous le secand Empire: naissance d´un empire colonial (1850-1871)، Kartala Editions،paris، 1989.

167. Conrad Davidc.: empires of medival west africa-ghana/ mali , and songhay, chelsea house, new yourk,2009

168. Leuicki (T): etudes maghre bines et soudanaises, academie polonaise des sciences, 1976,

169. oliel Jakob, les juifs au sahara le touat au mayen age, CNRS ditions, paris,1994

170. M-l de mas latrie: traites de paix et de commerce, henri plon imprimeur editeur, paris,1866

171. Didier (p) et autres : poissons dafrique et peuples de leau. IRD editions, marseille,2011.

د- الرسائل الجامعية

- باللغة العربية:

172. إسماعيل زهراء يوسف: **هجرة القبائل العربية والبربرية حتى القرن العاشر الهجري**، رسالة ماجستير، إشراف: أنوار جاسم العنبكي، جامعة المستنصرية، 1440ه/2018م.

173. باب الدين مريم بنت عبد الله ولد: **التأثير الثقافي للبيضان في منطقة السودان الغربي خلال القرنين 19-20 (مالي والسنغال) نموذجا**، بحث لنيل ديبلوم الدراسات العليا المعمقة، إشراف: أحمد الأزمي، جامعة سيدي محمد عبد الله، فاس، 2006/2007م.

174. بعثمان عبد الرحمان: **القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17/18م، أطروحة دكتوراه**، إشراف: محمد بن معمر، جامعة وهران -01-أحمد بن بلة، 2015م

175. بوبيدي حسن: **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في السودان الغربي من قد:5 – 10ه / 11–16 م دراسة في تفاعل المؤثرات السودانية والمغربية،** أطروحة دكتوراه اشراف: اسماعيل سامعي، جامعة الامير عبد القادر للعلوم الاسلامية قسنطينة 2021/2020م.

176. بوسعيد أحمد: **الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12ه /18م،** مذكرة ماجستير في التاريخ. إشراف: محمد حوتية، جامعة أدرار، 2012/2011م.

177. تلمساني بن يوسف: **الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني – الأمير عبد القادر – الادارة الاستعمارية) "1782–1900"،** مذكرة ماجستير، اشراف: ناصر الدين سعيدوني، جامعة الجزائر، 1997/1998م.

178. جعفري أحمد: **مظاهر من التأثير الإسلامي والمغاربي في مملكتي سنغايوكانم–برنوما بين 1493م–1750م،** أطروحة دكتوراه، إشراف: صابر الشريف خالد، جامعة الجزائر –02 أبوالقاسم سعد الله، 2018/2017.

179. جعفري مبارك: **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13ه/19م،** أطروحة دكتوراه، إشراف: حوتية محمد، جامعة الجزائر 02، 2013–2014.

180. جنيد مصباح الدين: "**الشيخ عثمان الفودي الفولاني وعقيدته على ضوء الكتاب والسنة**"، مذكرة ماجستير، إشراف: سليمان دنيا، جامعة أم القرى، 1406ه/1986م.

181. خالدي مسعود: **الجاليات العربية والبربرية في افريقيا جنوب الصحراء (السودان الأوسط والغربي) بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين/ الحادي عشر والسادس عشر الميلاديين،** أطروحة دكتوراه، إشراف: مسعود مزهودي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2008/2009م.

182. ذكار أحمد: "**حاضرة ورجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي من سنة 1000ه إلى سنة 1301ه \1591م إلى 1883م**"، مذكرة ماجستير، إشراف: محمد حوتية، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية، الجزائر 2009-2010.

183. شبو جعفر الله محمد: **الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في دولة مالي الإسلامية في العصور الوسطى بين 5-ه /12-15م**، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2008م.

184. الشيخي حسن علي إبراهيم: **تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي منذ القرن الحادي عشر الميلادي حتى نهاية القرن السادس عشر ميلادي**، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد علي محمد الطيب، جامعة أم درمان الإسلامية، 2009/2008م.

185. عباس عبد الله: **الدور الحضاري لاقليم توات وتأثيراته في البلاد السودان الغربي من القرنين 9و10ه/15و16م**، مذكرة ماجستير، إشراف: بشار قويرد، جامعة الجزائر، 2001/2000م.

186. عبد الكامل عطية: **الروابط التجارية والثقافية بين بلدان المغرب العربي وحواضر إفريقيا جنوب الصحراء (1493-1894م)**، أطروحة دكتوراه، إشراف: التلمساني بن يوسف، جامعة أبو القاسم سعد الله، 2014-2015.

187. مصباح الدين جنيد: "**الشيخ عثمان الفودي الفولاني وعقيدته على ضوء الكتاب والسنة**"، مذكرة ماجستير، إشراف: سليمان دنيا، جامعة أم القرى، 1406ه/1986م.

188. مقادير عبد الحميد: **المدارس العلمية ودورها السياسي والثقافي في السودان الغربي (مالي- سنغاي) ق 7-10ه/13-16م** أطروحة دكتوراه، إشراف: أدين نعيمة عبد المجيد، جامعة وهران 1 احمد بن بلة 2017-2018م.

189. منى محمد عادل سيد حسين: **الحياة الاجتماعية والثاقفية في إمارات الهوسا، القرن الثامن إلى العاشر الهجريين / الرابع عشر إلى السادسس عشر**

الميلاديين، مذكرة ماجستير، إشراف: عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، جامعة القاهرة، 1431ه/2009م.

190. النقيرة محمد عبد الله عبد الله محمد: **التأثير الإسلامي في السودان الغربي من بداية القرن السادس حتى نهاية القرن العاشر الهجريين**، أطروحة دكتوراه إشراف: محمد حلمي محمد أحمد، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1989م / 1980م.

- باللغة الأجنبية:

191. Michel Perrin LoÏc: **De Représentain du temps en wolof** ،These pour l´obtention du gade de Docteur de l´uniersierséte en Sciences du langage ،Saus la diretion de stphane ،universite paris 7 –Denis Diderot ،2005.

ه-المجلات وأعمال الملتقيات والكتب الجماعية

- باللغة العربية:

192. أعمال المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا، معهد دراسات الكوارث واللاجئين، الخرطوم، السودان ، المنعقد يومي 26-27 نوفمبر 2006 .

193. أعمال المؤتمر الدولي اللغة والثقافة في إفريقيا ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، قسم اللغات ، جامعة القاهرة ، المنعقد يومي 27-28 أكتوبر2001 م .

194. أعمال مجموعة البحث حول المغرب وإفريقيا : 1-2 حول: **العلاقات المغربية الإفريقية حصيلة وآفاق**، تنسيق : بهيجة الشاذلي ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عين النسق ، الدار البيضاء 2012 م .

195. أعمال ملتقى تيزنيت الدولي للثقافات الإفريقية الدورة الثالثة حول : **التصوف ودوره في إرساء الروابط والعلاقات بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء** ، تنسيق : ماء العينين النعمة علي ، مطبعة الأمنية ، الرباط ، 2017 م .

196. أعمال ملتقى تيزنيت الدولي للثقافات الأفريقية الـدورة الثانيـة حـول : **التفاعـل الحضاري بين المغرب وإفريقيا جنوب الصـحراء** ، تنسيق : ماء العينين النعمـة علي ، مطبعة الأمنية ، الرباط ، 2017 م .

197. إمطير غيث: "**آل بغيغ الونكريين ودورهم الثقافي في السودان الغربي خلال القرنين 10-11ه / 16-17م**"، مجلة الزيتونة، ع 11، ليبيا، 2014م.

198. بعثمان عبد الرحمان: "**صورة التواصل العلمي بين توات والمجالين المغاربي والسوداني من خلال مخطوط فهرسته عبد الرحمان بن عمر التنلاني التواتي المتوفي 1169ه**"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع8، جامعة بن بلة، وهران1، ص204.

199. بكاري هوارية: "**شركة آل المقري التجارية ودورها في تمتين العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي**"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة بكر بلقايد، تلمسان، ع4، ص 169.

200. بكوش فاقة: "**أبو عبد الله محمد المقري التلمساني- السيرة والإنتاج الفكري**"، مجلة كان التاريخية، ع33، سبتمبر 2017.

201. بن سعد محمد السعيد: "**الشيخ سيدي مختار الكنتي العقبي حياته وآثاره**"، مجلة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، ع 7، ماي 2016م.

202. بوتدارة سالم: "الرحلات العلمية التواتية نحو بلاد الساحل الافريقي وإسهاماتها العلمية"، مجلة آفاق فكرية، مج4، ع خاص، 2018.

203. بودواية مبخوت: "**أعلام السودان الغربي من بيا القرنينى 9 و10 الهجريين**"، مجلة حولية المؤرخ، ع 6، دار الكرامة للطباعة والنشر، جويلية، 2005.

204. تاوشيخت لحسن: "**علماء من تنبكت في المغرب الأقصى**"، مجلة كان التاريخية، ع15، ربيع الثاني 1433ه- مارس 2012م.

205. التكتيك جميلة محمد: "**الجاليات الطرابلسية ببلاد السودان الغربي في القرن م: ملاحظات حول دورها في التفاعل الاقتصادي والاجتماعي بين ضفتي الصحراء**"، مجلة العلوم الاجتماعية، ع6، جامعة طرابلس –كلية الآداب.

206. جبران محمد مسعود: " **التفاعل العلمي والمعرفي بين العرب والإسلامي والسودان الأوسط والغربي**"، مجلة مجمع اللغة العربية، ع 4، طرابلس، 1374ه/2006م.

207. حاج شعيب ومحمد بن شهيدة: " **حركة التفاعل الثقافي في نشر المخطوطات بين دول المغرب وغرب افريقيا** "، مجلة الصورة والاتصال، ع4، جامعة وهران1 أحمد بن بلة، 2015.

208. حجيلة العربي: "**دور الحكام في إثراء الحركة العلمية في ممالك حوض تشاد خلال القرن السادس عشر ميلادي – مملكة كانم برنو أنموذجًا**"، مجلة الدراسات وأبحاث، ع1، الجزائر، جانفي 2020م.

209. الخثلان سعود بن حمد: "**دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين بلدان المغرب والسودان الغربي فيما بين القرنين الثالث والخامس الهجري (9/11م)**، مجلة جامعة الملك عبد الله عبد، مج 5، السعودية، 1992م.

210. الرباصي مفتاح يونس: "**ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية –ودولة كانم والبورنو في العصور الوسطى**"، مجلة السائل، جامعة 7 أكتوبر، بني الوليد، ليبيا.

211. زيادية عبد القادر: "**حركة التعليم في تنبكتو في بلاد التكرور خلال القرن 16م ودور الأوقاف في ازدهارها**"، مجلة دعوة الحق، ع230، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، أوت، 1983م.

212. الشريف محمد: "**الجالية المغربية ببلاد السودان الغربي (ق 8ه/14م) ملاحظات حول دورها في التفاعل الحضاري بين ضفتي الصحراء**"، مجلة التاريخ الغربي، ع15، صيف 1421ه/2000م.

213. شعباني نور الدين: "**الديولا ودورهم في نشر الإسلام في منطقة الغابات الإفريقية" مجلة الحكمة للدراسات التاريخية**" مج2 ،ع3، جانفي 2014.

214. ....: **عائلة كوليبالي، ودورها في مملكة البمبارا خلال الفترة 1600-1800م**، مجلة كان التاريخية، ع 33، سبتمبر 2016م.

215. طرخان إبراهيم علي: "**دراسات في تاريخ إفريقية الإسلامية قبل عصر الاستعمار: إمبراطورية صنغي الإسلامية**"، مجلة كلية الآداب، مج 8، السعودية، 1981م.

216. العربي حجيلة: "**دور الحكام في إثراء الحركة العلمية في ممالك حوض تشاد خلال القرن السادس عشر ميلادي – مملكة كانم برنو أنموذجًا**"، مجلة الدراسات وأبحاث، ع1، الجزائر، جانفي 2020م.

217. عماري الحسين: "**دور القوافل الصحراوية في العلاقات التجارية بين المغرب وافريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث**"، مجلة عصور الجديدة،ع 19_20اكتوبر 2015م

218. ....: "**فاس حلقة للتفاعل الحضاري بين المغرب وإفريقيا جنوب الصحراء خلال العصر الحديث وبداية المعاصر**"، مجلة كان التاريخية، ع 17، سبتمبر2012م.

219. كرزيكة علي: "**اثر القوافل التجارية على صناعة الكتاب المخطوط بإقليم توات**"، مجلة آفاق علمية، مج9،ع 2،الجزائر،2017.

220. كنتاوي نور الدين: "**الشيخ المختار الكنتي الكبير حياته ومآثره**"، مجلة رفوف، ع 8، ديسمبر2015م.

221. لمين إبراهيم حامد: " **إسهامات قبائل كنته والفلان في التواصل الثقافي بين إقليمي توات والسودان الغربي خلال القرن 19م / 13ه** "،مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، ع 7، جامعة نواكشوط، موريتانيا، 2016م.

222. محمد أحمد الكبير عبد الباقي: "**الدور الثقافي للشيخ أحمد بابا التنبكتي**"، مجلة دراسات إفريقية، ع 8، ديسمبر1991م.

223. المستعين عبد الباسط: "**التلاقح الحضاري بين حواضر المغرب والسودان الغربي والأوسط خلال العصر الوسيط**"، مجلة قراءات إفريقية،ع30،سبتمبر 2016.

224. المغرب في محيطه الإفريقي المجالات والرهانات الإستراتيجية الجديدة ، تنسيق : مورد زناسني ، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، وجدة ، الرباط ، 2017م.

225. مولاي محمد: "**التجارة والرحلة ودورهما في التواصل العلمي بين توات وبلاد الساحل الافريقي ما بين القرنين 11 و12ه- 17 و18م**"، مجلة الدراسات الافريقية والاجتماعية، ع5، جامعة نواكشوط- موريتانيا.

226. ميغا أبو بكر اسماعيل محمد: "**تاريخ الثقافة الاسلامية والتعليم في السودان الغربي (إفريقية الغربية): من القرن الرابع الهجري حتى مطلع القرن الثالث عشر**"، مجلة الدارة، مج 19، ع 2، سبتمبر، 1993م.

227. ....: "**نظام القضاء في دولة سنغاي الإسلامية في عهد ملوك آل أسكيا**"، مجلة الدارة، ع2، السعودية، أوت 1995.

228. هاشم العلوي القاسمي: "**أصول الروابط التاريخية بين بلاد المغرب وغرب إفريقيا في العصور الوسطى (استحضار أم استشراق)**" مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع5، فاس ،1409ه/1989م.

229. هواري رضوان: "**التطور السوسيو اقتصادي في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط قراءة في الأسباب والعوامل**"، المجلة الالكترونية النشاكطية متعددة التخصصات، ع13، جويلية 2009م

230. يعقوب علي: "**جهود العلماء الأفارقة في نشر الثقافة الاسلامية والعربية**"، مجلة قراءات إفريقية، ع 3، ذو الحجة 1429م، ديسمبر، 2008.

ب- المترجمة

231. إيزار وج-كي -زيربو: "**من النيجر إلى الفولتا**"، ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام، حسين درغام وأبنائه للطباعة، لبنان، صادر عن منظمة اليونيسكو، 1997م، مج5.

232. ب، باري: "**سينيغامبيا من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر: تطور الوولوف والسيرير و"التوكوكور**"، ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام...، المرجع السابق، مج5.

233. جبريل ت– نياني: " **مالي والتوسع الثاني للماندانغ**" تاريخ إفريقيا العام، صادر عن منظمة اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، 1988م، ج4.

234. سيكيني مودي سيسوكو: "**سنغاي من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر**"، ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العالم، المطبعة الكاثوليكية، صادر عن منظمة اليونسكو، بيروت، لبنان، 1988م، مج4.

235. مادينالي– تال: "**تدهور امبراطورية مالي**"، ضمن كتاب: تاريخ افريقيا العام، ط2، صادر عن منظمة اليونسكو، بيروت– لبنان، 1997، مج4.

236. ميشيل ايزارد: "**شعوب وممالك منعطف النيجر وحوض الفولتا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر**"، ضمن كتاب: تاريخ افريقيا العام، ط2، صادر عن منظمة اليونسكو، بيروت– لبنان، 1997، مج 4.

المعاجم والموسوعات

237. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا: **معجم مقاييس اللغة**، ط1، دار الجبل، 1991م.

238. أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الاسلامي**، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1990م، ج6.

239. الشيخ أبو عمران: **معجم مشاهير المغاربة**، ط2، مؤسسة صونيام، الجزائر، 2013م.

240. مقلاتي عبد الله وجعفري مبارك: **معجم أعلام توات**، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر.

الفهارس العامة

فهرس الأعلام.

فهرس الأماكن.

فهرس القبائل والشعوب

فهرس الأشكال

فهرس المحتويات

1- فهرس الأعلام

(ن)

(ه)

2- فهرس الأماكن

(ن)

(ه)

3- فهرس القبائل والشعوب

4- فهرس الأشكال

فهرس المحتويات

الملخص:

عرفت بلاد السودان الغربي خلال الفترة الممتدة من القرن العاشر الهجري/ 16م، حتى القرن الثالث عشر هجري/ 19 م مجموعة من التغيرات في مختلف المستويات السياسية، الاقتصادية، الثقافية، الاجتماعية... وذلك نتيجة للأدوار التي اضطلع بها العلماء والتجار المغاربة في المنطقة؛ حيث مثل دورهم في نشر الإسلام، واللغة العربية المركز الأساسي الذي انطلقت منه جميع هذه التغيرات.

منذ البدايات الأولى من القرن 16 م بدأت مظاهر التواصل الحضاري بين المنطقتين تبرز – هذا التواصل الذي نسج خطوطه المغاربة منذ العصور الوسطى – بشكل أوسع وهي الفترة التي شهد فيها السودان الغربي بلوغ مملكة سنغاي الإسلامية أوج مجدها وازدهارها نتيجة تأثرها بمختلف الأنظمة والمؤثرات المغربية الوافدة عليها.

ولم يقتصر تأثير العلماء والتجار المغاربة في المنطقة على المستويين الثقافي والتجاري فقط، بل لامس كثيرا من المظاهر الحضارية والمعتقدات الجماعية لمختلف شعوب المنطقة، فمن خلال تغلغل العلاقات الثقافية والتجارية بين المغاربة، وأهالي السودان الغربي ادخل هؤلاء عددا من التقاليد الاجتماعية الخاصة بالمغاربة، والمخالفة للتقاليد والأعراف المحلية المنافية للشريعة الإسلامية كظاهرة العري مثلا، أسهم فيها العنصر المحلي نتيجة تفاعله، واندماجه مع مؤثرات العنصر الوافد كعنصر أساسي.

ABSTRACT:

During the period extending from the 16th century to19th‚ the country of Western Sudan witnessed a series of changes in the various political‚ economic‚ cultural and social levels.As a result of the roles that the Moroccan scholars and merchants in the region have subjected to. Their role in spreading Islam‚ and the Arabic language‚ represented the main center from which all these changes began.

Since the early beginnings of the 16th century‚ the manifestations of civilized communication between the two regions began. -This communication‚ which weaved its Moroccan lines since the Middle Ages - is becoming more evident during the period during which the Western Sudan witnessed the achievement of the Islamic Kingdom of Sengai at the height of its glory and prosperity as a result of its influence on the various Moroccan regimes and influences coming to it.

The influence of Moroccan scholars and merchants in the region was not limited to the cultural and commercial levels only‚ but touched many of the cultural manifestations and the collective beliefs of the various peoples of the region. Locality contrary to Islamic law‚ such as the phenomenon of nudity‚ for example‚ in which the element contributed as a result of its interaction‚ and its integration with the influences of the incoming element as a basic one.

RESUME:

Au cours de la période s'étendant du XVIe au XIXe siècle‚ le pays du Soudan occidental a connu une série de changements aux différents niveaux politiques‚ économiques‚ culturels et sociaux.. Leur rôle dans la diffusion de l'Islam et de la langue arabe a représenté le centre principal à partir duquel tous ces changements ont commencé.

Depuis le début du XVIe siècle‚ les manifestations d'une communication civilisée entre les deux régions ont commencé. - Cette communication‚ qui tissait ses lignes marocaines depuis le Moyen Âge - devient plus évidente au cours de la période pendant laquelle le Soudan occidental a vu la réalisation du Royaume islamique de Sengai à l'apogée de sa gloire et de sa prospérité en raison de son influence sur le divers régimes et influences marocaines venant à elle.

L'influence des érudits et des commerçants marocains dans la région ne s'est pas limitée aux seuls niveaux culturel et commercial‚ mais a touché de nombreuses manifestations culturelles et les croyances collectives des différents peuples de la région. Localité contraire à la loi islamique‚ comme le phénomène de la nudité‚ par exemple‚ dans laquelle l'élément a contribué en raison de son interaction et de son intégration avec les influences de l'élément entrant en tant qu'élément de base.